

أبحاث ودراسات

مقالات

ملف العدد: آثار الاحتلال الأمريكي للعراق

تقارير واستطلاعات



مركز الأمة للدراسات والتطوير

مركز الأمة للدراسات والتطوير مركز متخصص يعمل في مجال إعداد البحوث والدراسات الجادة المختصة بالشأن العراقي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ويهتم بالدراسات العامة في الشؤون الثقافية والعلمية والإدارية. كما يعنى بتدريب الكوادر وتطويرها وتأهيلها.

أهداف المركز:

(١) العناية بالدراسات والبحوث في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأمنية والعلمية.

(٢) دراسة وتحليل المشاكل والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق، ومحاولة وضع تصور أفضل لتشخيصها وكيفية التعامل معها، وآلية معالجتها.

(٣) التعريف بثقافة مقاومة الاحتلال وممانعة مشروعه، وتعزيزها ونشرها.

(٤) المساهمة في تنمية المجتمع العراقي على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية.

(٥) تدريب الكوادر وتأهيل العاملين في المجالات السياسية والقانونية والإدارية والإعلامية وحقوق الإنسان وتطوير مهاراتهم.

(٦) رفد الجهات والمؤسسات والهيئات ذات الاهتمام المشترك بالدراسات العلمية الرصينة والبحوث الموضوعية الهادفة.

الوسائل والأنشطة:

(١) تنظيم وإقامة المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش والمحاضرات والدورات التدريبية المتخصصة وورش العمل.

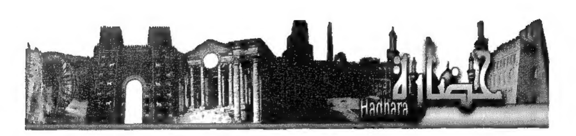
(٢) إعداد وتأليف ونشر الدراسات والأبحاث العلمية التي تتعلق بمجالات اهتمام المركز وأهدافه، بالإضافة إلى إصدار المنشورات العلمية الدورية وغير الدورية.

(٣) التعاون العلمي مع الجامعات والهيئات والمراكز العلمية المتخصصة.

(٤) ترجمة الدراسات والإصدارات المتعلقة باهتمامات وأهداف المركز ذات المستوى العلمي المتميز.

هيكلية المركز:

يتألف المركز من الهيئة الاستشارية التي تضم مجموعة من أساتذة الجامعات والمختصين ورجال الثقافة، والإدارة التي تتكون من مدير المركز ورؤساء الأقسام ومسئولي الوحدات المتخصصة، وأقسام المركز ووحداته وهي قسم الدراسات وقسم التطوير ويتكون المركز من عدة وحدات متخصصة منها وحدة الرصد والتوثيق و وحدة الترجمة و وحدة المجلة.



مجلة فصلية متخصصة تصدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير

العدد الأول

محرم ١٤٣٠هـ - كانون الثاني ٢٠٠٩م

نقال: ٧٨١٠٨٠١٠٢١ (٩٦٤+)
نقال: ٧٤٨٧٦٠١١ (٢٠١+)
تليفاكس: ٣٧٦١٩٥٩٦ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: editor@hadharamagazine.net

Mobile: (+964) 7810801021
Mobile: (+201) 74876011
Telefax: (+202) 37619596
E.mail: editor@hadharamagazine.net

شروط النشر في المجلة وضوابطه

١. أن تراعي البحوث والدراسات والمقالات المراد نشرها في المجلة الالتزام بالأهداف العامة لمركز الأمة للدراسات والتطوير.

٢. الالتزام بالمنهج العلمي الأكاديمي في توثيق البحوث والدراسات والمقالات المنشورة توثيقا علميا، وذلك بإيراد المصادر والمراجع وفق معلومات النشر المتعارف عليها.

٣. ألا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت أو أرسلت للنشر في مكان آخر.

٤. إرسال نصوص البحوث والدراسات والمقالات وغيرها بواسطة البريد الالكتروني إلى مدير تحرير المجلة وعلى عنوانها البريدي المعلن على صفحات المجلة.

٥. أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث عن خمسة عشر صفحة (A4) كحد أقصى، وأن لا يقل عن عشر صفحات، وأن لا يزيد حجم المقالة عن خمس صفحات ولا يقل عن ثلاثة.

٦. تنشر المجلة تقارير تغطية المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية ومراجعات الكتب، على أن لا يزيد حجم التقرير عن صفحتين (A4) وأن لا يقل عن صفحة واحدة، وأن يلتزم كاتبه بإيراد أهم المعلومات.

٧. لا تدفع المجلة أية مكافآت نقدية عن البحوث والدراسات المنشورة فيها. وتعتمد على تعاون الباحثين والدارسين من أجل تأدية رسالتها في خدمة الأهداف التي أسست من أجلها.

في هذا العدد

افتتاحية العدد

المشرف العام

بحمد الله وتوفيقه يطل العدد الأول من مجلة حضارة بعد العدد التجريبي الذي صدر في الربع الأخير من العام الفائت، وإذ تفتتح (حضارة) عامها الأول؛ فإنها تسعى جادة إلى تحقيق هدفها في أن تكون منبراً منتحاً لفكر ملتزم بـ(ثقافة الممانعة) التي تسعى لأن تكون ميداناً لبحثها ومعرضاً لنشرها، ووسيلة للتعريف بالنشاط الفكري العراقي في أوساط المثقفين والقراء في البلاد العربية، ويظهر هذا العدد بعد الاستفادة من ملاحظات الإخوة المهتمين ممن اطلعوا على العدد التجريبي الذي وزع في نطاق ضيق في عدد من البلدان العربية إضافة إلى العراق بجهود فردية لأعضاء مركز الأمة للدراسات والتطوير وهيئة تحرير المجلة، كما يشهد العدد مشاركة عدد من الأقلام العربية التي تعيش مع المركز والمجلة هموم الأمة، ويتفق أصحابها مع (حضارة) في أهدافها العامة؛ ليحققوا بهذه المشاركة التواصل المعرفي المقصود بين المثقفين العرب والمسلمين.

ويضم هذا العدد بين دفتيه ثلاثة دراسات تقرأ الأولى منها منهج فهم الصراع مع الصهيونية، فيما تبحث الدراستان الأخريان في المتغيرات المتوقعة لمجيء رئيس أمريكي جديد؛ فترصد الأولى منهما رحيل بوش وخيارات أوباما والمقاومة العراقية، فيما تستشرف الثانية ما ينتظر الرئيس الجديد، كما يضم العدد مقالين يتناولان الحالة الأمريكية العامة؛ فيدرس الأول منهما بعض مفاهيم القوة الأمريكية وموجباتها، فيما يقارن الثاني بين نهاية التاريخ ونهاية أمريكا، ويعتني ملف العدد بدراسة آثار الاحتلال الأمريكي للعراق في بعض الجوانب الاقتصادية والثقافية، أما حقل التقارير والاستطلاعات فإنه يعتني

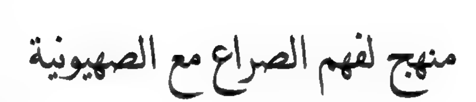
بعرض تقرير مترجم صادر عن أحد مراكز الدراسات الأمريكية؛ يعرض فيه معدّوه التحديات التي تواجه أمريكا بعد العراق..كما يهتم حقل الوثائق في هذا العدد بنشر نصوص بعض الفتاوى المتعلقة باتفاقية الإذعان مع الاحتلال، ويختتم العدد بتغطية نشاطات مركز الأمة للدراسات.

وختاماً.. لابد من قيام بالواجب وشكر للإخوة هيئة التحرير ومستشاري المجلة في بغداد والقاهرة، والعواصم العربية الأخرى الذين بذلوا كل جهد ممكن لإخراج هذا العدد بهذه الحلة، وكذلك الشكر مستحق للإخوة الباحثين والدارسين الذين تفضلوا علينا ببحوثهم ودراساتهم ومساهماتهم في هذا العدد.. والى عدد قادم بعون الله تعالى.



أبحـــاث

ودراســـات



د. محمد مورو

منهج لفهم الصراع مع الصهيونية

د. محمد مورو

إن حديثنا عن الصراع العربي الإسرائيلي على أرض فلسطين إنما هو حديث عن مستقبل كل الأمة الإسلامية، وبالتالي مستقبل العالم؛ ذلك أن الصراع الذي جرى على أرض فلسطين ليس إلا جزءاً من تاريخ وجغرافيا العالم الإسلامي.

إن ذلك الصراع يمثل بشكل شبه كامل جدل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلاً عن التاريخية؛ بل ويمثل صراع القوى الكونية في تلك اللحظة من عمر التاريخ، وإن فهمنا لطبيعة الصراع وتحليلنا للعوامل السابقة يقودنا إلى نتائج في غاية الخطورة والحسم.

مدخل تاريخي

يظلل وجه التاريخ دوماً ذلك الصراع المستمر والذي لم يتوقف لحظة بين القوى الربانية من جانب والقوى الشيطانية من جانب آخر، بما تملكه كل قوة من خصائص خاصة بها وأدوات وأساليب في الصراع خاصة بها أيضاً، ولكن ضمن سنن الله سبحانه وتعالى التي لا تستطيع أي قوة منها أن تتجاوزها، فالقوى الربانية قوة الجماهير المسلمة بقيادة الطليعة المؤمنة وهي قوى تعمل على:

(١) ربط مصير الإنسانية بأيدي كل الجماهير، أي أنها جماهيرية تعمل مع وبالجماهير.

(٢) تحرير البشر كافة من الخوف والجهل والاستبداد السياسي والظلم

الاجتماعي والتخلف القبلي.

(٣) قوى غير سلطوية بمعنى أنه لا إكراه لديها في أي شيء بل هي تعتمد في التفاف الجماهير حولها على تحرير تلك الجماهير من الاستبداد السياسي والتخلف القبلي والاجتماعي والظلم الاقتصادي ثم تترك للجماهير حقها في اختيار قناعاتها الدينية والسياسية والاجتماعية، فإذا بالجماهير تختار الإسلام لأن هذا يوافق فطرتها ولأن تصميم الكون والحياة والعقل البشري يقود إلى هذا تماماً.

(٤) قوى تعمل على إزالة كل أشكال التسلط من على وجه الأرض لتحرير كافة البشر (مفهوم الجهاد الإسلامي).

والقوى الشيطانية قوى غير جماهيرية تعزل الجماهير باستمرار عن الوعي والعلم والمشاركة في بناء حياتها بل تمارس عليها استبداداً سياسياً بمعنى أنها تصادر حرياتها وحقها في الاختيار فهي تفكر لها، ثم هي تربطها بالقيود القبلية والاجتماعية ولا تترك لها فرصة للاختيار الحر وتقمعها اقتصادياً بمعنى أنها لا تلبي لها حاجاتها الاقتصادية المشروعة، فهي في النهاية أن تمارس فئة من البشر التسلط والتحكم في الجماهير مستخدمة في ذلك إعلامها وشرطتها وأجهزتها القمعية المختلفة.

وبالتالي فإن أي نجاح في انتزاع حق من حقوق الجماهير في الحرية السياسية ورفع المعاناة الاقتصادية وتسليح الجماهير بالوعي هو في النهاية لصالح القوى الربانية ضد القوى الشيطانية والعكس دائماً صحيح.

وهكذا أصبح شكل الصراع في تلك الحقبة هو صراع بين القوى الشيطانية ممثلة في الحركة الصهيونية بدعم كامل من الغرب الصليبي (أمريكا وأوروبا)،

وذلك في مواجهة القوى الربانية التي تمثلها جماهير مؤمنة بقيادة طليعة واعية مع ملاحظة وجود حاجز قوي يمنع الطليعة من أداء دورها وهي أنظمة الحكم التي لا تكتفي بمجرد منع الطليعة من أداء دورها بل تطاردها وتنكل بها، وبذلك يكون هذا الفهم مدخلاً لفهم طبيعة الصراع في المنطقة.

يأخذ الصراع الإسلامي الصهيوني شكله الخاص عبر مستويين:

المستوى الأول

يمثل تناقضاً جوهرياً بين الطليعة المؤمنة وجماهيرها وبين رأس الحربة الشيطانية إسرائيل.

المستوى الثاني

هو التناقض الثانوي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.. وينبغي علينا الآن أن نفهم شروط وظروف كل من المستويين.

ولنبدأ بالمستوى الثاني

(١) التناقض بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل ليس تناقضاً جوهرياً وبالتالي فإن ذلك التناقض يمكن أن يحل عبر التفاوض، وبذلك يمكننا أن نقول إن التفاوض سمة أساسية من سمات الصراع بين الأنظمة العربية وإسرائيل.

(٢) إن تلك الأنظمة بما أنها لا تملك تناقضاً جوهرياً مع الكيان الصهيوني فإنها لن تواصل القتال ضده حتى النهاية، ولكنها في إدارة الصراع مع العدو الصهيوني تحاول أن تكسب مجرد أوراق تساوم بها من ناحية، ومن ناحية أخرى تسحب البساط من تحت أقدام الجماهير المؤمنة باعتبارها يمكن أن تكون نائباً عنها، وهكذا فإنها أنظمة مساومة تمتلك هامشاً من المصالح يتطابق مع وجود إسرائيل وهامشاً آخر تشكل إسرائيل خطراً عليها فيه.

(٣) إن تلك القوى مهما كان شكلها ستسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية لأنها لا تملك مبرراً أيديولوجياً للاستمرار حتى النهاية.

(٤) إن تلك القوى والأنظمة تحاول استثمار حركات المد الجماهيري ضد إسرائيل لصالح تحسين ظروف التفاوض ليس إلا، بل وعلى استعداد أن تبيع دم الشهداء مقابل ثمن بخس.

(٥) إن تلك القوى ليست على استعداد لترك الجماهير لممارسة حقها المشروع في مقاومة الغزوة الصهيونية لأن هذا خطر عليها.

خصائص وشروط المستوى الأول

(١) التناقض الجوهري بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل يستمد أساساً من وعي تلك الجماهير.

إن إسرائيل ليست إلا آخر أشكال الصراع بين القوى الإلهية والقوى الشيطانية وإنها في هذه المرة تستهدف قلب الأمة المسلمة وعقلها معاً، وبالتالي فإنه صراع حضاري في جوهره وصراع فناء، فإما أن نكون وإما ألا نكون، وهكذا فإن الجماهير المؤمنة عاشت شعار "إن قضية فلسطين هي القضية المركزية للأمة الإسلامية". (فكل نظام يريد أن يقوم لابد أن يدخل من بوابة هذه القضية وكل نظام يسقط يسقط أيضاً من هذه البوابة).

(٢) إن الجماهير المؤمنة بما أنها وعت شكل وحقيقة الصراع لا تملك أن تختار إلا طريقاً واحداً وهو حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى وإعلان الجهاد المقدس.

(٣) إن الجماهير المؤمنة ترفض تماماً طريق المساومات والتفاوض وخلافه بما أنها فهمت حقيقة الصراع.

(٤) إن الجماهير المؤمنة يجب أن تعرف شروط وظـروف عملـها في إطـار الهجمة الغربية الشرسة وفي إطار الزمان والمكان وعليهـا أن تـدرس طبيعـة التناقضات الموجودة في الساحة وتستفيد منها، وعليهـا أن تفـرز حلفاءهـا وأعداءها بوضوح، وانطلاقاً مما تقدم ينبغي علينا أن نضع تحت الدراسة بعض الوقائع التاريخية الآتية التي توضـح دور الجمـاهير المـسلمة ودور الأنظمـة كمحورين للصراع ضد إسرائيل.

ومراحل ذلك الصراع

(أ) ظهرت إسرائيل على يد اليهود وبدعم من الإنجليز (وعد بلفور).

(ب) اعترف بها بمجرد إعلانها في عام ١٩٤٨م أمريكـا الـصليبية وروسـيا الشيوعية بل والأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي.

(ج) أيدها المسيحيون وبخاصة المارونيون في لبنان بمجرد قيامها بل دعـوا إلى ذلك دعوات صريحة "يقول المطران مبارك في كتاب صدر سنة١٩٤٨م إذا لم تقم لليهود دولة في فلسطين سوف يتعذر أن نعيش مع العرب في صعيد واحد، ولم يكتف هذا المبارك بهذه الركلة فقط، ولكنه طاف بكل كنـائس العـالم وأمريكا ليلتمس من دولها في هيئة الأمم إنشاء وطن مسيحي في لبنان ليتعاون مع الوطن اليهودي في تأديب العرب.

(د) قامت الجماهير المسلمة بانتفاضات دموية قبل مطلع الثلاثينيـات كانـت الأولى سنة ١٩٢٠م والثانية ١٩٢٣م والثالثة سنة ١٩٢٩م وفهمت الجمـاهير المسلمة بحسها العميق أن الصراع ضد طرفي الهجمة بريطانيا والـصهاينة مـع ملاحظة أن التنظيمات الداعية إلى مهاجمة بريطانيا كانت جمعية الشباب المسلم في حيفا ذات الصلة الوثيقة بالشيخ القسام.

وعلى الوجه الآخر تظهر الزعامات المحلية والعربية غارقة حتى أذنيها في الوسطية والتفاوض، بل وتقف كل القوى غير الإسلامية مواقف مشبوهة "يلاحظ موقف الشيوعيين الفلسطينيين من الانتفاضات".

(هـ) انتفاضة سنة ١٩٣٦ في حين كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد، وكانوا هم خارج الساحة يقودون المعركة وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر، جاء الزعماء العرب في الممالك العربية (مصر والأردن والسعودية والعراق) ليأمروا الجماهير المسلمة التي تنزف دمها بإيقاف المعركة الأولى لأن الصديقة بريطانيا ستفهم مطالبنا في جلسات التفاوض القادمة.

(ك) وعت الجماهير المسلمة في تلك اللحظات كيف أن الزعماء ليسوا على استعداد للذهاب حتى النهاية في النضال خوفاً على مصالحهم فطرح عز الدين القسام نظريته الفذة في العمل التنظيمي الجماهيري الذي يعتمد على الجماهير الغفيرة المسلمة (عمال – فلاحين – بائعي جاز) ويتخذ الجهاد الإسلامي المسلح طريقاً وحيداً، ولأن جماهير الأمة المسلمة هي صاحبة المصلحة في التصدي للغزوة الصهيونية، ولأنها هي القادرة حتى النهاية، فإن طريق القسام مازال يتحرك حتى اليوم عبر ذلك التاريخ مع ملاحظة أن القوى السياسية خارج الإطار الإسلامي تتحرك لتحجيم دور الجماهير ومنعها من أداء رسالتها.

وقد تم ذلك عبر عدة مراحل

(أ) المرحلة الليبرالية: الزعماء العرب يطرحون الليبرالية كشعار لهم ويمنعون الجماهير من الوصول إلى مراكز السلطة بالقمع والخداع مع ظهور تفاوت طبقي ضخم، ولقد خاضت تلك الأنظمة مكرهة تحت ضغط الجماهير معركة

سنة ١٩٤٨م، ولكن ما كان أسهل على العصابات الصهيونية أن تضرب تلك الأنظمة ضربات قاتلة ليس لأنها أقوى من جيوشها ولكن لأن قادة تلك الجيوش بما يمثلونه من طبقات وفئات اجتماعية ليس بينهم وبين إسرائيل تناقضاً جوهرياً فضلاً عن أن ما يمثله هؤلاء من الليبرالية ليس إلا جزءاً من الحضارة الغربية فكيف يستطيع أن يتحدى مثله الأعلى (لاشك أن إسرائيل تمثيل أكثر جودة للحضارة ولاشك أن الأنظمة العربية تمثيل متخلف للحضارة الغربية)، كما أن تلك الأنظمة قد دخلت الحرب كتنفيس لضغط الجماهير المسلمة عليها فهي ليست جادة في دخول الحرب.

(ب) وعلى الطرف المقابل تقوم الجماهير المسلمة والطلائع الواعية بالقتال البطولي مكملة طريق القسام.. (قام الإخوان المسلمون بقيادة البطل أحمد عبد العزيز بالقتال البطولي الرائع ضد اليهود وإلحاق قدر كبير من الخسائر بهم، وكذلك المجاهد البطل فوزي القاوقجي وعبد القادر الحسيني) إلا أن الأنظمة العربية تمنع الجيوش الجماهيرية المسلمة من إكمال انتصارها فتوقع هذه الأنظمة اتفاقية الهدنة، وهكذا تنتهي حرب ١٩٤٨م لتدرك الجماهير المؤمنة أن عليها أن تناضل بشكل جذري ضد تلك الأنظمة العميلة التي حالت دون انتصارها، وأدت بخياناتها إلى ضياع قلب الأمة الإسلامية وهكذا فإن حرب ١٩٤٨م أدت إلى:

(١) انتهاء حقبة الليبرالية العربية وإفلاس تلك الأنظمة وعدم قدرتها على الاستمرار فجاءت الخمسينيات لتحمل لنا أنظمة العسكر.

(٢) إن التناقض الرئيسي هو بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل.

(٣) إنه ليس ثمة تناقض رئيسي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.

مرحلة حرب ١٩٦٧

لم تنقطع نضالات الجماهير المسلمة داخل الأرض المحتلة وخارجها ضد إسرائيل ولكن نلاحظ أن فترة ١٩٤٩م ـ١٩٦٧م كانت تحمل بوجه خاص محاولة لسحق الكيان الإسلامي للأمة على كل المستويات حتى البسيطة منها، (اغتيال وشنق وسجن العديد من قيادات الحركة الإسلامية) مع تصاعد مد علماني قومي اشتراكي على المستوى الثقافي والفني والمؤسسي، ويأتي عام ١٩٦٧م لتتكرر نفس المأساة فالقيادة (هذه المرة الاشتراكية القومية) تترك جيوشها لتسحقها إسرائيل سحقاً دون أن تطلق رصاصة تحت ستار مهزلة انسحاب مازالت تحمل الكثير من الأسرار غير المفهومة على المستوى التفصيلي، ولا داعي لأن نكرر أن نفس تلك الأنظمة بما تمثله من قوى وأيديولوجية غير قادرة على مواجهة مثلها الأعلى (الحضارة الغربية) التي هي جزء ممسوخ ومشوه لها، كما أنها لا تملك في الأساس تناقضاً مع الكيان الصهيوني (يلاحظ بعض الطروح الغربية في تلك الفترة عن وحدة البروليتاريا العربية والإسرائيلية وغيرها من الترهات التي صدعنا بها السادة اليساريون في تلك الحقبة).

وهكذا يأتي عام ١٩٦٧م لينهي رسمياً حقبة الاشتراكية، وإن كانت بعض تلك الأنظمة قد عاشت بعدها إلا أنها عاشت في الوقت الضائع من عمرها مهما طال ذلك الوقت، وذلك بسبب عدم قدرة الحركة الإسلامية على التقدم والقيام باستلام زمام الأمة لأسباب خاصة.

وهكذا فإن الهجمة الصليبية الصهيونية منذ عام ١٩٦٧م قد استطاعت أن تحل تناقضاتها مع الأنظمة العربية لصالحها وما عليها إلا أن تتقدم لتصبغ كل

شيء بالصبغة الإسرائيلية، ولتفتح عصر الحقبة الإسرائيلية وخصوصاً أن الحركة الجماهيرية المسلمة قد تم ضربها ضربات موجعة، وبدا أن تلك الحركة لم تعد قادرة على التصدي للهجمة الصهيونية داخل كيان الأمة وعقلها ووجدانها ولكن هيهات.

تبدو ملامح تلك الفترة في:

(١) إقامة أنظمة عميلة مباشرة للقوى الإسرائيلية بمعنى أنها تتلقى أوامرها مباشرة من شارون وبيجين، وهذه الأنظمة أنظمة تلفيقية لا تملك أيديولوجية محددة فهي تارة ديمقراطية اشتراكية أو قومية أو....الخ.

(٢) إن تلك الأنظمة لا تملك أي تناقض مع إسرائيل، بل إن تناقضها الأساسي مع الجماهير.

(٣) يتم تزييف الثقافة والفن بشكل كامل لصالح إسرائيل (رفع كل ما يمت للتاريخ الحقيقي بصلة من المدارس ــ إغراق الأسواق بالأفلام والكتب والسلع ذات التوجه الإسرائيلي ــ منع خطباء المساجد من ترديد آيات القرآن التي تسب بني إسرائيل)... الخ.

ملاحظة هامة جداً * ظهرت كثير من البطولات الإسلامية في سيناء والجولان بدوافع شخصية إسلامية بحتة، بل وقام عرب سيناء المسلمون بكثير من العمليات العسكرية ضد إسرائيل ولم يفصح النظام عنها تمهيداً للحقبة الإسرائيلية.

* برغم الضعف الشديد للحركة الإسلامية في تلك الحقبة إلا أن الحركة الإسلامية قد تصدت لتلك الحقبة بشكل قوي جداً أسهم في تأخير الحقبة الإسرائيلية وتقليل كثافتها بشكل كبير.

* قلنا إن الأنظمة العربية لم تعد تملك تناقضاً مع إسرائيل والهجمة الاستعمارية، ووقعت في شرك العمالة المباشرة لإسرائيل، وسحبت بنادق جيوشها من اتجاه إسرائيل إلى اتجاه قلوب الجماهير المسلمة، وإن وظيفتها في تلك المرحلة ستكون ضرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وتغييبها وتزييف وعيها، إلا أن سقوط تلك الأنظمة سيكون متفاوتاً بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لكل منها، وقلنا إن الجماهير المسلمة هي وحدها التي تملك تناقضاً جوهرياً، وبالتالي تملك القدرة على التصدي لإسرائيل، وظهر مما سبق وطبقاً لهذا التحليل إن الأنظمة العربية لم تخض معركة واحدة مع إسرائيل وإنما كانت تهزم قبل أن تدخل المعركة، وإن القوة الوحيدة التي استطاعت أن تحقق انتصارات تكتيكية ضد إسرائيل هي قوة الجماهير المسلمة وإنها قادرة على الانتصار النهائي ما لم تحل الأنظمة العربية دون ذلك، حزب الله ـــ حماس ـــ الجهاد الفلسطيني.

طبيعة الكيان الصهيوني

لكي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي يمثل رأس الحربة الشيطانية بتحد مكافئ له ينبغي لنا أن ندرس طبيعة هذا الكيان من حيث نشأته ومن حيث طبيعته ومن حيث توجهاته.

المجتمع التوراتي

تستطيع أن تقرر بكل حزم أن المجتمع الصهيوني هو مجتمع توراتي تماماً من حيث نشأته، من حيث طبيعته ومن حيث توجيهاته، ولا داعي أن نكرر أن الصهاينة يلغون النصوص ويحرفونها ليؤيدوا وجهة نظرهم فهذا ليس من موضوع بحثنا.

ومسألة توراتية المجتمع الصهيوني واضحة تمام الوضوح في كل قواه السياسية وكافة الاتجاهات من يمين ويسار وحتى ملحدين.

"نشأ هذا البلد تنفيذاً لوعد العرب ذاته، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود".

جولدا مائير في تصريح لها لـ "لوماند" الفرنسية بتاريخ ١٥ مايو عام ١٩٧١م "لاحظ أن جولدا مائير رئيسة حزب العمل الإسرائيلي":

"لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها".

بيجين في أوسلو ونشرته صحيفة دافار عدد ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٨م وبيجين من كتلة ليكود:

"إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحبرون وأريحا وأماكن أخرى" تصريح موشى ديان لجيروزاليم بوست في ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٧م.

وهكذا يتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس الشعارات سواء كانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة ليكود ناطقين باسم الجيش أو باسم الحاخامية " التوراة ترسم كل شيء في إسرائيل".

ترسم ثقافة الأطفال في المدارس بناءً على توجيه بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في الدراسة.

الزواج في إسرائيل زواج ديني ولا يوجد زواج مدني كما أنه لا يوجد في دولة إسرائيل دستور لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة، كما أن التوراة ذاتها تعرف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي وهي ذاتها تحدد حدود الدولة بل وتبرر الحرب والإرهاب.

* علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً، وهو أن نغزو أرض العدو، صحيفة هاريتس ٥ / ٧ /١٩٨٢م على لسان حاخام برتبة نقيب، والمذابح ابتداءً من دير ياسين وحتى "صابرا وشاتيلا" تبررها التوراة. "وحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" سفر يسوع الإصحاح ٦ الآية ٢١.

وإن تصريح شعار دولة علمانية ديمقراطية في إسرائيل مجرد إلهاء ولهو، لأننا رأينا كيف أن الكيان الصهيوني، كيان توراتي حتى النخاع، وبالتالي فإن من يطرح هذا الشعار كمن يدفن رأسه في الرمال أو يريد مواجهة مجتمع بأسلوب لابد أن يفشل معه وليس مكافئاً له وهو يسحب سلاح الجماهير المسلمة منها ولا يسحب سلاح الصهاينة منهم، وبالتالي فهو طرح خائن ومرفوض فضلاً عن أن هذا الشعار مرفوض تماماً في إسرائيل، فإسرائيل في نشأتها وطبيعتها لا تنفصل عن التوراة وإلا سقطت، وبالتالي فإننا حين نطرح أن الصراع يجب أن يكون قرآنياً فإننا بالتالي نعطي تحدياً مكافئاً فضلاً عن أن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال قرآنها، وبالتالي فإنها حضارة توراتية بكل ما تملكه من إرهاب وعنصرية أمام حضارة قرآنية بكل ما تملكه من حرية وإخاء والصراع صراع حضاري.

المجتمع الصهيوني مجتمع عنصري

يدعي الصهاينة أن كل يهود العالم اليوم من ذرية جنس واحد وكتلة واحدة بأمر الرب، وهذه العنصرية تقوم أيضاً على أساس توراتي وتستمد وجودها من عناصر التوراة التي حرفها اليهود، وهكذا فإن اليهود هم شعب

الله المختار، وبقية العالم عبيد لهم، وهي فكرة مرفوضة من علم الأنثربولـوجي وعلم الآثار ومرفوضة أيضاً تاريخياً، ولكن يجب علينا كجمـاهير مـسلمة أن نطرح في مواجهتها شعار الأممية الإسلامية بمعنى أن نطرح شـعار الظـاهرة الثقافية في مواجهة الظاهرة العنصرية والظاهرة الرسالية المتفتحة علـى كـل المستضعفين في مواجهة القومية الدينية الضيقة الأفق، والإسلام يرفض فكـرة العنصرية والعرقية ويطرح المسلمون أن كل مستضعفي العالم من مسلمين وغير مسلمين في خندق واحد أمام كل القوى الشيطانية حتى لـو كـان فـيهم مستكبرون يتسمون بأسماء إسلامية.

إن جماهير المسلمين تطرح رسالة يقوم بها الإسلاميون التي يمكن أن ينتسب إليهم أي شخص بصرف النظر عن جنسه ولونه ويتحالف مع الإسلاميين كل المستضعفين، ويدافع هذا المعسكر عن كل المستضعفين حتى لو كانوا يهـوداً وهذا يسقط شعار القومية العربية في مواجهة القومية اليهودية.

الأسطورة التاريخية

ووفقاً لنصوص التوراة فإن الصهاينة يحاولون تلفيق التاريخ في المنطقة بشكل يجعل لليهود حقاً تاريخياً في فلسطين، وهكذا فإن اليهود يستعملون كل طاقتهم التاريخية في حشد قواهم ضد أمتنا وحضارتنا، وبالتالي فإن أي طرح يجابه هذا التحدي يكون غير متكافئ ما لم يحشد طاقتنا التاريخية والحـضارية أمـامهم وهكذا فإن على الجماهير المسلمة أن تتسلح بالوعي التاريخي لتستطيع مواجهة ذلك التحدي الحضاري.

أسطورة الصحراء الخالية

روج الصهاينة لأسطورة أن أرض فلسطين شبه صحـراوية، وأنها لا زرع

فيها ولا ضرع وعلى من شاء أن يأتي للحصول على ما يشاء من الأرض، هذا من ناحية ومن ناحية فإنهم يروجون للمعجزة الإسرائيلية الاقتصادية في أرض فلسطين، وعلينا كجماهير مسلمة أن نواجه ذلك التحدي بما يلي:

(١) دراسة البيئة الاقتصادية للمنطقة وإثبات أنها لم تكن يوماً ما صحراء.

(٢) إثبات تآمر الرجعية العربية والأسر الإقطاعية مع الصهاينة في محاولة نهب الأراضي التي كانت مزروعة و لم تكن صحراء.

(٣) التشبث بشدة بالبقاء بالأرض المحتلة ودعم صمود الأهالي داخل الأرض المحتلة، بل ودعمهم اقتصادياً لإقامة كيان اقتصادي عربي داخل الأرض المحتلة.

الكيان الصهيوني كيان استعماري

لابد أن نقرر هنا أن الكيان الصهيوني هو جزء من القوى الشيطانية التي تستهدف أمتنا بحضارتها ومصالحها ووحدتها وطبيعتها بوجود رأس الحربة الشيطانية،

يقول هرتزل في كتابه "الكتلة اليهودية ستكون جزءاً من حائط يحمي أوروبا من آسيا وستكون بمثابة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية" لاحظ أن آسيا هي القارة المسلمة وأن كلمة البربرية تعني المسلمين وهكذا فقد حدد هرتزل دور الصهيونية كجزء من القوى الاستعمارية وكحليف أساسي لها، وأنه سوف يؤدي دوره في ضرب حركة الجماهير المسلمة والوقوف كحائط أمام امتدادها، والكيان الصهيوني كيان استعماري من نوع استيطاني وهكذا فإنه يعتمد على الإرهاب والإفناء في محاولة التفريغ للأرض من سكانها والحلول محلها، وهكذا فإن كل يهودي يقيم في أرض إسرائيل فهو عدو لي مهما كان انتماؤه السياسي، وإسرائيل تعتمد سياسة التوسع وبالتالي فهي كيان

استعماري باستمرار استعماري بطبيعته، واستعماري بتركيباته، واستعماري بارتباطاته الاستعمارية وبدوره في المنطقة، وهكذا فإن مقولة التحالف بين البروليتاريا العربية والإسرائيلية التي يروج لها اليسار هي مقولة خائنة ومرفوضة، وعلينا أن نسقطها لأن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري بكل انتماءاته وطبقاته وهكذا فإن الطرح المكافئ لهذا يتمثل في:

(١) ضرب كل المصالح الاستعمارية وليس ضرب اليهود وحدهم.

(٢) اعتبار كل يهودي على أرض فلسطين مستباح الدم.

(٣) إن كل أساليب التفاوض والمهادنة إلهاء وتضييع للجماهير وصرفها عن دورها الحقيقي.

(٤) اعتبار حرب التحرير الشعبية الإسلامية هي الحل الوحيد.

الكيان الصهيوني كيان عسكري

تنفق إسرائيل أكثر من ٥٠ % من ميزانيتها على الجيش وبذلك يمكن اعتبار الكيان الصهيوني كياناً توراتياً استعمارياً عسكرياً وهذا يدعونا لأن نواجهه بأيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية وصراع حضاري متكافئ، ودراستنا لطبيعة المؤسسة الإسرائيلية توضح بجلاء عبث الدخول مع الكيان الصهيوني في حرب جيوش ولكن ترك الجماهير المسلمة لتواجه الكيان الصهيوني بحرب طويلة المدى.

الكيان الصهيوني كيان فاشي

والكيان الصهيوني بتركيبته وطبيعته وتوجهاته، كيان فاشي فالديمقراطية الإسرائيلية ديمقراطية بالنسبة لليهود وليست ديمقراطية بالنسبة لغير اليهود والتحدي المكافئ لهذا هو النضال المستمر لجماهير المسلمين لأجل انتزاع

حريتها داخل بلدانها ومزيد من إبراز الوجه الحقيقي للإسلام كرسالة تـؤمن بحرية الجماهير ومساواتهم.

بعض الملاحظات الهامة

قضية العداء للسامية

* معاداة اليهودية ترجع إلى أصل مسيحي وهي من مخلفات الفكر القسطنطيني الذي ورث تقاليد كهنة المعابد اليهودية وتقاليد الإمبراطورية الرومانية، فبعـد أن كانت تلك الكنيسة مستضعفة أصبحت تمارس الاضطهاد بمجرد استيلائها على السلطة وراحت تصب غضبها على كل الأديان الأخرى سواء كانـت وثنية أم يهودية ووجدت في اليهودية منافساً خطيراً ينبغـي القـضاء عليـه، واتهمت اليهود بأنهم عندما رفضوا الاعتراف بأن يسوع هـو المـسيح فقـد أصبحوا في عداد "قتلة الرب" — من كتاب برنا ولازار (اللاسامية) نشر عـام ١٨٩٤م.

* معادة اليهودية (اللاسامية) فكرة تخدم الصهيونية حيث إن أعـداء الـسامية يريدون التخلص من اليهود ولو على حساب إقامة دولة لهم في أراضي الغير.

* إنه لم يثبت في تاريخنا أي اضطهاد لليهود على يد المسلمين.

* إننا كجماهير مسلمة ترفض العداء للسامية ونعلن تضامننا مع كل مضطهد، وإننا نرفض فكرة اضطهاد اليهود من أساسها، لأن هذا موقف يأبـاه ديننـا الحنيف ولكننا بنفس القدر نرفض أن ندفع ثمن اضطهاد غيرنا لليهود.

إسرائيل والاستعمار الغربي

علينا أن نفهم أن هناك صراعاً جوهرياً بين القـوى الإسـلامية والقـوى الشيطانية وأن القوى الشيطانية تمثل في العالم:

* استعماراً غربياً، صليبياً. * كياناً صهيونياً.

* وأن هناك تناقضاً أيضاً بين تلك القوى وبعضها، وبالتالي فعلينا ألا نقع في وهم أن إحدى القوى يعمل لحساب الأخرى، ولكن علينا أن ندرك أن هناك مصالح مشتركة تجمع بينها.

أهمية إسرائيل للاستعمار الغربي

(١) إن الغرب الأوروبي يعرف خطورة مد الجماهير المسلمة عليه، وبالتالي فإسرائيل تبرز باستمرار أنها تعتبر بالنسبة لأوروبا الحارس ضد البربرية (البربرية تعني المسلمين).

(٢) تقوم إسرائيل بمهمة الشرطي في الشرق الأوسط وذلك للحفاظ على المصالح الغربية البترولية التي لم يعد الغرب ـ الولايات المتحدة ـ بقادر على أداء هذا الدور.

(٣) تصل إلى مراكز الأبحاث الغربية ووزارات الدفاع معلومات متصلة من إسرائيل بشأن أنواع الأداء لمختلف أنواع الأسلحة التي لم تستخدم بعد، وهكذا يستطيع الجيش الأمريكي مثلاً تجربة أسلحته المتقدمة في جيش إسرائيل، وهكذا فإن مقولة اليمين بأننا نستطيع إقناع أمريكا أو المجتمع الأمريكي بحقنا المشروع هو قول من قبيل التضليل، فقضية أهمية إسرائيل الإستراتيجية بالنسبة للاستعمار الغربي قضية محسومة.

إن هذا يدفعنا لإسقاط مقولة إن أوراق اللعبة بنسبة ٩٩,٥ % أو أي نسبة مئوية أخرى بيد أمريكا، وعلينا أن ندرك أن علينا الاعتماد على أنفسنا في مواجهة إسرائيل ومعرفة أن إسرائيل ليست وحدها في المعركة ولكن الغرب،

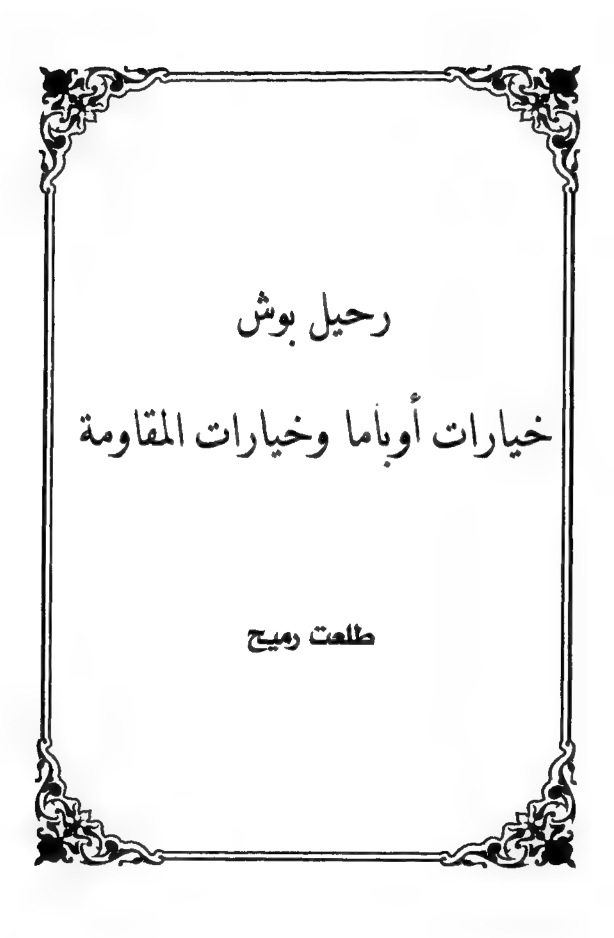
كل الغرب ضدنا ووفقاً لمصالحه، وهكذا فإن دراسة بنيان وطبيعة وتوجهات الكيان الصهيوني لمواجهة التحدي بتحد مكافئ، أبرز:

* إن الحرب حرب حضارة ضد حضارة.
* حرب انتماء.
* إنه ما لم نتسلح بأيديولوجيتنا الإسلامية فلا فائدة.
* إن حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى هي الحل الوحيد.
* إن الحروب النظامية بالنسبة لنا خسارة مؤكدة.

وهكذا فإن التحدي يبرز شعار

"أيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية"

وهي نفس المقولة التي يفرزها إسلامنا وقيمنا وواجبنا تجاه ربنا فليس هذا هو واجبنا تجاه الله فحسب ولكن جزء من طبيعة رسالتنا كما أنه هو التحدي الوحيد المكافئ للتحدي الصهيوني.



رحيل بوش

خيارات أوباما وخيارات المقاومة

طلعت رميح

رحيل بوش
خيارات أوباما وخيارات المقاومة

طلعت رميح

برحيل الرئيس الأمريكي جورج بوش و إدارة المحافظين الجدد عن قيادة الولايات المتحدة في يناير المقابل، تدخل الولايات المتحدة مرحلة سياسية جديدة، على المستويات الداخلية والخارجية بما يستدعي التدبر في ملامح تلك المرحلة الجديدة من قبل القوى التي تواجه وجود ودور الولايات المتحدة على الأراضي العربية والإسلامية، بالنظر إلى ما خلفته مرحلة حكم المحافظين الجدد[1] للولايات المتحدة، من حالات احتلال في العراق وأفغانستان والصومال ولطبيعة المساندة التي قدمتها تلك الإدارة للكيان الصهيوني وأثيوبيا .. الخ، إلى درجة يمكن القول معها، إن الولايات المتحدة طوال الحقبة الماضية قد كرست قدرتها (العظمى) في مواجهة شاملة مع الأمة الإسلامية من أدناها إلى أقصاها، إذا وضعنا في الاعتبار حجم الضغوط والممارسات العدوانية التي مورست على كل حكومات الدول الإسلامية، لتطويع إرادتها وتغيير سياستها ومناهج تعاملها مع مختلف قضايا السياسة الداخلية والخارجية.

غير أن "التدبر" في نوع وحدود ونتائج التغيير الحادث في الإدارة السياسية للولايات المتحدة، لتحديد طبيعة التغييرات المقابلة في استراتيجيات أو سياسات

[1] يبدو "التحوط" واجباً عند الحديث عن نتائج ما تبقى من مدة حكم الرئيس الجمهوري (جورج بوش) عن رئاسته للولايات المتحدة، وتقوم الفرضية الأساسية في تلك الدراسة على مغادرة (جورج بوش) لمقعد الرئاسة، دون القيام بأية عمليات عدوانية جديدة ضد أي من الأقطار الإسلامية، وهو الأمر الأغلب ترجيحاً.

قوى المقاومة الداخلية والعربية والإسلامية، هو أمر يتطلب تحديداً لبعض المفاهيم لإدراك محدداته، فضلاً عن الدراسة المتأنية للظروف الموضوعية الجارية التشكيل والتغير في المنطقة والعالم، بالنظر إلى الطبيعة المعقدة لعملية التغيير في الاستراتيجيات الأمريكية، رغم سلاسة التغيير في الإدارات السياسية التي تتولى الحكم، وباعتبار أن التغير في سياسات أو استراتيجيات قوى المقاومة هو أمر يخضع هو الآخر إلى ثوابت أصلية وإلى عوامل معقدة، لا ترتبط بالتغييرات الحادثة في سياسات أو استراتيجيات الخصم وحدها.

(١) حدود ومحددات التغيير في أمريكا

في رؤية وفهم محددات التغيير الذي جرى في الولايات المتحدة بوصول مرشح الحزب الديموقراطي (باراك أوباما) إلى مقعد الرئاسة، ينبغي التعرض لثلاثة قضايا، **الأولى**: القضية الدعائية والإعلامية، حيث ما يصل إلى المنطقة العربية يحوي بالأساس قدراً من الدعاية لصورة الولايات المتحدة بأكثر مما يدفع لفهم طبيعة التغيير، **والثانية**: فهم طبيعة العلاقة بين السياسة الداخلية ونظيرتها الخارجية لرؤية طبيعة التأثير والتأثر بين التغييرات الداخلية في السياسة الخارجية للدول، **والثالثة**: قضية العلاقة بين السياسات التي تتبعها الإدارات الأمريكية المتعاقبة والاستراتيجيات التي تعتمدها الولايات المتحدة، باعتبار أن طبيعة التغير في السياسات تختلف عن طبيعة التغيير في الاستراتيجيات.

(أ) الدعاية للتغيير

في الوضع الراهن، يبدو للمتابع أننا إزاء حملة إعلامية منظمة تستهدف الترويج لصورة جديدة للولايات المتحدة، تختلف عن تلك الصورة التي أطلت

على أمتنا بها خلال مرحلة حكم الرئيس الأمريكي (جورج بـــوش)، أو بالأحرى أننا إزاء تغيير الصورة الحقيقة للولايات المتحدة، التي قـــدمها هـــذا الرئيس "المتعجرف" للعالم دون رتوش أو أصباغ، كما يمكن القول أننا أمـــام محاولة لتحسين صورة الولايات المتحدة واستعادة بريقها الحـــضاري الـــذي افتقدته خلال السنوات الماضية والعودة بها وبنا إلى الصورة القديمة.

لقد دارت الآلة الإعلامية "العربية" ـ في أغلبها ـ طوال الأشهر الماضية، أي منذ بداية الانتخابات التمهيدية داخل الحزبين الديمقراطي والجمهوري، لتغرقنا في فيض متدفق من المشاهد والتطورات وإلاشاعات والألاعيب الجارية في تلك الانتخابات داخل كل حزب، حتى وصلت بالمتابعين (معصوبي الأعـــين) إلى داخل الصورة الكرنفالية والاحتفالية للانتخابات بين (باراك أوبامـــا وجـــون مكين)، فصارت تلاحق المشاهدين باستطلاعات الرأي، وتطلب حتى تصويتهم (أي المشاهدين والمتابعين من الخارج) على كلاً من المرشحين، هـــو أخطـــر وسائل الدعاية للانتخابات الأمريكية، والحضارة الأمريكية، إذ يجـــري دفـــع المواطن من المجتمعات الأخرى إلى حالة من الاستلاب السياسي والحضاري، إذ يرى الحضارة الأمريكية هي الأرقى وحضارته هي الأدنى والتخلف بعينه، بـــل هي تأخذه من متابعة ما يجري ببلاده، وما أن وصل (باراك أوباما) إلى السلطة حتى تحولت تلك الدعاية "المبطنة" للحديث عن "هذا التغيير الكبير والمهم" في القيادة الأمريكية دون أن تنسى تذكيرنا (أو تطرق رؤوسنا)، بهذا الرئيس الذي مثل "بالحلم الفردي" وأثبت كيف أن هذا الذي ينحدر من أصول أفريقية، و لم يكن إلا ابن مهاجر عابر، وتربى في مآس الفقر، قد أصبح رئيساً لأكبر دولة في

العالم إلى درجة أن صرنا أمام قصة كفاح تقدم كنموذج للإنسانية، وأمام مجتمع هو القادر وحده على اجتراح المعجزات.

والأهم من كل ذلك أن جرى تقديم "الرئيس الجديد" بصفته مختلف جذرياً عن ذاك الرئيس الراحل أو الآفل، وأنه داعية للحوار ومتصالح في رؤيته للسياسة الخارجية، يسعى للحوار مع الأعداء، وفي المقابل من ذلك كانت الرسالة الإعلامية تزرع في عقولنا، إن ما جرى من قبل أمريكا كان نتيجة لانحرافات (جورج بوش) عن مسيرة أمريكا.

وهنا ينبغي التنويه لثلاثة جوانب، **الأول**: هو معرفة الإطار العام للحركة السياسية وكيف تجري العملية الانتخابية في الولايات المتحدة، إذ أن المجتمع الأمريكي لم يتمكن عبر تاريخه من "إعادة إنتاج" الفكر السياسي ومدارسه السائدة، بل هو توقف عند حدود نشأة الحزبين الجمهوري والديمقراطي منذ نشأة البلاد واستقلالها وتوحدها، دون قدرة على تغيير تلك الثنائية من خلال ظهور أو ميلاد أي حزب آخر (ذو شأن) وهو ما يشكك في طبيعة وظروف المكون السياسي الذي تجري "بينه" اللعبة الانتخابية وكأنها لعبة بين طرفين لاحتلال كرسي واحد.

الثاني: هو ضرورة إدراك أبعاد وخفايا لعبة "صناعة الرئيس" في هذا البلد، إذ نحن أمام دورة بالغة التعقيد في تركيب وعمل مصفاة اختيار الرئيس، ولسنا أمام دورة انتخابية بالمعنى "الجماهيري" التي يتقدم من خلالها مرشح أمام جماهير الشعب الأمريكي ضمن حالة حقيقية من حرية الاختيار، نحن أمام شخصيات يجري تصنيعها واختبارها داخل معامل وأروقة الحزبين، ليوضع

الشعب الأمريكي أمام اختيار بين اثنين، إما الجمهوري (ورمزه الفيل) وإما الديمقراطي (ورمزه الحمار)، دون ثالث.

الثالث: هو أن صناعة الرئيس ونجاحه من عدمه هو "عملية إعلامية" أكثر مما هي عملية سياسية أو جماهيرية، وفي ذلك يبدو الإعلام هو المعطى الأول، كما يظهر أننا أمام "تغيير" عقول المتابعين (لإقناعهم) ولسنا أمام صراع سياسي، إذ الدعاية والإعلان ـ بتكاليفها الضخمة ـ هي الجانب الأقوى دوراً، ولذا وصلت تكلفة تلك الانتخابات إلى ما يزيد على مليار دولار أغلبها أنفق على الإعلانات الدعائية.

(ب) السياسة الداخلية و نظيرتها الخارجية

والقضية الثانية التي ينبغي التعرض لها لفهم طبيعة ومحددات التغيير الذي جرى في الولايات المتحدة وحدوده هي قضية مفاهيمية، فإذا كانت قضية الدعاية ودورها في اختيار وصناعة الرئيس والترويج له داخلياً وخارجياً هي قضية إعلامية ـ وفي جانب منها هي قضية إجرائية وفي جانب آخر هي قضية ترويجية ـ فإن قضية العلاقة بين التغييرات الداخلية والتغييرات في السياسة الخارجية هي قضية "مفاهيمية"، وفي المفهوم العام، فإن السياسة الخارجية لأي بلد هي انعكاس للأوضاع الداخلية وللسياسات الداخلية السارية في هذا البلد، أو بالدقة تمثل السياسة الخارجية امتداداً لمصالح هذا البلد أو ذاك في علاقاته الخارجية لأي بلد، وفي ذلك نحن أمام "معنى شامل" حيث الرؤية التي تتشكل وفقها السياسة الخارجية لأي بلد تمثل انعكاساً شاملاً لأفكار ومفاهيم وعقائد وأيديولوجيات ومحصلة مصالح هذا البلد في علاقاته مع البلدان أو المجتمعات الأخرى، وفي الأمر معنىً أكثر تحديداً أو مباشرة، فإذا كان هذا البلد تسوده

قيم استعمارية للشعوب الأخرى، ولديه من الشركات ما يتطلب الحصول على المواد الخام وعلى أسواق لتوزيع المنتجات على المستوى الدولي، وتسيطر على قيادة المجتمع فيه نخب تمثل مصالح تلك الشركات..الخ، فإن السياسة الخارجية لهذا البلد ستكون في جانب أساسي منها انعكاس لتلك المفاهيم وترجمة لتلك المصالح، بما يتطلب فتح الأسواق الخارجية أمام التصدير والاستيراد، وتوسيع الصلات السياسية والثقافية والديبلوماسية والتجارية والاقتصادية مع الدول المستوردة للمواد الخام (الأولية) والدول المستوردة، أو فعل هذا وذاك وفق معادلات القوة والنفوذ والسيطرة العسكرية، أي الحالة الإستعمارية.

وفي ذلك تبدو المصالح متباينة بين الشركات ذات الطابع المدني في الإنتاج وتلك ذات الطابع العسكري مثلاً، إذ الأولى قد يكون اهتمامها الأساس بتوسيع حركة التجارة وفق أساليب النفوذ والعلاقات الثقافية والسياسية والتجارية، بينما يكون الاهتمام الأساس للثانية في إشعال الحروب، أو الاقتراب من مساحات الصراعات الدولية، لدعم فريق ضد فريق ـ ضمن الرؤية العامة للدولة ومصالح المجتمع ـ أو حتى لدعم الفريقين المتصارعين، والتدخل المباشر في الحروب مع دول أخرى، وفي كل ذلك يظل المعنى العام هو أن السياسة الخارجية هي انعكاس لمحصلة المصالح الداخلية في هذا البلد في العلاقات مع الدول الأخرى.

ولذلك، وفي محاولة فهم وإدراك قضية التغيير الذي جرى في الولايات المتحدة، أمام تساؤلات ينبغي الإجابة عنها ومنها: ما الذي تغير بالدقة في الأوضاع المفاهيمية للمجتمع الأمريكي، وما الذي تغير في نمط مصالح الشركات الكبرى في الولايات المتحدة، وما هو حجم التغيير الذي جرى في

الأوضاع الداخلية سياسياً واجتماعياً، حتى يمكن القول بأن ثمة "انقلاباً أو تغييراً جذرياً في السياسات والاستراتيجيات الخارجية للولايات المتحدة؟ بل وما هو حجم التغيير الذي جرى في النخب الحاكمة، وكيف يمكن تصور حدوث تغيير جذري بينما نحن أمام نجاح للحزب الديمقراطي ــ وليس فرد اسمه أوباما ــ الذي كان حاكماً من قبل للولايات المتحدة عبر دورات انتخابات الرئاسة والكونجرس، هل نجح أوباما كحالة فردية أم هو نجح بترشيح ودعم ومساندة الحزب الديمقراطي؟.

(ج) ثبات الاستراتيجية وتغير السياسات

والقضية الثالثة في محددات فهم طبيعة وحدود التغيير الذي نتج عن انتخاب أوباما (مرشح الحزب الديمقراطي) وفشل مكين (مرشح الحزب الجمهوري)، هي طبيعة العلاقة بين الاستراتيجيات الثابتة للدول والسياسات المتغيرة مع تغير الرؤساء والحكومات، إذ لو تصورنا أن استراتيجيات الدول ــ خاصة تلك التي لها استراتيجيات ذات طابع دولي ــ قابلة للتغير كل أربع سنوات مع تغير الرئيس الجالس على كرسي الحكم، لكنا أمام فوضى عارمة، ولصح القول بأن لكل رئيس استراتيجية، وهو ما يعني بالدقة عدم وجود استراتيجية أصلاً.

الدول لا تتغير استراتيجياتها، إلا عبر تغييرات حادة وإجمالية في أوضاعها الكلية (بالمعنى الحضاري والسياسي والعسكري والاقتصادي)، بينما الإدارات السياسية للدول (ولذلك يستخدم الأمريكيون تعبير الإدارة الأمريكية)، تعبيراً عن ثبات الاستراتيجية مع تغيير في السياسات لتحقيق الأهداف استراتيجياً.

وواقع الحال أن استراتيجيات الدول هي خطة تتشكل بالارتباط والمزج بين المفاهيم المستقرة والسائدة في المجتمع من جانب، والمصالح والأهداف

والتحديات الثابتة لمصالح وتطور هذا المجتمع لمرحلة طويلة وممتدة من جانب ثاني، كما هي تبنى على ثوابت الأمن القومي لكل بلد، التي بدورها تستمد من طبيعة تكوينه وجغرافيته والتحديات الأساسية التي تفرضها عليه وصراعاته الإقليمية والدولية تاريخياً .. الخ، ولذلك هي تحمل مقومات الاستمرار، كما هي عملية تطورية يصعب الإمساك بنقطة فيها لتحديد نقطة بدايتها، أو مفاصل تطورها ـ ولا نقول تغييرها ـ إلا عبر فترات ومراحل زمنية طويلة.

ولذلك فإن تغيير الرؤساء لا يمكن له أن يرتبط أو يتبع بتغيير الاستراتيجيات، إلا في حالات التغيير الشامل داخل المجتمع والدولة ولأوضاع تلك الدول داخل محيطها الحيوي (دولياً أو إقليمياً)، بما يتطلب تغييراً في الاستراتيجيات تنعكس في السياسات الخارجية، بل وحتى عملية التغيير الكبرى تلك لا يمكن لها أن تخرج في الممارسات عن "طبيعة ثوابت الأمن القومي لكل بلد" (وفي ذلك يبدو ما جرى في الثورة الخمينية مثالاً ونموذجاً إذ جرى الإطاحة بالشاه وتغيير النخب الحاكمة، دون الخروج على ثوابت الأمن القومي لإيران).

وهنا يبدو من الضروري تحديد مستوى التغيير الحادث في الولايات المتحدة بمجيء باراك أوباما، ضمن حدود التغيير في السياسات وفي الاستراتيجيات.

(٢) أسباب التغيير ودلالاتها

في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن أهمية وخطورة هذا التغيير الحادث، ويجري تبشير العالم كله بأن تغييراً كبيراً أو خطيراً جرى في الولايات المتحدة، كما تحدق الأعين في عملية نقل السلطة بين بوش وأوباما ـ وكل ذلك يقع ضمن الدعاية والترويج للولايات المتحدة ـ فإن التساؤل الأهم أو لنقل

الجوهري، هو تساؤل عكسي وهو: هل كان من الممكن أن لا يحدث تغيير في من يجلس على كرسي الرئاسة الأمريكية في ضوء كل الكوارث التي جلبها جورج بوش للولايات المتحدة؟، التساؤل العكسي هو الطبيعي والأصح، وفي ذلك تبدو أسباب التغيير هي المعطى الأول في فهم طبيعة التغيير الحادث في الولايات المتحدة، كما هو الأساس الذي يجب أن تبنى عليه استراتيجيات وسياسات ومواقف قوى المقاومة التي تتصدى للاستراتيجية والسياسات الأمريكية في المنطقة باعتبارها تهتم ببواعث التغيير ودلالاتها لرؤية طبيعة التغيير وحدوده ومؤثراته ومجالاته ووضع خطط التعامل معها.

وفي فهم أسباب التغيير يمكن القول بأننا إزاء "ثلاث" حزم من الأسباب:

الحزمة الأولى: هي أن الولايات المتحدة وصلت إلى أفق مسدود على المستوى الدولي، بل هي بدأت تتراجع على مستوى قدرتها في الانفراد بالسيطرة على العالم أو مجريات السياسة الدولية، وهو ما ولد قلقاً كبيراً داخل النخب الأمريكية الفكرية والسياسية والاقتصادية، لقد تسلم الجمهوريون (جورج بوش الابن) الحكم من الديمقرطيين (إدارة كلينتون) والولايات المتحدة تمارس قدراً هائلاً من السيطرة والنفوذ في العالم، و انتهى الأمر في ختام رئاسة (جورج بوش) والولايات المتحدة في حالة استنزاف حضاري وعسكري واقتصادي وسياسي، إلى درجة جعلت حلفاؤها الأوروبيون يطلبون التحول من حالة التبعية لها إلى حالة الشراكة والندية معها (وفق الوثيقة التي أعدها الاتحاد الأوروبي وسلمها وزير الخارجية الفرنسي لأوباما)، ولدرجة اقتربت منها الصين على نحو أسرع من احتلال مرتبة متقدمة على المستوى الاقتصادي (بعض الاقتصاديين الأمريكين لا يرون حلاً للأزمة الاقتصادية

الأمريكية سوى طلب قرض بمبلغ ٥٠٠ مليار دولار من الصين)، وكذا تحولت روسيا ــ في ختام حكم جورج بوش ــ إلى فاعل على المستوى الإقليمي والدولي إلى درجة الندية الشديدة القوة للولايات المتحدة ..الخ، والأخطر أن كل ذلك جرى ويجري، والبريق الحضاري للولايات المتحدة يكاد ينطفئ، بعد أن تحولت إلى عدو أول للدول والمجتمعات والحركات الإسلامية، بما أصاب سياساتها ومشروعيتها بالانكسار والعزلة في العالم الإسلامي .. الخ.

الحزمة الثانية: هي أن الولايات المتحدة قد تدهورت في أوضاعها الاقتصادية الداخلية على نحو بات مؤثراً بقوة على حياة واستقرار المجتمع الأمريكي إن لم يكن النظام الرأسمالي كله، لقد تسببت الأزمة الاقتصادية في انهيار مؤسسات مالية وشركات صناعية وما يزال الحبل على الجرار (بما رفع نسبة البطالة وأضعف قدرة المؤسسات المالية والشركات الصناعية على المنافسة الدولية، بل وعلى الاستمرار لدى بعض الشركات الكبرى، كما تسببت الأزمة الاقتصادية في تدهور أوضاع القطاع العقاري وطرد آلاف الأمريكيين من منازلهم .. الخ.

الحزمة الثالثة: وهي أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) كممثل للمسيحية الصهيونية أو المحافظين الجدد، قد أحدثت سياساته وأفكاره قدراً كبيراً من السخط الداخلي، خاصة بين النخب في الدولة والمجتمع الأمريكي لأسباب تتعلق بتقليص الحريات المدنية، بعد سنّ قوانين المراقبة وتقليص الضمانات للحرية السياسية، ولاشاعته جواً من الخوف و الإرهاب الذي أصاب المواطنين الأمريكيين في نعمة الاستقرار والطمأنينة، والأهم أنه قام بأخطر محاولة لتغيير مفاهيم المجتمع الأمريكي وقيمه من البرجماتية إلى العقائدية أو الأصولية الدينية.

وهكذا توافرت للتغيير أسبابه الخارجية والداخلية، وفقــاً للإجابــة عــن السؤال: وهل كان بالإمكان تصور احتمالات عدم التغيير؟، ولكن الأهم هو كيف نتعامل مع تلك التغيرات في أوضاع الولايات المتحدة، في ضوء رؤيتنا لما هو متاح من خيارات أمام الإدارة الأمريكية "المتغيرة".

(٣) دور المقاومة في العالم الإسلامي

هنا يبدو ضرورياً البحث عن السبب الحاكم والمحرك لتراجــع الولايــات المتحدة دولياً وأزمتها الاقتصادية ولتغول جهاز السلطة التنفيذية على السلطات الأخرى، وتضييق الحريات المدنية .. الخ، والذي كان خلف الأسباب ســابق الإشارة إليها، التي ولدت إمكانية التغيير من الجمهوري إلى الديمقراطي، والتي جعلت المواطن الأمريكي يتخلى عن عنصريته وينتخب رجلاً أسوداً من خارج دائرة اللعبة الانتخابية التقليدية، لقد أذاعت وسائل الإعلام ــ نقلاً عن المراكز البحثية ــ أن تحليل عينات المصوتين في الانتخابات الأمريكية، أفــادت بــأن نحو٦٠% من المصوتين قد حددوا موقفهم في الانتخابات بناءً علــى تبعــات الأزمة الاقتصادية، وأن نحو١٠ % حددوا موقفهم في الانتخابات بناءً علــى الحرب في العراق، وأن١٠ % بناءً على موقفهم من الحريات المدنية .. الخ.

وفي ذلك يبدو من القراءة الأولية، أن الأزمة الاقتصادية (نتائجها الداخلية) كان لها التأثير الحاسم في هذه الانتخابات وفي التغيير الذي جرى من الحــزب الجمهوري إلى الديمقراطي، غير أن القراءة المدققة لهذه الإحصاءات تكشف أن المقاومة العراقية بشكل خاص والإسلامية في مختلف مناطق العالم الإســلامي بشكل عام كانت العامل الجوهري في تحفيز هذا التغيير، إذ أن دورها كــان الأساس لكل العوامل الأخرى إلى درجة تجعل من الممكن القول بــأن٨٠ %

من الناخبين الأمريكيين صوتوا لأوباما، وأحدثوا التغيير من الجمهوري إلى الديمقراطي نتيجة لدور المقاومة في العالم الإسلامي.

لقد كان الاقتصاد الأمريكي مترنحاً منذ فترة طويلة (خلال نهايات الحرب الباردة)، بل جاء العدوان على العراق ثم غزو واحتلال هذا البلد، وفق رؤية لدى الجمهوريين لحل أزمة هذا الاقتصاد، من خلال الاستيلاء المباشر على الثروة العراقية والانطلاق من بعد للسيطرة الكاملة على البترول العربي والإسلامي وفق مجريات استراتيجية السيطرة على "الشرق الأوسط"، كما جاء العدوان والغزو والاحتلال للعراق ـ وكذا أفغانستان ـ ضمن خطة إضعاف الأقطاب الدولية الأخرى الصاعدة في العالم (من خلال السيطرة على البترول) خاصةً الصين وأوروبا والبرازيل (روسيا بلد مصدر)، كما يعلم الجميع أن التضييق على الحريات المدنية في الولايات المتحدة، جاء لقمع وإجهاض الاحتجاجات الشعبية الأمريكية على تلك الحرب، حتى لا تتحول إلى نمط آخر مشابه للاحتجاجات التي جرت على حرب فيتنام.

لقد كانت مقاومة وصمود العراق منذ بداية عدوان عام ١٩٩١م، واشتعال المقاومة العراقية بعد الغزو والاحتلال عام ٢٠٠٣م، هي ما أجهض خطة السيطرة على البترول العراقي، وجعله في داخل دورة الاقتصاد الأمريكي، كما كان فعلها ودورها هو الذي "أشغل" الولايات المتحدة عن ممارسة الضغوط والحصار على الأقطاب الدولية الأخرى، وكذا كان نشاطها هو ما دفع الجمهور الأمريكي للتحرك ضد الحرب (بسبب جثث القتلى الأمريكيين العائدين ولذا منعت وزارة الدفاع الأمريكية نشر صور لتوابيت الجنود العائدين قتلى من العراق)، وما دفع إدارة (جورج) لإصدار قوانين قمع الحريات في

الداخل الأمريكي، إضافة إلى دورها في إطفاء بريق الولايات المتحدة كحضارة ودولة جاذبة.

وكذا أن المقاومة العراقية (اشتعالها واستمرارها) هو ما أصاب الاقتصاد الأمريكي في مقتل بسبب الإنفاق العسكري، أو بالدقة لقد نجحت المقاومة العراقية في استنزاف القدرة الاقتصادية والقوة العسكرية الأمريكية، لتحول الحرب "الاستباقية" الأمريكية من أجل تقوية اقتصادها إلى حرب إنهاك واستنزاف لهذا الاقتصاد، لذلك شاهدنا كيف جرت "المعارك السياسية" في الكونجرس الأمريكي حول الاعتمادات المالية المخصصة لاستمرار العدوان والحرب خلال الفترة الثانية من رئاسة جورج بوش.

وفي ذلك كان الأمر جلياً من قبل، إذ جاء انتخاب الديمقراطيين وأوباما نتيجة منطقية للتغيير الذي حدث من قبل خلال الانتخابات الرئاسية والتشريعية السابقة، التي حقق فيها الديمقراطيون تقدماً كبيراً في مجلس النواب ومجلس الشيوخ (السيطرة على المجلسين) والتي كانت قضية العراق هي الحاضر الأكبر فيها وبشكل مباشر، ودون "مؤثراتها الاقتصادية المباشرة على الداخل الأمريكي، والإشكالية الآن هي أن المتابعين لما جرى مؤخراً أمسكوا بالمؤشرات الظاهرة أو بالنتائج (الأزمة الاقتصادية والحريات المدنية) وتركوا السبب الخلفي والجوهري والأساس.

وإذا كانت المقاومة العراقية هي الأكبر دوراً في مؤثراتها، فإن المقاومة الفلسطينية والأفغانية والصومالية _ إضافة إلى مختلف أشكال المقاومة الفكرية والسياسية والإعلامية في كل بلدان العالم الإسلامي _كان لها إسهاماتها في تحقيق التغيير في قدرة الولايات المتحدة وعوامل قوتها هي الأخرى.

وإذا كانت المقاومة الأفغانية والفلسطينية واضح دورها وتأثيرها ـ على الولايات المتحدة وحليفها الكيان الصهيوني ـ فإن المقاومة الصومالية قد ساهمت بدور غير مباشر في إنهاك الحليف الأمريكي الأكبر في القرن الأفريقي (أثيوبيا) وكذا الاقتصاد الأمريكي، باعتبار الولايات المتحدة هي التي مولت الاحتلال الأثيوبي للصومال، وكذا فإن المقاومة السياسية والفكرية والإعلامية في كل بلدان العالم الإسلامي، هي من ساهم في فضح الخطط الأمريكية وكشف أبعادها وإظهار الجوهر الحقيقي للحالة العدوانية الأمريكية ـ إلى درجة جعلت المثقفين الأمريكيين يصدرون وثيقتهم الشهيرة "لماذا يكرهوننا"ـ وهي ما أزال البريق الحضاري "الزائف" عن المجتمع والحضارة الأمريكية، إلى درجة أقلقت بل أفزعت النخب الأمريكية، والأجهزة الأمريكية التي تعمل من أجل الحفاظ على قدرة وهيبة الولايات المتحدة خارجياً.

لقد جرت معركة "طاحنة" على المستوى الفكري والسياسي والإعلامي بين المقاومة بمختلف أشكالها والولايات المتحدة، مما دفع وزارة الدفاع الأمريكية إلى تأسيس (مركز الكذب الاستراتيجي)، والبيت الأبيض إلى تعيين مسؤوليه عن الدعاية الموجهة إلى العالم العربي والإسلامي، لكن كلاهما فشل.

(٤) خيارات إدارة أوباما

يبدو التوصيف الدقيق للمحصلة العامة لنتائج عملية التغيير التي جرت في الولايات المتحدة هو أنها مؤشر لحالة تراجع للقدرة الأمريكية على المستويات الدولية وعلى مستوى الأوضاع الداخلية للولايات المتحدة، وأن الأسباب الخارجية كانت هي المعطى الأول بينما جاءت العوامل الداخلية كمعطى تابع للأول، كما يظهر أن الأطراف الأخرى على المستوى الدولي قد حصلت على

مساحات للقوة والنفوذ والتأثير في القرار الدولي على حساب الولايات المتحدة، وأن التراجع الأمريكي قد أصبح تراجعاً شاملاً وعنواناً لمرحلة طويلة ـ بغض النظر عن الانتخابات ـ إذ هو طال القوة والهيمنة العسكرية، كما كشفت عنه وقائع الصراع الروسي – الجورجي وما تلاها من تطورات استعراض القوة الروسية في العالم، والقدرة السياسية والدبلوماسية كما كشفت عنه وقائع التراجع الحادث في منطقة "الشرق الأوسط" مما جعل أطرافاً أخرى في المنطقة (خاصة الدول الإقليمية) تحتل مساحات وتمارس المناورات السياسية لتعزيز أدوارها ومصالحها، وعلى المستوى الاقتصادي وهو ما كشف عنه انعقاد قمة الدول العشرين في بكين ـ قبل انعقاد دورتها الثانية في واشنطن ـ الذي كان أشبه بتحول "البندول" الاقتصادي من أقصى القارة في واشنطن إلى بكين (خاصة وأن أوروبا هي من سعى إلى عقد تلك القمة في بكين)، وكذا ما حدث من بعد، إذ حلت مجموعة دول العشرين محل الدول الثماني الكبار في إدارة الاقتصاد الدولي.

وفي ضوء كل ذلك، فإن خيارات أوباما هي خيارات "تضييق" على المستوى الاستراتيجي الدولي، وتطرح احتملات قوية لدرجة ما للانكفاء على الداخل، لإعادة البناء والترميم مع تغيير في الاستراتيجية الدولية بحكم احتلال الدول الأخرى لمساحات من السيطرة والتأثير على القرار الدولي (عسكرياً واقتصادياً وسياسياً)، هذا التغيير لا علاقة له بأوباما ولا بالحزب الديمقراطي ولا الجمهوري بل هو ضرورة واقعية عملية، لتغير موازين القوى في العالم.

وهنا تبدو الملاحظة الأهم هي أن مثل هذا التغيير في الوضع الدولي، هو حالة صراعية وليس تسليماً وتسلماً بين الدول الكبرى، هذه الحالة الصراعية

هي العنوان الأبرز للنمط الجديد من الاستراتيجية الأمريكية التي سيجري اتباعها من قبل إدارة أوباما، لإدارة أزمة تراجع الولايات المتحدة، ومنع حدوث تدهور حاسم في أوضاعها الدولية، ولاستخدام أفضل الوسائل للحفاظ على مكانة الولايات المتحدة وفق الأوضاع الدولية الجديدة، وفي ضوء الأوضاع الداخلية الجارية الآن.

لقد بادرت روسيا بالهجوم والتصعيد مع اليوم الأول لإعلان فوز أوباما في الانتخابات الأمريكية، إذ أعلن الرئيس الروسي عن نشر صواريخ جديدة (إسكندر) على الحدود الروسية البولندية، موجهة للدرع الصاروخي (بولندا عضو حالي في حلف الأطلنطي) ومن بعد هي عرضت التراجع عن نشر الصواريخ في مقابل تخلي الولايات المتحدة عن خطة الدرع الصاروخي، كما شددت روسيا من إصرارها على تغيير النظام الاقتصادي الدولي ليصبح القرار الاقتصادي دولياً وفق نظرة تعدد الأقطاب.

كما بادرت أوروبا بالتوافق على وثيقة جديدة لتنظيم العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة تنقلها من حالة التبعية التي كانت سارية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن إلى حالة الشراكة، التي تقوم على أن أوروبا هي ند وشريك للولايات المتحدة (حسب الوثيقة) وأنه لم يعد من الممكن لدولة واحدة أن تُسير دفة القرار الدولي، ومن بعد سعت أوروبا إلى تطوير علاقتها مع روسيا متخطية الموقف الأمريكي من قضية جورجيا وقضية نشر صواريخ إسكندر الروسية.

كما تباطأت الصين في دعمها السابق الدائم للاقتصاد الأمريكي (من خلال شراء سندات الخزانة الأمريكية التي تمول الميزانية الأمريكية)، كما هي لم

ترحب بمنح الولايات المتحدة قرض بمبلغ ٥٠٠ مليار دولار لإنقاذها من مأزقها الحالي، مع إشارات "غير رسمية" إلى شروط تطلب تحقيقها في مقابل هذا القرض، وهذا وغيره هو ما يضيق مساحة الخيار والمناورة على الإدارة الأمريكية الجديدة ويضعها في مأزق حقيقي.

ووفقاً للمعطيات المتوفرة عن ما يجري حتى كتابة هذه الدراسة، فإن إدارة أوباما لأزمة تراجع الولايات المتحدة ستقوم على المحاور التالية:

أولاً: على المستوى الداخلي

لا شك إن إدارة أوباما ستحدث تغييرات هيكلية في نمط الإدارة السياسية للحكم، إذ مؤشرات المفاوضات حول التعيينات الأساسية في إدارة أوباما، تشي بأنها ستكون أقرب إلى تشكيل نمط من الحكم "المتقارب أو المشترك" بين الجمهوريين (من غير جماعة المحافظين الجدد) والديمقراطيين، أو لنقل إننا أمام سابقة متميزة في التاريخ الأمريكي هي أقرب إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية لمواجهة الأخطار التي تتعرض لها الولايات المتحدة حالياً، والتي تستدعي الخروج بدرجة أو بأخرى عن الحالة الحزبية التقليدية، وعلى المستوى الاقتصادي ستعكف إدارة أوباما على إعادة دفع الاقتصاد الأمريكي مع الحرص على تقليل الآثار الاجتماعية التي أصابت المجتمع الأمريكي، وهو ما لا يمكن أن يتم دون تعظيم دور الدولة في إدارة الاقتصاد، وفي كل ذلك ليس أمام إدارة أوباما سوى التراجع عن كثير مما نتج عن حكم الإدارة السابقة في مجالات الحريات لإعادة دفع دورة الحيوية داخل المجتمع الأمريكي، وهنا فإن القضية الأصل التي تهم المتابعين لما يجري (من خارج الولايات المتحدة) هي أننا أمام ولايات متحدة ستركز قدراً مهماً من جهدها على مواجهة الأزمات

الداخلية، وهو ما سيؤثر ـ على نحو أو آخر ـ على دورها وسياستها الخارجية على الأقل لأن المجتمع الأمريكي يحتاج إلى نمط من التغيير في ثقافته وأنماط حياته للتعاطي مع المتغيرات الجديدة بما سيصعب مهمة إدارة أوباما.

ثانياً: على مستوى الوضع الدولي

لا شك إن إدارة أوباما ستحاول الخروج من المأزق الراهن عبر التسليم بمعطيات الوضع الدولي الجديد وفق حالة مراوغة تضمن إتاحة الوقت اللازم لإعادة إطلاق قوة الولايات المتحدة، لقد طرح أوباما فكرة الحوار كما إن الدول الأخرى راغبة في الحوار مع الولايات المتحدة، لكن باتجاه تقليص هيمنتها وسيطرتها على العالم، وفي ظل المعطيات الراهنة وأفقها المنظور ليس أمام إدارة أوباما إلا العودة إلى الشعارات الأمريكية القديمة المتعلقة بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وفق نمط تبشيري ودون الدخول في صراعات في داخل الدول كما فعل بوش، كما ليس أمامها في إدارة النزاعات الدولية الراهنة إلا الوصول إلى نمط من المواءمة بين المصالح الأمريكية ومصالح الدول الكبرى الأخرى والدول الإقليمية في كل منطقة من مناطق العالم من أجل تطوير وإصلاح الأوضاع في الداخل الأمريكي أولاً، وتقليص مساحات الصراع الجارية لغير مصلحة الولايات المتحدة، كما سيضطر أوباما إلى إخلاء بعض مساحات النفوذ التي تتعرض فيها الولايات المتحدة إلى صراعات تستنزف قوتها وقدرتها وطاقتها، دون إنهاء الوجود الأمريكي، أي إنه سيلجأ إلى مخطط لتسكين الصراعات بانتظار عودة القوة الأمريكية للاندفاع مجدداً.

(٥) خيارات المقاومة

المقاومة مثلها مثل كل تعبير عن مصالح مجتمع (سواء كان التعبير من خلال

دولة أو من خلال حركة تحرير) تتحدد استراتيجيتها وفق نفس الأسس التي سبق الإشارة إليها من قبل.

فأهداف المقاومة في التحرير والبناء واستراتيجيتها هي خلاصة كلية لأفكار وعقائد وأهداف ومصالح المجتمع الذي تدافع عنه، كما يجري تشكيل أطرهـا ومحدداتها من خلال ثوابت الأمن القومي للمجتمع ومهدداته الثابتة.

والمعنى أن استراتيجيات المقاومة مثلها مثل كل الكيانـات والمؤسـسات والدول، لا تتحدد وفق سياسات الخصم أو التغييرات الجاريـة فيـه ـ إلا في جانب طرق المواجهة وأدواتها ـ ولا تتأسس على علاقاتها بهـذا الطـرف أو ذاك، بل على الأفكار والرؤى والمصالح وثوابت الأمن القومي لمجتمعها وأمتها.

وفي ذلك ينطبق كل ما ذكرناه حول محددات التغيير الحادث في الولايـات المتحدة على حالة المقاومة، ومع ذلك هي في حاجـة للتـدقيق الـشديد في التغييرات الحادثة لدى خصمها باعتباره يحتل الأرض ويتواجد بقوته العسكرية ويقاتل المقاومة، لكن ذلك يظل في حدود ذات وضعية الثوابـت ويظـل في حدود تغيير السياسات.

وإذا كانت الخلاصة في رؤية التغييرات الحادثة مع مجيء أوباما، هي أننا أمام تراجع للولايات المتحدة مع تقدم لأقطاب دولية أخرى وأمام انفتاح مـساحة واسعة في الوضع الإقليمي، وأمام أزمة اقتصادية في الداخل الأمريكـي.. الخ، فإن مسألة تغيير أوضاع الولايات المتحدة لا تعـني "أوتوماتيكيـاً" ضـعفها وتراجعها أمام المقاومة، أو انسحابها من مناطق الاشتباك بل قد يعني العكـس في بعض الأحيان!.

لقد تراجعت بريطانيا وفرنسـا عقب الحرب العالميـة الثانية، وقبلت بقوة

ونفوذ دول جديدة على المسرح الدولي (أمريكا وروسيا)، لكن البلدان خاضت عدواناً على مصر بعد ذلك بعدة سنوات!.

والقصد هنا هو أن ما يحمي المقاومة من الانزلاق إلى تقديرات خاطئة هو تمسكها باستراتيجياتها والثبات عليها في إطارها العام، مع قراءة المتغيرات في قدرة الخصم وفي الوضع الإقليمي والدولي، لتحديدات التغييرات المقابلة في سياساتها وفقاً للتحديات الجديدة التي تطرحها تلك الأوضاع المستجدة.

وإذا كانت المقاومة مطالبة بإجراء تغييرات في خططها السياسية ـ وفق المتغيرات الجديدة التي عنونها وصول أوباما وجوهرها تراجع أزمة الولايات المتحدة ـ وإذا كان ذلك لا يعني إجراء تغييرات في استراتيجياتها فإن الإطار العام لهذا الوضع الدولي الجديد للولايات يفرض التحول إلى نمط أعلى من الهجوم على الولايات المتحدة لا العكس وفقاً لحسابات الأوضاع وتوازنات القوى الجديدة، حيث المعنى العام لتقدير الموقف هو أن المقاومة قد انفتحت أمامها مساحات لتعزيز عوامل قوتها وتطوراتها، ولتكثيف ضغوطها على الخصم الاستراتيجي، كما الإطار العام لهذه التغييرات بات يتطلب التحرك في الإقليم وفق حسابات أشد تدقيقاً وأكثر ديناميكيةً، والوضع في الاعتبار طبيعة التحديات المستجدة في داخل العراق نتيجة وصول أوباما للحكم في الولايات المتحدة.

وبصفة أكثر تحديداً تبدو المقاومة في المرحلة الراهنة أمام أوضاع جديدة وخيارات يمكن تلخيصها في التالي:

(١) إن مساحة سياسية واسعة في العلاقات الدولية قد انفتحت أمام المقاومة للاعتراف بها وبدورها، بما يغير أوضاعها السابقة (الخانقة) التي كانت تعيشها

في ظل هيمنة الولايات المتحدة على القرار الدولي، بما كان يمنع بعض الدول الراغبة في تطوير علاقتها بالمقاومة أو في الاعتراف بها، من الإقدام على ذلك، وهو ما يتطلب طرح المقاومة رؤية سياسية وإعلامية تمكنها من "التلاقي" مع تلك القوى والحصول على دعمها أو تطوير مواقفها من المقاومة، خاصة وإن قوىً دولية باتت راغبة الآن في الإفصاح عن مواقف أعلى من السابق في تعزيز المقاومة العراقية، لقد شهدنا روسيا تهدد بتحويل أفغانستان إلى فيتنام أخرى في معرض صراعها ومساومتها مع حلف الأطلنطي على جورجيا، وهو أمر يقدم نموذجاً على درجة جرأة قوى دولية على دعم المقاومة في بلد ما، إذا اقتضت مصالحها ذلك.

(٢) وفي الوضع الراهن يبدو المشهد الإقليمي متحرراً من الضغط والدور والنفوذ الأمريكي على نحو أعلى ومنفتحاً أكثر على قوى دولية متعددة، وهو ما يستدعي إعادة دراسة الأوضاع الإقليمية وتطوراتها، وفي ذلك يبدو أن المقاومة باتت مطالبة بالانفتاح على تطورات الوضع الإقليمي على نحو أكثر جرأة، سواء بعوامله السلبية باعتبار أن بعض القوى الإقليمية تأخذ موقفاً مضاداً من المقاومة، أو بعوامله الايجابية إذ بعض الدول الأخرى تصبح أكثر انفتاحاً على المقاومة بحكم مصالحها في مواجهة نفوذ ودور الدول المضادة للمقاومة (إيران) وخاصة في ظل احتمالات الحوار الأمريكي مع إيران.

(٣) وعلى المستوى الداخلي فإن مجيء أوباما للسلطة في أمريكا قد أوجد بدوره تحديات في مواجهة المقاومة في داخل العراق يمكن تحديد إطارها العام في التالي:

التحدي الأول: هو عودة الولايات المتحدة إلى لغة الخداع الأرقى، وهي

اللغة التي تستخدم وسائل القوة الناعمة ـ مع قلة الاعتماد علـى القـوة العسكرية الصلبة ـ وفي ذلك يبدو الأمر واضحاً من الآن، إذ يلفت الانتباه ما يجري في إقرار الاتفاقية الأمنية من دعاية مكثفة حول فكرة جدولة الانسحاب، وانسحاب قوات الاحتلال من المدن وكلها تقدم تغطية لاستراتيجية أوبامـا، وبما هو أعقد من تلك التي كانت في ظل إدارة المحـافظين الجـدد ومرحلـة الاستخدام الكثيف للقوة العسكرية.

التحدي الثاني: ويتمثل في تصعيد الدور الإيراني داخل العـراق، وانتقـال فكرة شراكة الاحتلاليين إلى حالة أعلى، حيث الحوار الأمريكي الإيراني يعني تحديداً الوصول عبر المساومة إلى تثبيت أوضاع السيطرة على العراق (ضـمن المساومات حول الملفات الإقليمية الأخرى)، وفي ذلك يبدو أن المقاومة مطالبة بوضع هذا الأمر في الاعتبار، أو بالدقة تصبح مطالبة بتصعيد موقفها الداخلي والعربي والدولي ضد إيران، إذ الحوار القادم ستكون نتائجه لمـصلحة إيـران وحلفائها ـ مقارنة بالوضع السابق ـ كما سيشمل على نحو ما عدم تعـرض إيران لخطر عدوان أمريكي بما يرفع الحرج عن مهاجمة إيران في وقت تهـاجم فيه من قبل أعداء الأمة.

التحدي الثالث: إن توقيع الاتفاق الأمني وما يرتبط بـه مـن "سـحب" القوات الأمريكية إلى قواعد محددة، وتغطية كل اعتداءاتها بشكل واضح مـن قبل الحكومة التي شكلها الاحتلال سيعني ضرورة التدبر في كيفية التعامل مـع هذا الوضع العسكري المحدد على الأرض العراقية، وتحديد أطر أكثر فعالية في التعامل مع الحكومة الحالية التي تصبح في واجهة الأحداث أكثر من ذى قبل،

خاصةً وأنها تتحرك الآن ـ كما هو الحال في تشكيل مجالس الإسناد ـ لتدعيم نفوذها وطرق حمايتها في الشارع العراقي.

التحدي الرابع: هو تحدي النتائج السياسية للعمليات الانتخابية التي ستجري خلال المرحلة القادمة، والتي تستهدف تعزيز وضع المرتبطين بالاحتلال في السلطة والمجتمع، وفي ذلك يبدو أن الأمور تتطلب حواراً أعمق بين فصائل المقاومة والحاضن السكاني لها.



ماذا في انتظار الرئيس..؟

محمد رشيد

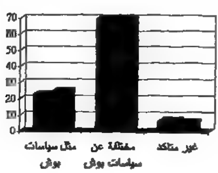
ماذا في انتظار الرئيس..؟

محمد رشيد

" إن الرئيس سيضطر إلى حمل عشرات من المشاعل الملتهبة بنهاية موكب التنصيب"
(ديفيد دريهل)

حالة اعتراف

أصبح فشل حقبة بوش محل إجماع الأغلبية المطلقة من السياسيين والرأي العام العالمي (ما عدا بعض أصدقائه الحميمين في منطقتنا الذين ما برحوا يتغزلون به والذين يتهيئون للارتماء في حضن الرئيس الجديد بدلع وغنج)، بل هو ما يراه الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة ليست بالقصيرة ففي استطلاع قام به "مركز بيو" بالمشاركة مع "مركز برينستون لأبحاث الرأي العام" لآراء (١٥٠١) مواطناً أمريكياً بخصوص الانتخابات الرئاسية في الفترة من (٧ أبريل وحتى ١٦ أبريل٢٠٠٦م بهامش الخطأ ٣%)، ونشر على الموقع الرسمي الأمريكي "تقرير واشنطن"، وكان السؤال (هل تريد من الرئيس الأمريكي القادم أن يتبنى سياسات مشابهة لتلك التي يتبناها الرئيس الحالي جورج بوش؟ أم تريد رئيساً تختلف سياساته عن سياسات جورج بوش؟)، فكانت إجابة ٧٠% أنهم غير



كما كشفت استطلاعات رأي أجراها (معهد غالوب) عن أن الرئيس بوش حصل على أعلى معدل رفض شعبي من بين الاستطلاعات التي أجراها المعهد على امتداد ٧٠ عامًا، ومما لا شك به أن تلك المعدلات قد زادت وتضاعفت خصوصاً بعد الأزمة المالية الأخيرة.

الشـــهـــود

وهو بلا شك أيضاً رأي الغالبية العظمى من المفكرين الأمريكان ومنـــهم الصحفي الأميركي الشهير (بوب وودورد) في كتابه (حالة إنكار) الصادر في أواخر شهر (سبتمبر/أيلول٢٠٠٦م)، ويغطي الكتاب مساحة واسعة من الزمن تمتد من أواخر عام ١٩٩٧م حين بدأ (جورج دبليو بـــوش) في الـــتفكير في ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة، وتصل إلى (يونيو/حزيـــران ٢٠٠٦م) وقد دخلت إدارة الرئيس جورج بوش دوامة أخطاء حرب العراق حيث بدا لها أن استراتيجيتها تجاه العراق مليئة بالعيوب والأخطاء ومع ذلك يـــصر كبـــار مسؤوليها على عدم الاعتراف بتلك الأخطاء منخرطين في (حالة إنكار) غـــير منطقية انطلاقاً من أهداف دعائية سياسية.[٢]

وهو أيضاً رأي غالبيـــة الـــسياسيين الأمـــريكيين (الجمهوريـــون منـــهم والديمقراطيون)، حيث اعترف خمسة من وزراء الخارجية السابقين وهم كـــل من (كولن باول ومادلين أولبرايت ووارن كريستوفر وجيمس بيكر وهنـــري

---

[١] تقرير واشنطن العدد ٥٦، ٢٧ أبريل ٢٠٠٦م

[١] حالة إنكار/علاء بيومي/الجزيرة نت

كيسنجر) في نقاش بعنوان (الرئيس القادم ... عالم من التحـديات) أدارتـه رئيسة المراسلين في الشبكة الإخبارية الأمريكية (سي أن أن CNN كريـستيان أمامبور) ومدير مشروع العلاقات العامة في (جامعة جورج واشنطن فرانـك سنو)، أن صورة الولايات المتحدة الأمريكية قد تشوهت كثيراً خلال حقبـة بوش وعلى الرئيس الجديد استعادة الاحترام للولايات المتحدة الأمريكيـة في العالم.[1]

وليس السؤال المطروح الآن حول تلاشي بوش وحقبته الفاشـلة ولكـن الحديث الذي يدور حول تلاشي الحقبة الأمريكية بأكملها وبداية ظهور عالم جديد بعيد عن الهيمنة الأمريكية، وهذا ما تحدث عنه الكثيرون منهم (فريـد زكريا) رئيس تحرير الطبعة الدولية لمجلة (نيوزويك) الأمريكية في كتابه (العالم بعد أمريكا) والذي يستعرض فيه التحولات الهائلة التي تقع في العـالم اليـوم وصعود كثير من دول العالم وانتقال مراكز القوة إلى تلك الدول شيئاً فـشيئاً على حساب أمريكا، وأن التحدي الكبير الذي تواجهه الولايـات المتحـدة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين هو تدهور نفوذها السياسي بعد زيـادة النمو الاقتصادي لهذه الدول النامية، ولهذا فإن الدور الرئيسي الذي تضطلع به أمريكا سيتعرض حتماً للانكماش والانحسار.[2]

وهذا ما يذهب إليه الوزراء (كـولن بـاول ومـادلين أولبرايـت ووارن كريستوفر وجيمس بيكر وهنري كيسنجر) على أن التحدي الرئيسي للسياسة

---

[1] موقع الجوار الالكتروني

[2] راجع العدد "١٦٥" من تقرير واشنطن ٢٨ /يونيو ٢٠٠٨م.

الخارجية أمام الرئيس الأمريكي القادم هو استعادة الولايات المتحدة الأمريكية صورتها في العالم.[1]

وهو ما يتحدث عنه (مايكل كلار Michael T. Klare) الأستاذ في معهد (أمهرتس في هامشاير) مؤلف كتاب (Shrinking Planet the ،Rising Powers New Geopolitics of Energy) يقول: تتوافق تحاليل جون ماكين وبارك أوباما للصعوبات التي تواجهها الولايات المتحدة في العديد من النقاط، إذ أنهما يصران على الكثير من التهديدات التي تواجه أمريكا في العالم ويشددان على عدم كفاءة إدارة جورج بوش لمواجهتها ويدعوان إلى تغيير جذري للاستراتيجيات.[2]

وفي كتاب صدر حديثاً عن دار نشر (تايمز بوكس) تحت اسم (ثمن الحرية ـ الدفع لحروب أمريكا) لمؤلفه (روبرت هورماتس) مستشار وزير الخارجية الأمريكية السابق (هنري كيسنجر) للشؤون السياسية والاقتصادية وفيه يتحدث (هورماتس) بيأس وقلق شديدين حيث يقول: (إن الشعب الأمريكي يدفع حالياً ثمن عقدين من الأخطاء، لكن الثمن الأعلى هو ما دفعه الشعب الأمريكي على مدى السنوات الست الماضية وتحديداً جرّاء أخطاء الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) في تعامله مع الحروب الأمريكية الحالية، وهي الأخطاء التي ستكلف الأجيال القادمة من الشعب الأمريكي ثمناً باهظاً، وهو

---

[2] موقع الجوار الالكتروني

[1] لوموند ديبلوماتيك أكتوبر ٢٠٠٨م النسخة العربية.

الثمن الذي سيكون لزاماً على أطفال وأحفاد الجيل الحالي من الأمريكيين دفعه). [1]

كل هذا وتداعيات الكارثة الاقتصادية وحالة الركود الاقتصادي التي من المتوقع أن تسود العالم فضلاً عن أمريكا لازالت في طور التشكل ونتائجها وتداعياتها بدأت بالظهور مما قد يساهم بصورة أكبر في زيادة وتضخيم كل المصاعب التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في حقبة الرئيس الجديد فإذا كانت (حالة الإنكار) هي صفة مرحلة (بوش) المنقرضة فإن المرحلة القادمة لابد أن تكون (حالة اعتراف)، وعلى الرئيس الجديد مواجهة الواقع من أول يوم والاعتراف أن عليه وعلى إدارته وعلى الأمريكيين جميعاً الاعتراف بحجم الأخطاء والكوارث التي ارتكبت في عهد (بوش) ومن ثم عليهم أن يمنحوا أنفسهم فرصة المراجعة وتصحيح الأخطاء.

وأخيراً فإن آخر ضحايا حقبة (بوش) الفاشلة هي هذه الخسارة الكبيرة للجمهوريين في انتخابات الرئاسة الأمريكية وما (جون ماكين) إلا آخر ضحايا (بوش).

مـاذا في انتظارك أيها الرئيس ؟!

يوجز (فريد زكريا) رئيس تحرير الطبعة الدولية لمجلة (نيوزويك) الأمريكية الموقف الذي يواجه الرئيس الأمريكي الجديد قائلاً: (هل يمكننا الآن الاعتراف بما هو واضح؟ سوف تواجه الإدارة التالية مجموعة من التحديات لا مثيل لها في الذاكرة الحديثة، هناك عملية عسكرية جارية في العراق لا تزال تكلفتها تبلغ

---

[1] الموقع الالكتروني لأحدث الأخبار العالمية والعربية.

(١٠ مليارات) دولار شهرياً، وحرب ضد حركة طالبان في أفغانستان وباكستان لا نحرز فيها تقدماً ولن يسهل الفوز فيها، كما أن إيران وروسيا وفنزويلا تشكل تحديات استراتيجية صعبة هذا خارجياً، وأما داخلياً فستتطلب خطة إنقاذ وإصلاح القطاع المالي سنوات ومئات المليارات من الدولارات، وكلفة العناية الصحية إن لم يتم تقليصها ستؤدي إلى إفلاس الحكومة الفيدرالية، كما أن مسائل الرعاية الاجتماعية والهجرة والبنى التحتية المتداعية والنظام التعليمي ستزداد كلها سوءاً إن لم تتم معالجتها قريباً.

والحكومة الأمريكية عاجزة عن تحمل أعباء إضافية إذا أخذنا بعين الاعتبار التخفيضات الضريبية التي أقرها بوش، وحاجات الأمن القومي وحربي العراق وأفغانستان وخطة الإنقاذ، تبدو الميزانية في حالة يرثى لها، فضلاً عن ذلك وفي غضون بضع سنوات سيبدأ جيل مواليد ما بعد الحرب العالمية الثانية بالتقاعد ويتسبب بكلفة هائلة ومتزايدة (بالتريليونات).[1]

وترصد (رويترز) كل تلك التحديات التي تواجه الإدارة الأمريكية الجديدة على لسان أكثر من سياسي أمريكي: (يواجه الرئيس الأمريكي القادم قائمة مثقلة من تحديات السياسة الخارجية من الحرب في أفغانستان والعراق والأزمة المالية العالمية إلى الحاجة لتحسين صورة البلاد السيئة على الساحة الدولية، لكن أياً كان ساكن البيت الأبيض فإنه سيواجه عدداً هائلاً من قضايا الأمن القومي حين يسلم له الرئيس (جورج بوش) السلطة، وقال (جيمس لينزي) الذي كان مساعداً للسياسة الخارجية للرئيس السابق (بيل كلينتون) ويعمل حالياً

(١) نيوزويك، العدد ٤٣٣_ ٧/١٠/ ٢٠٠٨م.

لحساب جامعة (تكساس باوستن): (يجب أن يكون شعار الإدارة القادمة هو إحذر مما تتمنى لأنك قد تحصل عليه)، وأضاف (الرئيس الجديد الذي سينتخب سيكون عنده صندوق وارد ممتلئ بالسياسة الخارجية وقرارات يتخذها لها عواقب وخيمة على الأمن الأمريكي، وسيرث خليفته الذي يتولى سدة الرئاسة في (٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٩م) حربي العراق وأفغانستان وجهوداً مكثفة لملاحقة متشددي القاعدة على الحدود الباكستانية مع أفغانستان، كما إن منع إيران من امتلاك أسلحة نووية وإلزام كوريا الشمالية بوعدها بتفكيك برنامجها للتسلح النووي من القضايا الملحة)، وقال (مارك ليبرت) مستشار (أوباما) للسياسة الخارجية: (إن مكافحة الإرهاب والتصدي للمتشددين على امتداد الحدود الأفغانية الباكستانية وقتل أو اعتقال (أسامة بن لادن) زعيم القاعدة على رأس أولويات الأمن القومي)، وقال (ليبرت): (إن تقوية التحالفات الأوروبية سيفيد على جبهات كثيرة منها كسب مزيد من النفوذ مع روسيا)[1]، ويحذر (ريتشارد أن هاس) رئيس مجلس العلاقات الخارجية الرئيس الجديد قائلاً: (ليس العالم الذي كنت تتحدث عنه في حملتك الانتخابية منذ عام أو أكثر، فالحملة والحكم أمران مختلفان جداً، فبعض الأمور التي قلتها كان من الأفضل ألا تقولها، والأهم من ذلك إن الحملة لم تحضّر الناس للأزمنة الصعبة الآتية، سوف تمر أيام تتساءل فيها لماذا بذلت كل هذا الجهد للحصول على هذا المنصب؟ مما سيجعل الأمور صعبة جداً ليس فقط كل ما ينتظرك إنما القيود التي سوف تفرض حدوداً على ما يمكنك القيام به فعلاً.[2]

---

[1] رويترز.

[2] نيوزويك العدد (٤٣٧) تشرين الثاني ٢٠٠٨م

وبالعودة إلى كتاب (ثمن الحرية ـ الدفع لحروب أمريكا) لمؤلفه (روبرت هورماتس) الذي يتناول كيفية تعامل الرئيس الأمريكي القادم مع تكاليف الحروب الأمريكية التي كتب الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) على أمريكا خوضها، فيقول: (ففي يناير من عام ٢٠٠٩م سيكون على الرئيس الأمريكي القادم أن يرث صراعاً خارجياً شديد التكاليف وشديد الإثارة للجدل، ومما يزيد من صعوبة الأمر هو أن هناك شريحة كبيرة من الشعب الأمريكي ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية ما كان لها أن تخوض حربها الحالية، بل وهناك من يذهب لما هو أبعد مؤكداً على أن أمريكا لن تخرج منتصرة من هذه الحرب، حيث يرى أصحاب وجهة النظر تلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تورطت في حروبها الحالية في مواجهة عدو يؤمن بشدة بفكره الأيديولوجي، كما أن الشعب الأمريكي لا يشعر بأن ما خسرته أمريكا من الأرواح والحريات والدولارات يساوي حقيقة ما يمثله أعداء أمريكا من تهديدات لها).

و يخاطب (ريتشارد أن هاس رئيس مجلس العلاقات الخارجية) الرئيس الجديد محذراً وموضحاً له حجم التحديات التي سيواجهها قائلاً: (أما أنت فسوف ترث في المقابل حروباً في العراق وأفغانستان، وقوات مسلحة منهوكة القوى وموزعة على جبهات عدة، ومعركة عالمية مع الإرهاب، ونفطاً وصل سعر برميله إلى ١٥٠ دولاراً، ومشاعر عداء قوية لأمريكا، وعجزاً في الموازنة الفيدرالية قد يصل إلى تريليون دولار في عامك الأول، وديناً قومياً يزداد تضخماً وقد يصل إلى عشرة تريليونات دولار، وتباطؤاً اقتصادياً عالمياً سوف يؤدي إلى تفاقم عدم الاستقرار في بلدان عدة سوف تتسلم منصبك بعد

عقدين من انتهاء الحرب الباردة، وما وصفه البعض بالمرحلة الأحادية القطب أصبح من الماضي، فالسلطة الاقتصادية والسياسية والعسكرية في أيد كثيرة ليست كلها ملكاً للدول وليست كلها حميدة، لا يعني هذا أن الولايات المتحدة ضعيفة بل على العكس، لا تزال هذه البلاد الكيان الأقوى في العالم، لكن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تسيطر، فما بالكم بأن تملي إرادتها، وتتوقع من الآخرين أن يطيعوها، ثمة حدود للموارد الأمريكية، وفي الوقت نفسه تعاني البلاد هشاشات خطيرة، لقد خلف إفلاس شركة (إنرون) وسجن أبو غريب وإعصار كاترينا والأزمة المالية فضائح، فقدرة أمريكا على أن تملي على الآخرين ما يجب القيام به أو على إقناعهم من خلال القدوة تضاءلت إلى حد كبير وانطلاقاً من هذه الخلفية سوف تواجه تحديات خاصة وسوف تجد الكثير منها في الشرق الأوسط الأكبر، ذلك الجزء من العالم حيث تعثر جميع الرؤساء بدءاً بجيمي كارتر ولنأخذ على سبيل المثال العراق الذي سيطر على سياسة بوش الخارجية سوف يجد المؤرخون الوقت الكافي لاستخلاص الحكمة (أو عدم الحكمة) وراء شن هذه الحرب المكلفة التي ذهبنا إليها بملء إرادتنا، الأولويات الآن هي خفض الوجود العسكري الأمريكي تدريجياً، ودعم دمج الأقلية السنية العراقية في المؤسسات الوطنية، وإقناع الدول العربية بمساعدة الحكومة والشروع في حوار مع إيران حول مستقبل العراق ... تشير الأسهم في الاتجاه المعاكس في أفغانستان، تكتسب حركة طالبان مزيداً من النفوذ والوضع الأمني يتدهور وتستشري المخدرات والفساد، ثمة حاجة إلى مزيد من القوات).

ثم يمضي في تفصيل الكثير من التحديات التي تواجه الرئيس الجديد وينتقل

إلى أنواع أخرى من التحديات، كل تلك التحديات تشير حسب رأيه إلى عدم إمكانية الولايات المتحدة الأمريكية على مواجهتها لوحدها ولابد من إشراك قوى عالمية جديدة في إدارة العالم الجديد!.

(هناك تحديات أخرى ملحة بالدرجة نفسها: التعامل مع كوريا شمالية نووية، والعمل لتهدئة روسيا المستاءة والصاعدة من جديد، والتوسط من أجل التوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل وسوريا، واتخاذ خطوات لزرع الاستقرار في البلدان الأفريقية، لا تستطيع أمريكا أن تفعل ذلك بمفردها، فتحديات هذه الحقبة لا تنطلق من دولة واحدة ولا تستطيع دولة واحدة أن تحلها، تعدد الأطراف هو السبيل الواقعي الوحيد والكلمة الأساس هي (الدمج)، يجب أن نشرك قوى كبرى أخرى في تصميم العالم وتشغيله، ثمة فرصة حقيقية لإحراز تقدم، فعدد كبير من القوى الحالية تدرك أنها أمام خيارين إما أن تتعاون في ما بينها وإما أن تدفع ثمناً باهظاً)، إلى أن ينتهي إلى نتيجة لامناص منها مطلقاً :(يبدو أن السنوات الأربع المقبلة سوف تكون صعبة).[1]

وصحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) الأمريكية هي الأخرى غير متفائلة بمستقبل الرئيس الجديد بسبب أخطاء بوش وانتقدت سياسته في الحرب على ما يسمى بالإرهاب، قائلة إن حرب العراق تكلف الاقتصاد الأمريكي أكثر من ٢٥ مليار دولار شهرياً، وإن الحرب على العراق وأفغانستان ستكلفان الخزينة الأمريكية خمسة تريليونات دولار بحلول عام ٢٠١٧م ، وبالتالي فإن الرئيس الأمريكي القادم سيغرق حتى أذنيه في براثن أخطاء بوش.[2]

---

[1] نيوزويك، الثلاثاء، ٤/١١/٢٠٠٨م.

[2] شبكة الإعلام العربية.

ويذكر (ديفيد فون دريهل) في مجلة التايم: إن الرئيس القادم سيرث جملة من المشاكل الشائكة والقابلة للانفجار، بداية من المستنقع العراقي إلى الاقتصاد المتباطئ، ومن التحدي الصيني إلى فوضى الرعاية الصحية، الانتشار النووي إلى الاعتماد على البترول إلى (بعض الأشياء التي لا تتغير أبداً) مثل السياسة الكوبية، إن الرئيس القادم سيضطر إلى حمل عشرات من المشاعل الملتهبة بنهاية موكب التنصيب، ومن المهم معرفة إن كان ذلك الشخص يملك القدرة على هذه المهمة.[1]

هكذا إذن الجميع مجمع على كارثية أخطاء بوش على كافة الأصعدة الاقتصادية والسياسية (الداخلية والخارجية) والأمنية والتي سيورثها للرئيس الجديد ولكنهم قد يختلفون في وضع سلسلة الأخطار التي تواجه أمريكا هل هو الخطر الاقتصادي أم السياسي أم الأمني ؟ والجميع أيضاً يؤكدون عمق الخطأ الكبير في العراق وكارثيته ولكن الجميع يركزون على أمرين مهمين بلا شك وهما الخسائر المالية الكبيرة التي تتجاوز العشرة مليارات دولار شهرياً وكذلك الخسائر البشرية، فهل هذين الخطرين هما فقط التي تواجهها أمريكا في العراق؟ وكيف ينظر السياسيون الأمريكيون إلى الأزمة الأمريكية في العراق؟.

المأزق الأمريكي في العراق من وجهة نظر أمريكية

قد يستغرب البعض عندما نجد من الأمريكيين من يعتقد أن هناك تقدم حاصل فعلاً في العراق والمقياس الأمريكي لتقدم الوضع أو تأخره يعتمد على

[1] (مجلة التايمز بقلم: ديفيد فون دريهل) ١٨/ مارس /٢٠٠٨م نقلاً عن جريدة الرياض.

أمرين رئيسيين هما الانخفاض النسبي في الخسائر البشرية من قوات الاحتلال في العراق، فكلما قلّت خسائرهم اعتبروا ذلك مؤشراً لتحسن الأوضاع بالعراق بغض النظر عن ما يحدث على أرض الواقع العراقي والخسائر التي يتكبدها المواطنون العراقيون كل يوم!، الأمر الثاني هو التقدم الشكلي في العملية السياسية في العراق ومن دون أي اعتبار للواقع المعاش على الأرض وعن إفرازات هذه العملية وانجازاتها (وسيتم توضيح هذا الأمر بشكل واسع لاحقاً)، والذي يدفع الإدارة الأمريكية لذلك أمران أيضاً إرضاء المواطن الأمريكي (الناخب الأمريكي) وإقناعه بصحة السياسة الأمريكية ونجاحها في العراق وتطمين الكونجرس الأمريكي ودفعه نحو التجاوب مع الإدارة الأمريكية خصوصاً في ما يتعلق بالاستحقاقات المالية المطلوبة للحرب هناك، ومع هذا فإن أغلب السياسيين الأمريكيين ناقمون على سياسة بوش في العراق ويعتقدون بكارثية الوضع هناك ولا يعتقدون بصحة أي تقدم سياسي حقيقي هناك، ولعل (ريتشارد أن هاس) من القلائل الذين يعتقدون بوجود تقدم ما في العراق إذ يقول في دراسته "العالم الذي ينتظر الرئيس" موجهاً حديثه إلى الرئيس الجديد (الخبر السار هو أن الكثير من الأسهم في العراق تشير وأخيراً في الاتجاه الصحيح ولن تطغى المسألة العراقية على رئاستك أما الخبر السيئ هو أنك تعرف أن طريقاً شاقاً بانتظارك عندما يكون العراق هو الخبر السار.[1]

ولكنه وفي نفس الدراسة يقول في إشارة إلى الحكومة العراقية: (نرسل مبالغاً

[1] نيوزويك.

طائلة إلى بعض أبغض الحكومات في العالم، ونعزز موقعها بينما نبقي أنفسنا معرضين لقطع الإمدادات وتقلبات الأسعار).

فأين النجاح إذن؟ ثم يقول في مكان آخر من نفس المقال وهو يتحدث عن احتمال القيام بضربة عسكرية لإيران: (بل إنه يقود إلى انتقام إيراني من الموظفين الأمريكيين ومصالح الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان)، أليس ذلك تعبيراً عن هشاشة الوضع الأمني في العراق بشكل عام وضعف التواجد الأمريكي وهشاشته في العراق بشكل خاص؟!.

وأخيراً لا يمكن إغفال حقيقة كبيرة وواضحة جداً وهي أن المسألة العراقية كانت من أهم العوامل المؤثرة في الانتخابات الأخيرة رغم كونها من المسائل الخارجية التي من المعتاد أن تتراجع أهميتها في الانتخابات ولكن المسألة العراقية لم تعد فعلاً مسألة خارجية فقط لتأثيرها الكبير على الشأن الداخلي الأمريكي وعلى الاقتصاد الأمريكي وحتى الاجتماعي ثم أن عالم اليوم لم يعد مثل عالم الستينيات، بدءاً بالتقارب الفكري والتواصل القومي والاجتماعي وبالأخص الثقافي لذا لم يعد يتقبل المبررات القائمة على العنف والدمار والقوة المفرطة وبدأ يتجه نحو عالم من الرفاهية والتعايش وبالخصوص الشعب الأمريكي.

وقريباً من رأي (ريتشارد أن هاس) ولكنه يعترف بأن الحرب في العراق شاقة يقول "روبرت غيتس وزير الدفاع الأمريكي الحالي" في مقابلة له مع "مجلة نيوزويك" : (نحن متورطون في حربين شاقتين للغاية إحداهما في العراق التي تبدو سائرة نحو تحقيق نتيجة إيجابية لاسيما مقارنة بوضعنا السابق، لكن الحرب الأخرى ستكون عسيرة وبطيئة، وهي أكثر تعقيداً لأن دولاً كثيرة

أخرى مشاركة فيها، ليس على الصعيد العسكري فحسب، بل على الصعيد المدني أيضاً، لذا إدارة هذه الحرب أصعب بكثير في أفغانستان).[1]

بينما نجد بالمقابل على النقيض من ذلك أن الكثير من السياسيين والمفكرين الأمريكيين يعتقدون أن الوضع في العراق (كارثي) ولهم أسبابهم العديدة، بينما يتحدث (جون ماكين) عن أهمية استمرار المعركة في العراق وضرورة البقاء هناك حتى الانتصار: (ضرورة توقف التكهن بأن النصر في العراق بات قريباً، الذي اعتقده أنه يتعين علينا أن ننتظر حتى نحصل على هذا النجاح، ومن ثم نحتفل، ولا يجب توقع ذلك فقط، وعلينا أن نبلغ الشعب الأمريكي أن عملاً طويلاً وشاقاً وصعباً مازال ينتظرنا، إن إدارة بوش أخطأت في تعاملها مع الوضع في مراحله المبكرة وإنها رفعت سقف الآمال لدى المواطنين الأمريكيين حين كانت تصف المقاتلين في العراق بأنهم "يائسون" وفي "الرمق الأخير"، أعتقد أن هذا كان خطأً وأن النجاح في العراق سيكون خطوتين إلى الأمام وخطوة إلى الوراء)، وأشار ماكين إلى احتمال بقاء الوجود الأميركي في العراق لقرن من الزمان على غرار ما تم فرضه في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية أو في كوريا الجنوبية إثر الحرب الكورية!.

(علينا أن ننتصر، ستكون عواقب الفشل مريعة، وهزيمة ذات مدىً تاريخي وستدفع المتطرفين الإسلاميين إلى أن يعتقدوا بأنّ العالم ملكٌ لهم وبأنّ كلّ شيءٍ ممكن بعد أن هزموا الاتحاد السوفييتي في أفغانستان والولايات المتحدة في العراق، ستتحول دولة العراق إلى مرفأ إرهابي في قلب الشرق الأوسط، ويمكن

[1] نيوز ويك.

أن تؤدي إلى حرب أهلية ثم تتحول إلى نزاعٍ إقليمي، لا بل إلى إبادة جماعية، ستعتقد إيران بأنها مدعوة للسيطرة على العراق والمنطقة)[1].

ويبقى "ماكين" مصراً على البقاء في العراق رغم اعترافه بالأخطاء الفادحة التي ارتكبت هناك: (بعد أربع سنوات من الأخطاء الفادحة فإنه أصبح للولايات المتحدة فرصة حقيقية للنجاح في العراق).[2]

بينما ينظر الرئيس الجديد (باراك أوباما) إلى الأمر من زاوية أخرى: (إن إيران هي المستفيد الأكبر الوحيد من حرب العراق التي ما كان يجب خوضها، وتصريح أوباما هذا جاء في إطار حرب انتقادات متبادلة بين سيناتور إلينوي والمرشح الجمهوري جون ماكين، حول آرائهما المختلفة بشأن السياسة الخارجية الأمريكية، كما تأتي في أعقاب انتقادات ماكين له حول تصريحاته الأخيرة التي قال فيها إن التهديدات الإيرانية للولايات المتحدة أقل خطراً من تلك التي مثلها الاتحاد السوفيتي سابقاً، ورد أوباما مهاجماً خلال كلمة له في مونتانا (بأن سياسة بوش- ماكين للحرب في العراق ستجعل من الجمهورية الإسلامية أقوى)، وأضاف قائلاً: (لا مجال للالتباس هنا فإيران المستفيد الأكبر والوحيد من الحرب على العراق التي ما كان يجب إجازتها وما كان يجب أن تشن مطلقاً)، واستطرد قائلاً: (بفضل سياسة جورج بوش فإن إيران باتت

---

[1] حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٨م (ترجمة المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية).

[2] (CNN) ٢٠٠٨/٠٦/١٣م.

أكبر تهديد للولايات المتحدة وإسرائيل والشرق الأوسط لجيل بأكمله، وجون ماكين يريد أن يضاعف كذلك من تلك السياسة الفاشلة).[1]

لذا فإن الرئيس الجديد يؤثر الانسحاب المبكر من العراق، وهو لم يلبث أن أفهم إيران في ما يلي من خطابه السابق قبل انتخابه رئيساً جديداً للولايات المتحدة الأمريكية (إنما إذا انتظرت قليلاً فلن تضطر للقلق بشأن الجنود الأميركيين المنتشرين في العراق)، فهو قد كرّر نداءه لسحب القوات الأميركية من العراق من دون أن يربط الانسحاب بشرط الوضع على الأرض[2]، إضافة إلى أن إيران أصبحت أكثر قوة بعد الغزو الأمريكي للعراق.

ويتكلم فريد زكريا نيابة عن أوباما فيقول: (هدفي مازال يتمثل في إنهاء المشاركة القتالية الأمريكية في العراق وأن أفعل ذلك بصورة سريعة، ففي مرحلة ما سيكون علينا فطم أصدقائنا العراقيين عنا، أعتقد أنه ينبغي أن تكون لدينا خطة تحدد متى نصل إلى تلك المرحلة، فإذا حددنا النجاح بأنه يتمثل في إيجاد عراق يبدو كما لو كان فرنسا أو هولندا، فإن ذلك سيعني أن علينا أن نبقى هناك لفترة غير محدودة وأن نواصل إنفاق ١٠ مليارات دولار شهرياً والإبقاء على ١٤٠٠٠٠ جندياً أمريكياً في حال قتالية في العراق، وهذا أمر غير مقبول ولا هو قابل للاستدامة، علينا أن نقبل تعريفاً للنجاح في العراق يتمثل في طريق وسيط مشوش، أي أن نقبل عراقاً يُكَوِّن ديمقراطية فيدرالية عاملة بحكومة مركزية وجيش قادر على مواجهة غالبية التحديات التي تواجهه، لقد

---

(1) واشنطن، الولايات المتحدة (CNN).

(2) واشنطن تايمز.

ذكر الجنرال بترايوس والسفير كروكر شخصياً أنه بغض النظر عن النجاح الذي نحققه فإنه سيظل هناك مستوى معين من الوجود للقاعدة في العراق وبعض الوجود الإيراني فيه، إذ أن إيران هي جار للعراق، علينا أن نسحب قواتنا من هناك بالكامل، وإذا ما فرضت الظروف ذلك فإننا سنُبقي على وجود صغير من قواتنا في العراق للتصدي للقاعدة ولتدريب الجيش العراقي وحماية المصالح الأمريكية وتوفير المساعدة الإنسانية، ولكن هذا الوجود سيكون صغيراً ومؤقتاً. [1]

الشهود

ومن المؤكد أن قرار البقاء أو الانسحاب ترك منذ مطلع عام ٢٠٠٨م إلى قرار الرئيس الجديد ولقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في مارس ٢٠٠٨م وعلى لسان كل من "ستيفن لي مايرز **Steven Lee Myers**" و "توم شانكر **Thom Shanker**": (إلى أن قرار سحب المزيد من القوات الأمريكية من الساحة العراقية سوف يترك للرئيس الأمريكي الجديد، ولفت الكاتبان الانتباه إلى أن الرئيس الأمريكي بوش يعلم جيداً قلق الرأي العام الأمريكي من وضع القوات الأمريكية في العراق والخسائر البشرية الكبيرة التي منيت بها منذ دخولها العراق)، وفي هذا السياق أعد "أنتوني كوردسمان **Anthony H. Cordesman**" تحليلاً إخبارياً عن التقارير التي أكدت مؤخراً أن عدد القتلى الأمريكيين في العراق وصل إلى أربعة آلاف قتيل منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق في مارس من عام ٢٠٠٣م، حيث أشار التحليل الذي أذاعته شبكة **ABC** الإخبارية أن

---

[1] ما ينبغي لأوباما قوله بشأن العراق/مجلة نيوزويك /العدد ٤١٩.

هذا العدد سوف يُزيد من التكلفة الرمزية للحرب في داخل الولايات المتحدة، لأنه من المتوقع أن هذا العدد الكبير من القتلى والجرحى سوف يُزيد من حدة الاستقطاب حول الحرب بين صفوف الرأي العام، وأشار التحليل إلى أن هناك العديد من الموضوعات التي يجب أن تؤخذ في الحسبان عند الحديث عن عدد القتلى الأمريكيين في هذه الحرب، على رأسها عدد الجرحى الأمريكيين، فبالرغم من أن عدد الجرحى قد تخطى حاجز الـ ٢٩ ألف جريح من الجيش الأمريكي إلا أن وسائل الإعلام تركز اهتمامها فقط على القتلى دون سواهم، وهذا بالطبع يُعتبر تجاهل للآثار السلبية التي تتركها هذه الإصابات، فهي بالطبع تجلب على أصحابها آثاراً نفسية واجتماعية سيئة للغاية، وتجعلهم يشعرون بأن حياتهم قد تم تدميرها، ولكن السكوت عن هذا لم يعد مقبولاً داخل المجتمع الأمريكي لذا بدأت وسائل الإعلام الأمريكية بتسليط الضوء على الكثير من النتائج والأضرار الجانبية التي بدأت تخلفها حرب العراق.(١)

يشير "كوردسمان Cordesman" إلى أنه لا يمكن التكهن بالخسائر الأمريكية خلال الفترة القادمة، لأن عملية المصالحة السياسية في العراق من الممكن أن تفشل وهذا بالتأكيد سيؤدي إلى تكبيد الولايات المتحدة مزيداً من الخسائر.وخلاصة الأمر أن النزاع مستمر بشأن البقاء في العراق أو الانسحاب منه لأن أحلاهما مر بسبب الأخطاء الكارثية الجسيمة التي ارتكبتها الإدارة المدنية والعسكرية في العراق منذ احتلاله في عام ٢٠٠٣م وحد الآن مما جعل المستنقع الدامي في العراق مليء بالتناقضات ومغلف بإعلام متحيز تماماً

(١) النيويورك تايمز في مارس ٢٠٠٨م.

وخادع في كثير من الأحيان ولكن الواقع أقوى من أن يُخفى إلى الأبد وأن حبل الكذب قصير والشمس لا يمكن حجبها بغربال وهاهم كبار السياسيين الأمريكان يختلفون في الجواب على سؤال واحد.. هل هناك تقدم؟.ففي برنامج "Face The Nation" الذي يذاع على شبكة"CBS" استضاف اثنين من أعضاء لجنة الخدمات العسكرية Armed Services Committee في مجلس الشيوخ هما السيناتور الجمهوري "ليندزي جراهام Lindsey Graham" والسيناتور الديمقراطي "جاك ريد Jack Reed"، وفي خلال البرنامج أكد السيناتور الجمهوري "ليندزي جراهام Lindsey Graham" (والذي عاد من زيارة قام بها إلى العراق مؤخراً): إن الساحة العراقية سوف تشهد انجازاً كبيراً في الأسابيع القادمة، خصوصاً على طريق المصالحة الوطنية، نتيجة للضغط الكبير الذي يضعه المواطنون العراقيون على السياسيين هناك(١). ولم يتحقق أي شيء يذكر منذ مارس ٢٠٠٨م لحد الآن بل لعل الأمر ازداد سوءاً على الأقل من الناحية السياسية وبدأت الضغوط الخارجية تتزايد على الحكومة العراقية وبدأ الكثير من الكيانات التي كانت عماد العملية السياسية الحالية في العراق بالتفكك، وعلى صعيد الجبهة العسكرية فيؤكد "جراهام Graham": إنه ما تزال مدن مثل الموصل تشهد معارك كبيرة، أما الجنوب العراقي فهو غير مستقر هو الآخر، والمليشيات (الشيعية) هناك هي السبب الرئيس وراء هذه الفوضى والاضطراب في هذه المنطقة، أما إيران فتبذل جهوداً جبارة من أجل نشر المزيد

---

(١) برنامج "Face The Nation" / شبكة"CBS".

من الفوضى في العراق بما يخدم مصالحها، حيث أنها ترى (من وجهة نظر جراهام Graham) أن الولايات المتحدة تحقق انتصارات وانجازات كبيرة على أرض الواقع تضرها وتضر بمصالحها في المستقبل(١). ولكن السيناتور الجمهوري يعود ويؤكد: أن الرؤية الكلية للوضع في العراق تشير إلى انجاز كبير وأداء رائع يقوم به الجنرال "ديفيد بيتراوس David Petraeus" والقوات الأمريكية العاملة في العراق، فعلى الجانب السياسي فقد تمت الموافقة على إعادة البعثيين مرة أخرى إلى الحياة السياسية، بتمرير قانون المصالحة الوطنية، بالإضافة إلى ذلك تم الاتفاق على توزيع العوائد النفطية بين الطوائف العراقية المختلفة، فضلاً عن أن قانون العفو الذي صدر أيضاً يسمح للعديد من السجناء بإطلاق سراحهم، هذا وسوف يشهد العراق انتخابات محلية في أكتوبر المقبل(٢).ولكن أرض الواقع لا تشير إلى ذلك، فقد عادت إلى الزيادة جرائم تفخيخ السيارات وعودة المليشيات وفرق الموت المدربة وقتل المدنيين وتهجير المسيحيين واغتيال الكثير من البعثيين السابقين، ولم يتم الاتفاق على قانون النفط والغاز رغم إلحاح الإدارة الأمريكية والرئيس بوش شخصياً على إبرامه ولم يشهد أكتوبر ٢٠٠٨م انتخابات محلية!.

أما السيناتور "جاك ريد Jack Reed" والذي كان وما يزال يرفض الحرب منذ بدايتها فإنه أكد إنه ليس هناك أي تقدم قد حدث في العراق، فهو يرى إن قانون المصالحة الذي تحدث عنه السيناتور "جراهام Graham" لم يفعّل على

(١) برنامج "Face The Nation" / شبكة"CBS"

(٢) برنامج "Face The Nation" / شبكة"CBS"

أرض الواقع، كما إن الحكومة المركزية لا تقوم بالمهام المنوطة بها على الوجه الأمثل، والسبب في ذلك _ طبقاً لما أورده ريد Reed _ هو إن الحكومة العراقية تعتقد أن لديها مزيداً من الوقت طالما ظلت القوات الأمريكية هناك تؤمّن لها ما تريد من حماية، وبالتالي يؤكد "ريد Reed" إنه لابد أن تبدأ الولايات المتحدة في العمل على إعداد استراتيجية خروج منظمة من العراق، ملامح هذه الاستراتيجية سوف تتحدد بناءً على الحقائق على أرض الواقع، ولذلك لابد من ممارسة المزيد من الضغوط على الحكومة العراقية من أجل أن تقوم بالوظائف التي من المفترض أن تقوم بها من أجل مستقبل أفضل للعراق، مشيراً إلى ضرورة تخفيف الاعتماد الكبير على القوات المسلحة الأمريكية لصالح قوات الأمن العراقية، والعمل على تنظيم خروجها من الأراضي العراقية.[1]

والحقيقة أن الحكومة العراقية منقسمة فكرياً وعقائدياً و سياسياً وواقعة تحت ضغوط عديدة مختلفة قد تصل في الكثير من الأحيان إلى التهديد بإنهاء وجودها على الأرض، هذا عدا عن اختراقها في الكثير من المفاصل من قبل المخابرات والقوى الإيرانية التي تتناقض مصالحها مع المصالح الأمريكية كما تتناقض مع المصالح العراقية!.

ولكن هل ما تم عرضه للمأزق العراقي من منظور أمريكي رغم تنوعه واختلافه هو كل الحقيقة؟!، أم أنهم يخشون مواجهة الواقع الحقيقي كما هو لا كما يريدوه أن يكون أو هم جاهلوه، أم أن اختلاف مواقع اتخاذ القرار

---

[1] العدد (١٥٢)٢٨مارس/٢٠٠٨م تقرير واشنطن/محمد الجوهري تحت عنوان: الانتخابات الأمريكية تزيد العنف في العراق.

الأمريكي وتصارعها في بعض الأحيان لها تأثيرها الأقوى على تشكيل القـــرار السياسي؟.

مفاجآت في انتـــظـــــار الرئيس

مما لاشك فيه أن العراق سيشهد تغييراً دراماتيكياً خلال الحقبة الجديدة من الإدارة الجديدة برئاسة "أوباما" التي ترفع شعار "التغيير" على فرض أن أوبامـــا سيقوم ــ كما يعلن لحد الآن ــ بالانسحاب المبكر من العراق "فهل تجد الإدارة الجديدة المخرج السليم من العراق؟ وهل ستغير موازين الواقع علـــى الميـــدان حسابات الإدارة الجديدة؟، وما هي حقيقة الصراع على أرض الواقع العراقي، وما هي "أوراق اللعبة السياسية" داخل العراق؟، وما هو تأثير التغلغل الإيراني هناك؟، وهل سيكون هناك لقاء أمريكي إيراني في بغداد للبحث عن مخرج أو لعقد اتفاقية أمنية بعيدة المدى مع طهران على حساب مصلحة الشعب العراقي ووحدته!؟، مكتفيةً بحرب واحدة مع المقاومة العراقية؟، أو أن هناك خيـــارات أخرى أمام الإدارة الأمريكية سيفرضها الواقع وثبات المقاومـــة المـــسلحة في العراق؟!، كل تلك الأسئلة ينبغي على "الرئيس الجديد" الإجابـــة الواضـــحة عنها.

ولكن الأمر المؤكد هو أن علـــى الجميـــع إعـــادة النظـــر في حـــساباتهم (الأمريكيون والحكام العراقيون الحاليون، والأحزاب العراقية الحاليـــة بكـــل انتماءاتها، والإيرانيون ومن هم خارج العملية السياسية والمقاومـــة العراقيـــة)، وللميدان حساباته الخاصة تفرضها المتغيرات التي بدأت تتبلور علـــى الأرض منذ الآن.

من المؤكد أن الورقة العراقية الأمريكية الإيرانية ترتبط بعدة أوراق "تمتلك إيران اللعب بها" ارتباطاً وثيقاً تؤثر بلا أدنى شك على أي قرار يمكن أن يتخذ بشأنها من الجانب الأمريكي وهذه الأوراق هي:

- القوات الأمريكية داخل العراق "وبالذات في المناطق الوسطى والجنوبية".
- الورقة اللبنانية.
- الورقة الأفغانية.
- الورقة السورية.
- الورقة الخليجية.
- الورقة النووية الإيرانية.
- الورقة الروسية.

كل تلك أوراق متلازمة مع بعضها تستخدمها إيران في التعامل مع الملف العراقي الأمريكي، ولكن مما لاشك فيه أنها على استعداد للتضحية بقسم من هذه الأوراق، ولكن إيران لا يمكن تحت أي ظرف أن تضحي بالورقة العراقية لأهميتها القصوى والكبيرة جداً بالنسبة لها لذا ستفعل المستحيل لتبقي نفوذها السياسي والأمني في العراق وتطوره بما يحقق أهدافها البعيدة في العراق قاطعة أي احتمال لعودة العراق إلى أن يكون أحد القوى المؤثرة في الخليج وفي المنطقة، وعلى الإدارة الأمريكية أن تمعن في ذلك الأمر جيداً وتوازن مصالحها وفق هذه الحقيقة، ولكن ماذا ستواجه الإدارة الأمريكية الجديدة "برئاسة أوباما" على أرض الواقع العراقي؟، ستواجه (مقاومة مسلحة ناضجة) لها

امتداداتها السياسية والإقليمية وتكتيكها المتطور الذي يستوعب ويتلاءم مع المتغيرات الجديدة وستتحرك باتجاهين متلازمين هما:

الأول: الاتجاه السياسي المبني على التعامل مع تغيير الإدارة الأمريكية الجديدة وتصريحها بالرغبة في الانسحاب من العراق، ساعية لكي لا يكون هذا الانسحاب على حساب تضحيات المقاومة طيلة السنوات الست الماضية، ولتجنب رمي العراق في أحضان التغلغلات الإقليمية "وعلى رأسها إيران"، لذا لابد أن تعمد إلى الدخول في المفاوضات المباشرة وغير المباشرة مع الإدارة الأمريكية الجديدة في البداية بشكل حذر ومتردد لحين التمرس وكسب الخبرات التفاوضية والاطمئنان، عندها ستتجه بشكل أقوى في المرحلة الثانية من التفاوض.

الثاني: هو الأساليب العسكرية التي تستهدف إثبات وجود المقاومة المسلحة وقوتها في العراق وإرهاق العدو وإرعابه في التنقل والحركة والمطاردة وإجباره على ذلك، وعدم السماح له بالاستقرار لزيادة الكلف المادية لبقاء القوات في العراق، وهي قادرة على تحقيق هذه الأهداف التكتيكية بغض النظر عن حجمها أو حجم القوات المعادية لها؛ فضلاً عن أن هناك مؤشرات توحي بانضمام أطراف جديدة إلى المقاومة المسلحة، كما إن اندماجها في مشروع سياسي واحد مسألة تفرضها هذه المرحلة وأمر لابد منه لتقوية الجانب المفاوض، ولعل "الإدارة الأمريكية" بما لديها من خبرات سياسية ستختصر الوقت للوصول إلى النتيجة التي لا مفر منها في كل الاحتلالات وحروب المقاومة المسلحة السابقة على مدار التاريخ الحديث والقديم، ألا وهي الجلوس في النهاية إلى مائدة التفاوض وسماع رأي المقاومة والحوار معها، والوصول إلى

اتفاق قد يساعده على إعادة الحسابات وترتيب سلم الأولويات الأمريكي، وعلى رأي "تشارلي بلاك" وهو مستشار كبير لـ "ماكين": الشخص الذي يفهم الحرب ويفهم الجيش وتكون له سياسة خارجية وخبرة دبلوماسية هو الشخص الأمثل لتفادي الحرب، و"أوباما" هو آخر شخص يود خوض حرب، ولعله لا يقع في أخطاء من سبقوه حينما يكون عليه أن يتحمل مسؤولية أية قطرة دم أمريكية إن لم يكن يهتم بالدم العراقي الذي يُراق كل دقيقة في العراق؛ وخيار المفاوضات على العموم هو الخيار الأخير المؤكد أمام الإدارة الأمريكية الجديدة الديمقراطية طال المطاف أو قصر، ولكن من المؤكد أن هذا الاتفاق "بين المقاومة والإدارة الأمريكية لو تم فإنه سيساعدها على الآتي:

- تحقيق وعود الرئيس"أوباما" بالانسحاب السريع من العراق أمام ناخبيه.
- تقليص خسائر الجنود في العراق والتي يعتبرها الأمريكان من أهم المؤشرات على التقدم في العراق.
- توفير القوات التي قد تحتاجها الإدارة الأمريكية في معاركها المتعددة الأخرى.
- تقليص النفقات العسكرية للمساهمة في حل المشاكل الاقتصادية التي تواجه الإدارة الجديدة.
- تمكنها من توفير الجهد والانصراف إلى تحقيق التغيير المطلوب في السياسية الداخلية والخارجية الأمريكية.

كما إننا نعرف أن الشعب الأميركي قد أصيب بالسقم والتعب ولم يعد يطيق الحرب في العراق ويتطلع إلى الخلاص، وليس لديه أي استعداد

لمواصلة حرب طويلة مكلفة هناك خصوصاً في مثل هذه الظروف التي تمر بها أمريكا.

أما عن إيران فإنها ستواجه "الإدارة الأمريكية الجديدة" في داخل العراق ولن تنتظرها في طهران من خلال:

- فيلق القدس والمليشيات المسلحة والتابعة لإيران رسمياً.
- التحالفات الاستراتيجية مع بعض الأحزاب والمنظمات والتكتلات السياسية والاجتماعية والدينية العراقية الموالية لإيران.
- المليشيات المتعددة وفرق الموت والفرق الخاصة والعصابات، والتي تدار بشكل مباشر أو غير مباشر من قبل المخابرات والأجهزة الأمنية وغير الأمنية الإيرانية.

لذا ستعمد الإدارة الإيرانية إلى زيادة التوتر في العراق وزيادة الضغط العسكري والأمني على القوات الأمريكية هناك لإجبارها على الإسراع بالانسحاب من العراق، والشاهد على ذلك أحد أهم القادة الميدانيين للجيش العراقي الحالي وهو اللواء الركن عبد الجليل خلف الشويلي قائد شرطة البصرة السابق، الذي نقل إلى بغداد بعد نهاية "صولة الفرسان" حيث يقول وبالحرف الواحد: (إن ما كان يجري في البصرة "مسرحية أجنبية" بممثلين عراقيين، وإن إيران فتحت "جبهة حرب" على أميركا وبريطانيا هناك قبل وصول قوات هاتين الدولتين)، وأعرب الشويلي في حديث إلى صحيفة الحياة عن خشيته من عودة الجماعات المسلحة من جديد بعد أن أفلتت من يد الحكومة أعداد كبيرة من قياداتهم أثناء صولة الفرسان، إضافة إلى سيطرتهم على ترسانة أسلحة خفيفة ومتوسطة وثقيلة تعادل تسليح فرقتين عسكريتين تخزن الآن في منطقة

الأهوار، والحدود مع الدول الأخرى سائبة لا سيما مع إيران والنفط الخام ومشتقاته يسرق علانية، والثروة الحيوانية تهرب، وفي المقابل تصدّر هذه الدول الأسلحة وتفتح معسكرات لتدريب مجرمين على قتل العراقيين، وعلمتُ بوجود مثل هذه المعسكرات على مقربة من حدود العراق داخل إحدى الدول المجاورة، وصارت العصابات والمافيات تعمل في البصرة علانية بفرض الإتاوات وهي مجهزة بأسلحة تفوق قوة أسلحة الشرطة والأجهزة الأمنية، وكونت قدرات مالية هائلة تقدر ببلايين الدولارات تقوم باستثمارها في إيران ودول خليجية لتكون لها مصادر تمويل ذاتية ثابتة، وللبصرة حدود مع إيران بطول ٢٨٠ كيلومتراً منها ١٨٨ كيلومتراً من المياه، مما يزيد في تعقيدات مهمة ضبطها في ظل الجو والظرف العام الذي يفرض نفسه على البلد، حتى وإن كنا ضبطنا إيرانيين أو وجدنا إيرانيين في شوارع البصرة هل من يأتي للعمل الاستخباراتي أو العسكري يفضح نفسه في وقت تسنح له الظروف للتخفي في غياب أجهزة أمنية فعالة أو قادرة على مواجهة استخبارات دولة مستقرة ولها مؤسساتها المحترفة، الإيرانيون يعملون وراء أغطية حزبية وشركات عدة توفر لهم أجواء مناسبة ومريحة لدخول العراق والعمل فيه.[1]

ستعيد "الإدارة الأمريكية الجديدة" اكتشاف الحكومة العراقية الحالية التي كانت تروج لها إدارة بوش في واشنطن لأغراض سياسية وانتخابية، وسيكتشف مدى هزالتها وانقسامها وتخلفها، فضلاً عن فسادها المستحكم؛ بسبب طبيعة تركيبها المبني على المحاصصة العرقية والطائفية، ومن ثم المحاصصة

---

[1] صحيفة الحياة اللندنية.

الحزبية ومن بعدها المحاصصة العائلية والمصلحية، بعيداً عن كل مواصفات الدولة الحقيقية والمهنية، كما أنها بعيدة كل البعد عن الحكومة التي تفرزها المجتمعات الديمقراطية والمبنية على التنافس الحر لاختيار الأفضلية العلمية والمهنية والنزاهة في كل الوظائف العامة المؤثرة وغير المؤثرة وبعيدة أيضاً عن الميزة الرقابية البرلمانية والشعبية التي تفرضها أيضاً المجتمعات الديمقراطية، ولن تستطيع أميركا أن توجد حكومة موالية لها كما تحب وكما تريد؛ كون قسم من الموجودين حالياً على رأس الدولة والسلطة لهم ولاءاتهم الخاصة "وقسم كبير منها بعيدة بشكل عام عن التوجه الأمريكي"، ولا تربطهم بها إلا مصالح آنية محدودة، وحتى المصلحة السياسية التي تربط البعض منهم مع أميركا، فهي "مصلحة تكتيكية"، وذلك واضح جداً، وأشك في أن الأميركان يجهلون ذلك!، كما أنهم على استعداد لأي بديل يوفر لهم البقاء في السلطة أو يوفر لهم الدعم أو الحماية اللازمة، والحقيقة أن جميع الأطراف المكونة للحكومة العراقية الحالية يعترفون بذلك وعلى رأسهم رئيس الوزراء الحالي "نوري المالكي"، وحينما دعا المالكي ـ في مؤتمر الكفاءات والنخب الذي عقد ببغداد يوم ٢٠٠٨/١١/٩م ـ إلى إعادة كتابة الدستور بطريقة "موضوعية" تمنح الحكومة المركزية الصلاحيات وليست الحكومات المحلية، قال الناطق الرسمي باسم جبهة التوافق العراقية سليم عبد الله: (إن تصريحات المالكي انعكاس للصراع بينه وبين الكرد بدليل أن برهم صالح تحدث بعده في المؤتمر بلهجة أخرى قال فيها إنه ضد المحاصصة وإنه مع الحكومة القوية، ولكن ليست الدكتاتورية، وإنه يرفض الهيمنة والتفرد الحزبي، بمعنى إن المؤتمر كان ساحة خطاب انبرى لها

الجميع للتعبير عما يتصوره). [1]

ولعل أخطر اكتشافات الإدارة الجديدة التي أتوقع أن يتم كشفها في المرحلة القادمة والتي يتوجب على الإدارة الجديدة الاعتراف به هـو فـشل العمليـة السياسية الأمريكية في العراق برمتها سواء من خلال العملية الـتي صـاغتها الإدارة الأمريكية وقام بتنفيذها "بول بريمر" عن طريق "مجلس الحكم" وقـانون إدارة الدولة أو كل ما تمخض عن مجلس الحكم من نـسخ مكـررة سـقيمة وانتهاءً بحكومة المحاصصة العرقية والطائفية الحالية، والتي تمتاز بالفشل الـذريع في كل توجهاتها السياسية والفكرية والاقتصادية والأمنية وأخطر مـا أفرزتـه العملية السياسية الأمريكية في العراق أنها أهدت العراق لقمة سائغة على طبق من ذهب إلى إيران العدو اللدود لأمريكا، ولم تنـتج أي نظـام حـضاري ديمقراطي متطور كما تشيع الإدارة الأمريكية دائماً، وبقت عاجزة مقيدة بقيود المحاصصة والطائفية والعرقية، وقد صرح رئيس الوزراء الحالي "نوري المالكي" في نفس المؤتمر الذي دعا فيه إلى تعديل الدستور بما يتيح توسيع صـلاحيات الحكومة المركزية ـ مؤتمر الكفاءات والنخب الـذي عقـد ببغـداد يـوم ٢٠٠٨/١١/٩م ـ (إن الدستور العراقي ربما كتب في أجواء كانـت فيهـا مخاوف، لكننا ذهبنا بعيداً في تكريس المخاوف وتكريس التطلعات، وأضـاف المالكي: أستطيع أن أقول إنها (المخاوف) لم تكن موضوعية، وقد وضعنا قيوداً ثقيلة لكي لا يعود الماضي ولكنها كتفت الحاضر وكتفت المستقبل).

مع البيان أن الدستـور العراقي الحالي هو أحد الانجازات التي طالما تنطعت

---

[1] موقع الملف: ٢٠٠٨/١١/١٠م

الإدارة الأمريكية بأنه أهم انجازاتها في العراق، ومن المستحيل إقامة مشروع وطني وحكومة وطنية على أساس من المحاصصة العرقية والطائفية، لتناقض المنطلقات الأساسية لكل منهما لذا ولد الكثير من الإخفاقات على صعيد أداء الحكومة واختيار الوزراء، كما ولد الاحتقانات السياسية المتلاحقة التي هددت بقاء الحكومة واستمرار عملها رغم كثرة الانسحابات منها "وصلت في بعض الأحيان إلى ثمانية عشر وزير منسحب"، ولطالما انعكس هذا التصارع السياسي المحتقن على الواقع الاجتماعي وهدد السلام الاجتماعي بالخطر، ومع هذا أصرت الإدارة الأمريكية على استمرار الحكومة بأداء واجباتها ليس بعيداً عن الأعراف القانونية والدستورية وليس فقط بعيداً عن الممارسات الديمقراطية بل رغم استحالة أداء واجباتها المهنية والسياسية بمثل هذه الأوضاع.

لن تفاجأ "الإدارة الجديدة" حيث أصبحت هذه الحقيقة مؤكدة الآن وهي أن القوات الأمنية العراقية (الجيش والشرطة) يتنازعهما خياران لا ثالث لهما (الخيار الوطني) و(الخيار الحزبي)، وهناك جزء كبير من تلك القوات تابع بشكل أو بآخر، مباشر أو غير مباشر لتوجيهات وتأثيرات وسياسات الأحزاب المسيطرة عليها، والتي لم تتخلص من عقدة الخوف من النظام السابق، وتقمصت سياساته بشكل غريب، وبدوافع معقدة ومتخلفة؛ لذا فهي تصر على أهمية التواجد القوي في كل أجهزة الدولة بشكل عام والأجهزة الأمنية بشكل خاص، وفي النهاية سيكون انتماء تلك الأجهزة موزع على انتماءات حزبية وولاءات طائفية وعنصرية، ونعود إلى الشاهد "اللواء الركن عبد الجليل خلف الشويلي قائد شرطة البصرة السابق" حيث يقول: (شرطة البصرة منقسمة إلى ثلاث جهات الأولى تنتمي علناً إلى المافيات والميليشيات وتمارس

القتل والجريمة بحسب أوامر أسيادها، والثانية تأتمر بأوامر الأحزاب قلباً وقالباً وتنفذ سياساتها وأجنداتها، والثالثة خائفة مستكينة لا حول لها ولا قوة تخشى التصفية في حال السباحة عكس التيار السائد، أولى مهامي كانت تطهير الشرطة من العناصر المسيئة والمرتشية والمنتمية للأحزاب والميليشيات ووجدت دائرتي الجرائم والاستخبارات متهمتين بالقتل والسلب لمصلحة جهات حزبية وميليشيات، فقمت بهيكلتهما على الفور وأصدرت أمراً بنقل١٠٠٠ شرطي فاسد كمرحلة أولى، ثم ٣٠٠٠ آلاف آخرين واستدعيت٣٠٠٠ آلاف شرطي موزعين لدى الأحزاب والمسؤولين الحكوميين خارج سيطرة الشرطة ووزعتهم على مراكز الشرطة بطريقة تضمن عدم تكتلهم، وسحبت٢٥٠ آلية تابعة للشرطة تستخدم لدى جهات ميليشيوية وحزبية وعصابات كانوا يرتكبون الجرائم فيها بمشاركة الدولة كونها هي التي تدفع رواتبهم ووقود عجلاتهم وتسلحهم).[١]

وهذا ما يفسر الاحتكاكات المتكررة بين الجيش والشرطة وبين الشرطة والبيشمركة، وفشل الأجهزة الأمنية في معالجة الكثير من الأزمات داخل الكثير من المدن وإخفاقها في مواجهة المليشيات بشكل حاسم وقوي، كما يفسر احتياجهم المستمر إلى ما يعرف بـ "الصحوات".

ويمكن أن نشهد تطوراً دراماتيكياً كبيراً في بعض صفوف المقاومة المسلحة بما يعيد ترتيب موازين القوى من جديد على أسس جديدة غير طائفية، أو يفرز تكتلات جديدة تساهم في إعادة صياغة عملية سياسية جديدة، ويقوي

---

[١] صحيفة الحياة اللندنية.

جبهة الرفض للاحتلال ويعيد ترميم الغطاء الجماهيري للمقاومة، والتي عملت أمريكا بكل إمكانياتها وجهدها ـ طوال الفترة الماضية ـ على سحبه من المقاومة بطرق شتى.

وأخيراً هناك متغير خطير جداً ستواجهه الإدارة الأمريكية في العراق خلال المرحلة المقبلة ألا وهو "الشعب العراقي" بكل أطيافه وقومياته، وبقدر كون المقاومة حالة فطرية فقد أصبحت الآن مسألة سياسية واقتصادية وذلك بسبب ما قدمنا من فشل السياسة الأمريكية بكل أصعدتها إضافة إلى تعمدها إهمال مصالح الشعب العراقي الحقيقية وتعمدها مواجهته بشكل مباشر وقاسي جداً واعتمادها على الفاسدين والمفسدين والسراق، لذا فإن أغلب ـ إن لم نقل كل ـ ما أفرزته المرحلة السابقة من الاحتلال هو تدمير لكل شيء في العراق، ولا يمكن قياس ما تحقق من بعض الأمور الإيجابية "على افتراضها" على ما تم انتهاكه وتحطيمه وتدميره في العراق من بنية أساسية أو بنية اجتماعية أو دينية أو أمنية، وسيرفض الشعب العراقي في المرحلة المقبلة ويقاوم فكرة التقسيم العرقي والطائفي وسيتجه بقوة نحو تعزيز الوحدة الوطنية مما يشكل خطراً جسيماً للاحتلال الأمريكي في العراق، لذا لن يكون باستطاعة الإدارة الجديدة الانتصار في العراق "على الأقل ضمن هذه المعطيات المطروحة الآن على الساحة "ولن يكون أمامها حل إذا أرادت أن تحفظ ماء وجهها وإذا كانت جادة فعلاً في عدم إعطاء العراق إلى إيران، وإذا أرادت أن تؤسس لمشروع يمكن أن يقنع العراقيين ويقنع الشعب العربي ويقنع العالم؛ إلا بالجلوس مع ممثلي الشعب العراقي الحقيقيين بكل أطيافهم وأعراقهم وأديانهم وقومياتهم، ومن المؤكد والطبيعي أن تكون المقاومة العراقية حاضرة بقوة في مثل هذه

المفاوضات، كما أن المنتقدين للعملية السياسية الحالية والرافضين لها لابد أن يكونوا حاضرين ليساعدوا على تحقيق هدف الانسحاب المبكر من العراق.

وهذا إن حصل سيقضي على أغلب احتمالات التدهور الأمني في حالة انسحاب القوات الأمريكية من العراق ويدعم القوات الحالية ويرفع من جاهزيتها الأمنية، لأن إصلاحها وتقويتها ودعمها سيكون جزءاً مهماً وأساسياً من المفاوضات المتوقعة بالتأكيد، إضافة إلى أن ذلك يحقق الوحدة الوطنية الحقيقية المطلوبة لمواجهة كافة الأخطار الخارجية المحتملة، وسيحصل مثل هذا التوافق الشعبي المتنوع على أعلى دعم شعبي وقومي يمكن أن نتخيله، فضلاً عن الدعم العربي والأممي الرسمي وهو يؤسس لعملية سياسية جديدة واعدة مدعومة من الجميع بعيدة عن المحاصصات الحزبية والعرقية والطائفية بأسلوب حضاري متطور ومتين.

المعركة القادمة

جميع الأمريكان بلا استثناء يقولون إن النصر لم يتحقق وإن النصر في العراق صعب، وذهب "ماكين" إلى حرب مائة عام وهو بهذا يصرح أن المقاومة للأمريكان يمكن أن تبقى مائة عام، وبقت مبرراته ضعيفة بعيدة عن الواقع الذي تعيشه أمريكا ولن تستطيع أمريكا أن تصمد مائة عام، أم أن إدراكها هذا سيجعلها تختصر الطريق وتذهب إلى الصفحة الأخيرة كي تقلص خسائرها المليارية في العراق، فضلاً عن الآلاف من الجنود القتلى والجرحى والمعوقين، وأنا أتوقع أن هذا الذي سيحصل خلال فترة قصيرة جداً وخلال حكم الإدارة الأمريكية القادمة.

وسيكون هناك الكثير من المتغيرات السياسية على الأرض في العراق سترافق تغيير الإدارة الأمريكية منها:

(١) انحسار وفشل السياسيين المتحالفين مع الاحتلال وفشل العملية السياسية الحالية وانحسار الدعم الشعبي عنهم وفشلهم في الانتخابات القادمة "على افتراض أنها ستكون نزيهة"، وبروز الكثير من التناقضات بين الكتل المختلفة وداخل الكتلة الواحدة أيضاً، وسيتبع هذا بالتأكيد تغيرات سياسية كبيرة في الإدارة العراقية وكذلك في طبيعة العملية السياسية برمتها، فقسم كبير من تلك التوقعات أصبحت لها واقع على الأرض وبدأ الكثير من اللاعبين الأساسيين في العملية السياسية الحالية بانتقادها والإعلان عن فشلها، وبدأت الكثير من البدائل لها تطرح على العلن من داخل العملية السياسية ومن خارجها أيضاً.

(٢) تعاظم الدور الشعبي على حساب الدور الحزبي، وسيكون هنالك حضور للأغلبية الصامتة أو التي زورت إرادتها في المرحلة السابقة من الانتخابات وسيعلو

الصوت المعارض للفساد والطائفية.

(٣) زيادة الدور السياسي المؤثر للكثير من الأطراف السياسية والتجمعات والهيئات الرافضة للعملية السياسية الحالية.

(٤) انحسار المد الطائفي وبروز المد الوطني والشعبي المناوئ للطائفية والعرقية والتعصب الحزبي.

(٥) ازدياد المطالبة بالمشروع الوطني على حساب المشروع الطائفي والعرقي.

(٦) اتساع المقاومة المسلحة للاحتلال وشمولها كل أطياف الشعب العراقي.

(٧) اتساع المقاومة السياسية وازدياد نضوجها السياسي وامتداداتها الاجتماعية واتساع غطائها السياسي وتنامي دور القوى الرافضة للاحتلال كقوة سياسية مؤثرة في الساحة السياسية، وبروز ممثلين لها وناطقين رسميين باسمها وستحتاج بكل تأكيد إلى تحالفات قوية ومتينة مع جميع القوى الرافضة للاحتلال، وقد نشهد جبهات سياسية تضم القوى السياسية إلى جانب المقاومة المسلحة.

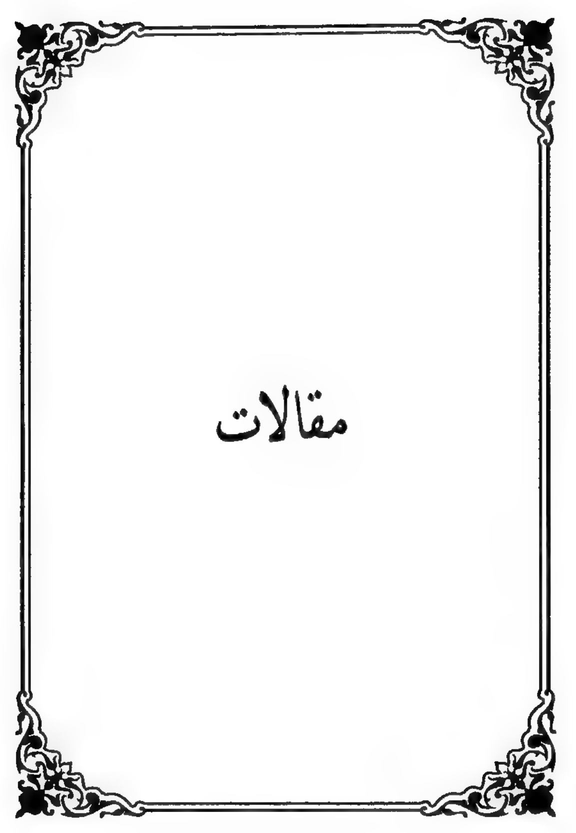
ستكون المرحلة القادمة مرحلة "حرب المفاوضات"

نتيجة للضعف التقني والتكتيكي في الإمكانيات التفاوضية لدى الكثير من الأطراف السياسية العراقية، وتعدد أطراف التفاوض وتناقض مطالبيهم، لذا لابد من توفير أرضية وطنية حقيقية تجبر الجميع على تغليب المشروع الوطني الجديد ومصلحة العراق فوق كل المصالح الحزبية والعرقية والطائفية ومكملة لها وتوفير مستلزمات وأدوات ومبادئ التفاوض واستحضارات المعركة السياسية المعقدة والصعبة.

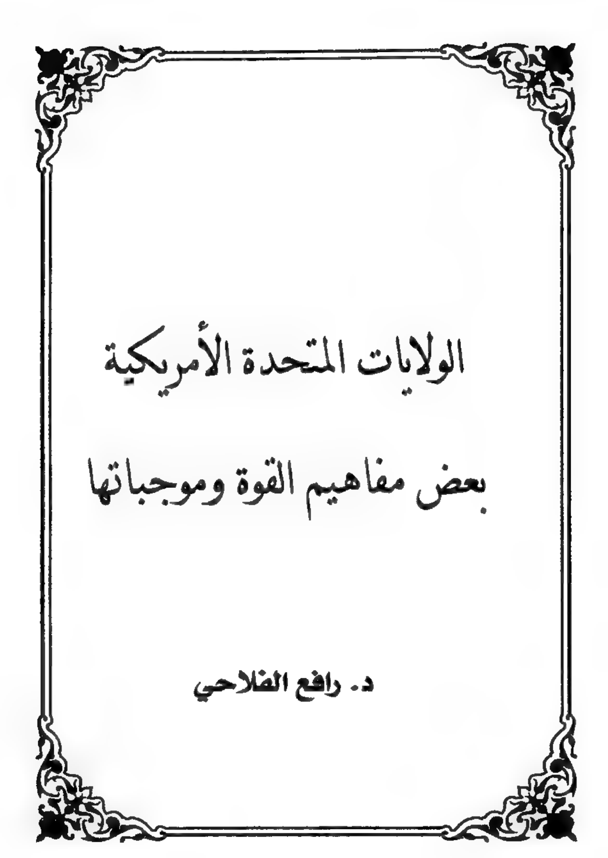
ستعاني أطراف وقواعد المقاومة الكثير من عدم التوافق والانسجام مع مفهوم "المعركة السياسية" بينما ستندفع أطراف أخرى لها، لذا لابد من تهيئة أذهان قواعد المقاومة إلى أن حرب المفاوضات لا تقل أهمية وخطورة عن المقاومة المسلحة بل لعل واجب المقاومة المسلحة هو إجبار العدو إلى تقبل الأمر الواقع والرضوخ إلى التفاوض وليس العكس، وستواجه المقاومة بعض الصعوبات الفكرية واللوجستية في إدارة هذه المعركة، ومن ذلك أيضاً تقبل فكرة الشركاء الجدد الذين ستفرضهم المرحلة القادمة، ليس لكونهم شركاء في هذا الوطن فقط بل لكونهم سيكونون شركاء في المقاومة وكذلك فكرة المشاركة السياسية.

ولكن أخطر ما يهدد المقاومة في هذه المرحلة "في حالة حصولها" هو وحدة الصف بين القابلين بفكرة المفاوضات والرافضين لها، وكذلك بين القابلين بفكرة التفاوض أنفسهم وحجم تمثيلهم، والقبول بفكرة التخلص من الاحتلال مقابل المشروع الوطني، علينا إذن أن نتهيأ لحقبة جديدة من الزمن العراقي بعيداً عن الاحتلال والتغلغل الأجنبي إن شاء الله، والكلمة الأخيرة للشعب العراقي.

إن الصراع الإيراني الأمريكي على أرض العراق ليس للشعب العراقي فيه أية مصلحة، وبالعكس فهو المتضرر الأساسي من هذا الصراع، ولابد للشعب العراقي أن يعرف مصلحته ويحدد أعداءه وأصدقاءه، ولابد أن يكون هو المقياس والحكم لوطنية كل الأطراف العراقية، فمن يقترب منه ويدافع عنه وعن استقلال العراق ووحدته بعيداً عن كل أسباب الضعف والتخلف فهو الوطني، فإن ما قدمه العراق وما خسره وما ضحى به كاف، ونهر الدم والأشلاء لابد أن يتوقف الآن، كما إن التخلف لابد أن يتوقف لكي تعود للعراق عافيته ويواصل دوره الحضاري الأصيل، وليس هناك سبيل أمامه للخروج من محنته هذه إلا بالوحدة الوطنية والابتعاد عن الحزبية المقيتة والطائفية المتخلفة والعرقية المتعصبة، ولا يمكن أن يكون العراقي عدواً للعراقي من أي طائفة أو دين كان أو عرق، ولابد أن يعي الشعب العراقي من هم أعداؤه الحقيقيون والمتحالفون معهم، ويستعد ليقول كلمته عبر وحدته الوطنية، ولا سبيل أمامه سوى ذلك، والذي يسعى لوحدة العراق وقوته هو الأقرب والذي يسعى لفرقتنا وإضعافنا هو عدو للعراق وللعراقيين.



مقالات



الولايات المتحدة الأمريكية

بعض مفاهيم القوة وموجباتها

د. رافع الفلاحي

الولايات المتحدة الأمريكية
بعض مفاهيم القوة وموجباتها

د. رافع الفلاحي

(إننا لسنا مرتبطين بالعالم لأننا قطعنا على أنفسنا تعهدات بذلك، بل لأن مصالحنا هي التي تصنع تعهداتنا وليس العكس)

ريتشارد نيكسون/ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦٩م-١٩٧٤م)

في محاولة لتسويغ العنف واستعمال القوة ضد الدول والشعوب، كانت الولايات المتحدة وما تزال تطرح مفاهيم مضللة تعبر في حقيقتها عن جوهر الإمبريالية أو بناء (الإمبراطورية)، فالاستراتيجيات الأمريكية تطرح مفاهيم تبرز ذلك التناقض الكبير في نظرة الولايات المتحدة لنظام العلاقات الدولية التي تريد قيامه، وفي محاولة منها لتسويغ نظريتها وأفكارها تذهب الولايات المتحدة إلى القول: إن نزوعها إلى بناء قوة عسكرية كبيرة وتطوير وسائل وإمكانيات تسليحها نابع ليس من مجرد شعورها بعدم الأمان فحسب بل للحفاظ على أمنها وأمن العالم.

الاستراتيجيون الأمريكيون (ومن خلال هذه النظرة) راحوا يحللون القوى المحركة للصراع الدولي على أساس ثلاثة عوامل رئيسية هي:

(١) الموارد الأولية ومصادر الطاقة اللازمتين لتحقيق التفوق.

(٢) عدد السكان المتنامي وحاجاهم المتنامية.

(٣) تطور التكنولوجيا وارتباطها المباشر بالتطور وبناء القوة المطلوبة.

معتبرين أن هذه العوامل كانت على حد سواء وراء إدراك الولايات المتحدة لقضية "الندرة".. فإذا كانت الولايات المتحدة تعد كل ما موجود من ثروات ومصادر الطاقة في العالم، هي مصادر أمريكية لكن التغيرات الجيولوجية هي التي وضعتها بعيداً عن خارطتها الجغرافية، فلابد إذن (من منطلق المشروعية) أن تسعى الولايات المتحدة للسيطرة عليها حتى وإن استوجب ذلك منها دخول الصراعات والحروب مع غيرها ممن "يعتقدون" أنهم أصحاب هذه الثروات لمجرد أنها في أراضيهم!، ومن أجل تلبية حاجات ومطالب سياساتها، فإن الإدارات الأمريكية المتعاقبة التي هي واجهة للمؤسسات الاقتصادية والصناعية والعسكرية مستعدة للقيام بأي عمل يفهم الآخرين جهلهم ويصحح الأخطاء التي ارتكبتها التغيرات الجيولوجية، وإن إنتاج السلاح وتنويعه وإعداد الجيش بنحو كبير وتطوير قدراته الهجومية باستمرار يندرج تحت هذا "القناع" لتسويغ تخصصها لإنتاج معين من الموارد المتوفرة في المجتمع الأمريكي وبما يمكنها من تحقيق التوسع وراء الحدود الجغرافية للولايات المتحدة.

وكما هو معلوم فإن "الندرة" كمصطلح قد لا يكون مرتبطاً بالموارد المادية الملموسة حسب، بل قد يشمل أموراً غير ملموسة مثل "المنزلة" أو "السمعة" أو "الأيديولوجية"، وإن الدول إما بسبب الندرة الفعلية في الموارد وتوزيعها غير السوي، أو بسبب الخوف من الندرة المحتملة قد تنزع إلى تنمية علاقتها وتعاونها مع الدول الأخرى وبناء جسور من تبادل المنفعة وبما يؤدي إلى خروجها من دائرة الخوف على مستقبلها بسبب افتقارها إلى عامل أو عدة عوامل من أسباب تقدمها واستمرار تطورها وضمان حياة أجيالها اللاحقة،

إلا أن هذا الحال لا يجد صداه في سياسات الولايات المتحدة، فهي تنـزع إلى تنمية توجه عرقي متمركز يصور المحيط الخارجي في الغالب بأنه مهدد وعدائي، وبهذا المعنى قامت الولايات المتحدة بإنتاج نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يتعامل مع بقية الأنظمة في العالم بمفاهيم مشوهة تعبر عن عدم الثقة والشكوك والشعور بانعدام الأمان وبما يسوغ النـزوع إلى استعمال القوة والعنف على النطاق الخارجي، وهكذا قامت صحبة بين الولايات المتحدة والقوة والعنف والإرهاب أفرزت قصة حياة هذه الدول التي آمنت بنفعية استعمال القوة قبل كل شيء، وإذا كان بعض التردد قد حصل في التعبير العملي عن هذا الإيمان الأمريكي المطلق، فإنه قد حصل بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فبعد هزيمة ألمانيا الإمبريالية وغياب خطرها في الهيمنة على أوروبا والمحيط الأطلسي، وجد الأمريكيون أن من غير المربح في ذلك الوقت البوح بسياساتهم ودسّ أنف بلدهم في القضايا المعقدة للشعوب الأخرى والتي كانت الحروب العالمية قد جذرتها ووسعت تأثيرها، وبما يلحق خسائر بأمريكا لم تكن مجبرة على تحملها في الوقت الذي يمكن لها تحقيق أرباح هائلة باستغلالها الانتهازي للظروف والأوضاع الدولية المرتبكة في ظل انهيار اقتصاديات الدول التي كانت في ذلك الوقت تمثل الدول العظمى التي تتحكم بالنظام الدولي الذي كان قائماً آنذاك كبريطانيا وألمانيا وإيطاليا والإمبراطورية العثمانية.

وهكذا فإن السياسة (الانعزالية) التي اتخذتها الولايات المتحدة الأمريكية منهجاً لها ما بين الأعوام ١٩٢٠م و١٩٤٠م كانت بمنـزلة مرحلة الوثوب الأخيرة نحو عالم النـزوات والعنف والإرهاب الأمريكي الواسع بعد عقود

من المناوشات التي كانت تعود على الولايات المتحدة بمنافع كثيرة وكبيرة، وقد حان الوقت لأمريكا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية لارتداء ثوب الحرب وأقنعة إخفاء النوايا ونظرات الذئاب المملوئة شهوة بدنو الفريسة لتمزيقها بتلك الأظافر القاسية والأنياب المدربة جيداً على التقطيع.

لقد كانت هناك أسباب كثيرة تجعل الأمريكيين يؤمنون بدعوة (تيودور روزفلت): (ليس لدينا خيار نحن شعب الولايات المتحدة في القيام بدور عظيم في العالم، بل لابد من القيام به)، فالأمريكيون كانوا يتطلعون بشغف إلى حالة القوة العظمى المتفوقة، ويتطلعون إلى عصر ذهبي يفرضون فيه أنفسهم على العالم بالقوة، وهو التطلع نفسه الذي راود المغول والتتار الذين اجتاحوا العالم في القرن السابع الميلادي ودمروا من خلاله أسس الحضارة والثقافة والعلوم وأسسوا على جماجم البشر إمبراطورية ضاعت فيها خصائص الشعوب وانجازاتها، ولقد آمن الأمريكيون بالقوة مثلما فعل المغول والتتار ونسوا وتجاهلوا نهاية ذلك المد المتوحش، وغابت عنهم حقيقة أن القوة دائماً تستدعي القوة وإن ميزة التحكم والسلطة تكون بحجم القدرة على الصمود وتغذية القوة بمقومات جديدة تعززها، وإلا فإنها الطريق الأقصر للانهيار، وحين تنبه الأمريكيون إلى هذه الحقيقة راحوا يعالجون الحال بما يضعف (وإن كانت الأقنعة قد أظهرته على إنه دليل تعزيز للقوة وقدراتها).. لقد كانوا يحلمون بأن يصبحوا أكثر قوة عن طريق التهالك في سباق التسلح الذي مكنهم من التفوق عسكرياً في الوقت الذي قربهم من الانهيار الاقتصادي نتيجة الأثمان الباهظة والجهود الهائلة التي بذلوها على هذا الطريق، وكان عليهم قبل أن يسلكوا مثل هذا الطريق أن يسألوا أنفسهم: كيف يمكن أن نعرض الآخرين لخسارة من

دون أن نعرض الداخل الأمريكي لخطر خسارة أفدح؟، ولو كان الأمريكيون قد واجهوا أنفسهم بهذا السؤال وأجهدوا عقولهم في البحث عن إجابته لما غاصت أقدامهم في أوحال فيتنام ولما اشتم الأمريكيون روائح الأفعال الكريهة لدولتهم، ولما شاهد الأمريكيون فيما بعد على شاشات التلفزيون جنودهم يُسحلون عام (١٩٩٣م) في شوارع العاصمة الصومالية (مقاديشيو) عندما احتل الأمريكيون الصومال تحت قناع (عودة الأمل)، ولما كان الأمريكيون يشاهدون قبل ذلك وبعده صور الأطفال العراقيين وهم يموتون بسبب نقص الغذاء والدواء نتيجة الحصار الشامل الذي فرضته دولتهم على العراق (١٩٩٠م-٢٠٠٣م) تحت قناع الحفاظ على الشرعية الدولية وتحقيق العدالة والحفاظ على حقوق البشر!، ولما واجهوا منذ احتلالهم العراق عام (٢٠٠٣م) حقيقة مقتل الآلاف من جنودهم ولما شاهدوا أو سمعوا بقصص العشرات من العراقيين الذين قُتلوا دفاعاً عن وطنهم ضد الغزو الأمريكي، أو بسبب سياسات التمزيق والتفرقة التي أشاعتها أمريكا بين العراقيين ولما تكلفت الميزانية الأمريكية أكثر من ترليون دولار لتمويل مشروع احتلالهم للعراق.. وغيرها من الأفعال التي لم تستطع كل الأقنعة الأمريكية تسويغها، الأمريكيون وبعد فشلهم وخيبتهم الكبيرتين في فيتنام، واجهوا أنفسهم ودولتهم بكل مؤسساتها بسؤال خطير له دلالاته على سقوط كل الأقنعة التي صنعتها دولتهم في تلك الفترة لتسويغ سياستها وأفعالها، والسؤال هو: هل أن دولتنا ـالولايات المتحدةـ هي حقاً قوة عظمى؟.. وهو السؤال نفسه الذي عاد يتردد على ألسنة الأمريكيين بعد فشلهم في العراق وحتى في أفغانستان التي احتلتها جيوشهم عام ٢٠٠١م.

إن جميع الرؤساء الأمريكيون الذين تتابعوا منذ (جونسون وحتى جورج دبليو بوش)، واجهوا هذا السؤال الشعبي بتكرار بعد أن اكتشف الشعب الأمريكي ذلك الفشل الذريع الذي تعرضت له الولايات المتحدة في فيتنام ومن ثم في العراق، واشتم الرائحة العفنة للأفعال اللاإنسانية التي ارتكبت بحق الفيتناميين والعراقيين وحتى بحق الأمريكيين أنفسهم، الأمر الذي دفع نسبة كبيرة من الأمريكيين لمطالبة حكومتهم بالعودة إلى "العزلة" التي كانت عليها دولتهم من قبل، من دون أن يدركوا أن العزلة الأمريكية كانت اللجوء المرتبط مع ظروف موضوعية، ولم تأت من فراغ.. بل من تقييم انتهازي لفرص الزمن جرى خلالها احتلال أراضي واسعة والامتداد لفرض الهيمنة على رقعة شاسعة من أراضي الدول المجاورة للولايات المتحدة، إضافة إلى أنها كانت فرصة لبناء اقتصاد قادر على احتلال السوق المحلية ومجابهة أعباء المنافسة الخارجية، كما أن تلك العزلة قد وفرت للولايات المتحدة فرصاً لبناء قوة عسكرية هائلة تمكنها من تنفيذ مهمات ضد الحلفاء والأصدقاء على حد سواء، وإذا اكتملت كل تلك الخطوات بدأت مرحلة التخلي النهائي عن مبدأ (لكل امرىء شأن يعنيه) الذي سبق أن تبنته السياسة الأمريكية لتضمن لنفسها مرحلة انعزالية مثالية تحقق من خلالها الصعود نحو القوة.

لقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م إيذاناً ببداية عهد أمريكي جديد دشن بتبني مبدأ (هاري ترومان) الذي لخصه في خطابه الشهير في الكونغرس خلال شهر آذار عام ١٩٤٧م، والذي جاء ضمن خطة الحكومة الأمريكية للتعبئة الشعبية ضد الاتحاد السوفيتي آنذاك باعتباره كان يمارس ضغوطاً ضد اليونان وتركيا الدولتين الحليفتين للولايات المتحدة واللتين تعتبرهما

واشنطن من المفاتيح المهمة لممارسة ضغوطها على الاتحاد السوفييتي من مناطق قريبة من حدوده، وقد كانت الولايات المتحدة قد أعلنت مساندتها لهما.. وإزاء ذلك قال ترومان في خطابه: (إننا حين نساعد الشعوب الحرة فإننا نعينها في الحفاظ على مؤسساتها ووحدتها الوطنية ضد الحركات العدوانية التي تسعى لفرض الأنظمة السياسية الشمولية).

و لم يكن إطلاق الولايات المتحدة لمبدأ التدخل الواضح في شؤون الآخرين تحت "قناع" المساعدة وصيانة السلام العالمي، ليتم بمعزل عن حملة إعلامية تولت تنفيذها الصحافة وأجهزة الدعاية الأمريكية الأخرى لتسويغ التصرفات اللاحقة من خلال القول إن أمن الولايات المتحدة يتعرض للتهديد ولابد من ممارسة سياسة "الاحتواء" التي بإمكانها أن تضمن للأمريكيين النوم الهانئ بسلام، ولقد كانت أجهزة الدعاية الأمريكية تهدف من وراء انجازها لهذه المهمة بهذا النحو، صناعة وجه أمريكي (قناع) يخفي الحقيقة بقياس وشكل يناسب البراغماتية (pragmatism) التي طرحها ترومان في خطابه، وبما يجعل الشعب الأمريكي يصدق بأن حكومته مضطرة دفاعاً عنه للتصدي لحالة (الاضطراب والعدوانية) التي تحدثها الشيوعية ونظامها الشمولي في جميع أنحاء العالم لتقويض أسس عالم الحرية والنظام الديمقراطي الذي تمثله الولايات المتحدة، وعلى هذا الأساس كان وقع خطى الجنود الأمريكيين يأخذ مداه الواسع في الحرب الكورية لترسيخ الانفصال بين شمال وجنوب شبه الجزيرة والتعبير عن سياسة التفتيت التي تؤمن بها الولايات المتحدة لتحقيق هيمنتها على العالم، وبمعنى أصح وأشمل الدفاع عن القاعدة الأمريكية المتقدمة في كوريا الجنوبية القريبة من حدود الصين والاتحاد السوفيتي على حد سواء، وفي الوقت

نفسه كانت واشنطن قد تحركت بنحو سريع لإثارة مخاوف أوروبا من خطر الوقوع تحت الهيمنة السوفيتية، وبما منحها فرصة فرض هيمنتها على أوروبا الغربية بحجة الدفاع عنها ضد المخاطر السوفيتية والشيوعية، وقد أثمرت تحركاتها بإقامة شبكة واسعة من الأحلاف العسكرية والمعاهدات الأمنية والسياسية والاقتصادية، تولت الولايات المتحدة رئاستها والسيطرة التامة على قراراتها وتوجهاتها، وكان من بين أهمها (حلف شمال الاطلسي) الذي تضمنت وثيقته الموقعة في نيسان ١٩٤٩م تفويضاً للولايات المتحدة بفرض هيمنتها على أوروبا الغربية بحجة المشاركة في عملية الدفاع عنها ضد الخطر الشيوعي القادم من الشرق.

وفي كل تحركاتها لفرض هيمنتها، كانت الولايات المتحدة تحرص وعلى كل المستويات أن يكون ملهمها العميق في السياسة الخارجية هو التصرف من جانب واحد ومن دون انتظار حتى موافقة شركائها على ما تعزم القيام به والذين يجب عليهم تقديم الدعم والمساندة لها وعلى جميع الأصعدة التي تراها واشنطن مفيدة لتحقيق مصالحها وأهدافها وهو موقف معلن عبر عنه فيما بعد الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بالقول: (إننا لسنا مرتبطين بالعالم لأننا قطعنا على أنفسنا تعهدات بذلك، بل لأن مصالحنا هي التي يجب أن تصنع تعهداتنا وليس العكس)، وما هذا القول إلا مزيج من الاستخفاف بالآخرين وحب الذات اللذان يجعلان الولايات المتحدة تظن أنها بمنأى عن مشاكل الآخرين وأحزانهم، ويحق لها بالتالي أن تدوس على رقاب الآخرين من أجل مصالحها فقط، وتلك هي قمة الصلافة التي تمتاز بها السياسة الأمريكية حتى مع أقرب حلفائها، وتأسيساً على ذلك، وطّن الأمريكيون أنفسهم للدخول في

مغامرات لا نـــهاية لها عبرت عن سياسة بلادهم الحمقاء التي قذفت بهـــم في خضم مشاحنات وحروب وعداءات عديدة، وسوف تبقـــى حادثـــة إلقـــاء القنبلتين الذريتين في ٦ و٩ آب ١٩٤٥م على مدينتي "هيروشيما وناغازاكي" اليابانيتين بمنـــزلة بداية لتاريخ أمريكي حديث ومعاصر موصـــول بتاريخهـــا القديم ومكمل له، تتابعت فصوله بنحو مثير للدهشة يؤكد ذلـــك الإصـــرار الأمريكي على ارتكاب مجازر متعمدة لاثبات القدرات والقوة والتصميم على استعباد الشعوب، ولم يكن كل ذلك يجري من دون "أقنعة" تسوغ الباطل.

وثمة حقيقة هنا تؤشر أن الرؤساء الأمريكيون كانوا دائماً أول من يتـــولى الإفصاح عن شكل وطبيعة "القناع" الذي يلبسون به الباطل لبـــاس الحـــق، كجزء من وظيفتهم عندما يتصاعد القلق في نفوس الأمريكيين وشعوب العالم إزاء تصرف أو سياسة أمريكية معينتين، فالرؤساء يتولون مهمة إلقاء خطابات مزينة بعبارات الحسم والإنذار والتحذير التي تفرضها المبادئ والمثل العظيمـــة، في محاولة لطمس حقيقة الأهداف والنوايـــا، فـــالرئيس الأمريكـــي (وودرو ولسون) كان يرى بوضوح تام في عام ١٩١٧م أن الكفة تميل لصالح الهيمنـــة الألمانية ــ خلال الحرب العالمية الأولى ــ وبما سيؤدي إلى قيام ألمانيا بفـــرض سيطرتها على المحيط الأطلسي (بمعنى أن ألمانيا ستنازع الولايـــات المتحـــدة في فرض الزعامة والهيمنة على المحيط الأطلسي).. غير أن "ولسون" لم يكـــشف عن معرفته عندما توجه بالخطاب إلى الأمريكيين، إذ راح يتحدث عن حريـــة الملاحة الدولية وعن الحرب التي دخلتها الولايات المتحدة في سبيل حرية البشر والديمقراطية والعدالة والحرية، أما الرئيس (فرانكلن روزفلت) فقد وجد مهمته في ارتداء القناع أشد يسراً ممن سبقوه لتسويغ اشتراك الولايـــات المتحـــدة في

الحرب العالمية الثانية بسبب أن المد الألماني آنذاك كان عالياً ومستمراً يهدد بغمر أوروبا كلها، فقد أدرك روزفلت منذ عام ١٩٤٠م أن بلاده ليس لديها خيار بين الحرب والانعزالية، ولكنه أخفى المصالح المتعددة للولايات المتحدة والمكاسب التي ستجنيها من هذه الحرب، وراح يتحدث عن التدخل في أوروبا لحماية الحرية والديمقراطية.

وفي الهند الصينية، ومنذ عهد (ترومان وحتى عهد جونسون)، طرح الرؤساء الأمريكيون المتعاقبون مختلف أنواع الأسباب التي تسوغ تدخلهم وحروبهم هناك: (النضال ضد الإمبريالية الفرنسية، التصدي للخطر الشيوعي السوفيتي، مساعدة الشعوب في الدفاع عن حريتها وتقرير مصيرها، المسؤولية الأمريكية في تحقيق السلام.. وغيرها)، لكن أياً من هذه الأسباب المذكورة لم تكن حقيقية، لذلك انهارت كلها عام ١٩٦٦م أمام حقيقة عدم وجود مصلحة أمريكية معرضة للخطر تستوجب من الولايات المتحدة الغوص في أوحال فيتنام وأدغالها، وعندما واجه الأمريكيون هذه الحقيقة في ظل نتائج وخيمة ومعاكسة لكل ما كان الرؤساء والإدارات الأمريكية يعدون به، اكتشفوا أن رؤساءهم لم يكونوا من أصحاب العقول الراجحة والآراء السديدة، ولم يكونوا صادقين حيال شعوب الأرض والشعب الأمريكي بنحو خاص، فغرسوا أقدامه وكل ما بناه وأسس قواعده في رمال متحركة.. فكيف يمكن بناء دولة حقيقية أو قوة حقيقية على رمال متحركة؟، ومن المفيد هنا أن نذكر رأيين أوردهما المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" في كتابه "الولايات

المتحدة الأمريكية ...طليعة الانهيار"[1] على لسان اثنين من مخططي السياسة الأمريكية.. فقبل نشوب الحرب الكورية بقليل في (١٩٥٠م)
أقرت وثيقة تحديد الخط السياسي للولايات المتحدة، وهي وثيقة حررها "باول نتر" الذي خلف "جورج كنن" في رئاسة مجلس الدولة للتخطيط ضمن مجلس الأمن القومي، وقد كتب "جورج كنن" عام ١٩٤٨م يقول (إننا نمتلك ما يقارب (٥٠%) من ثروات العالم ولكننا لا نملك من سكانه سوى (٦,٣%)، وفي موقف كهذا لا يمكن تفادي أن نكون عرضة للغيرة والأحقاد، ولذلك فمهمتنا في الفترة القادمة هي أن نطور نظاماً للعلاقات التي تسمح لنا بأن نسيطر على هذا الموقف من اللامساواة من دون أن نعرض أمننا القومي للخطر، وحتى نحقق ذلك سيتحتم علينا أن نتخلى كليةً عن العواطف وأن لا نحلم أحلام اليقظة، يجب أن تكون نيتنا مركزة على أهدافنا القومية الملحة، يجب أن لا نخدع أنفسنا، فلن نستطيع اليوم أن نسمح لأنفسنا بترف تفضيل الغير علينا، ولا بعمل الخير على الساحة العالمية، ويجب أن ننتهي عن الكلام في الأهداف العامة وعن الشرق الأقصى الذي يجب أن يتحقق فيه احترام حقوق الإنسان وارتفاع مستوى المعيشة والديمقراطية، وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيتحتم علينا التحدث فيه بصراحة وبلغة موازين القوة.. ولكن سوف تعكر صفونا شعارات المثالية، نعم سيحدث ذلك)، وكان "جورج كنن" قد أقيل من منصبه لأن السلطات الأمريكية عدته (العين الثاقبة) بمعنى أن هذه السلطات قد وجدته خارج مجموعة من يصنعون الأقنعة التي تسوغ سياساتها الأمر الذي

[1] روجيه غارودي: الولايات المتحدة الأمريكية ...طليعة الانهيار ، ترجمة كمال جاد الله، ص ٤٦-٤٧ .

سيعري هذه السياسات ويظهرها على شكلها الحقيقي أمام الجميع من دون تزويقات أو دبلوماسية، أما الرأي الثاني فقد ورد على لسان "باول نتر" وهو يوضح أهداف خطته المعروفة بـ (خطة الصقور) بالقول: (الولايات المتحدة تمتلك قوة عالمية، ولذلك فمن الضروري أن تحدد لها عدواً شاملاً ـ وكان آنذاك الاتحاد السوفيتي ـ)، فقد اعتبرت السلطات الأمريكية الاتحاد السوفيتي شيطاناً، واعتبرت كل شكل من أشكال التدخل أو العدوان من جانب الولايات المتحدة مسوغاً منذ البداية، فهو رد فعل للدفاع ضد تهديد شامل، وعلى أساس هذين الرأيين يمكن رؤية شكل وأغراض بعض "الأقنعة" التي تصنعها الولايات المتحدة لتسويغ أفعالها، ففي حالة العدوان الأمريكي على كوريا أو فيتنام لم يكن بمقدور السياسيين الأمريكيين القول بأن كوريا أو فيتنام قامت بغزو الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة هي التي قامت بغزوهما وهما على بعد آلاف الكيلومترات من حدودها.. لكن السياسيين الأمريكيين اعتبروا أن الولايات المتحدة قد قامت بذلك وهي في حالة دفاع شرعي عن النفس لوقف المد السوفيتي هناك.

وإذا ما تركنا تلك السنوات البعيدة نسبياً، وقفزنا إلى سنوات قريبة مضت سنجد الصورة ذاتها تتكرر بإصرار عجيب، وكأن الإمبراطورية الأمريكية محكومة بالانهيار بسبب سياسات رجال الحكم فيها، الذين أهملوا ويهملون أقدار بلادهم وأقدار حلفائها.. فهذا الرئيس الأربعين للولايات المتحدة (رونالد ريغان) يعلن في رسالة إلى الكونغرس عام ١٩٨٧م (أن الأمريكيين غير مهيئين لمعاملتهم وكأنهم حمقى في الحلبة التجارية الدولية، فهم سيكسبون أكثر على الصعيد العالمي إن أخفوا دوافعهم بنحو أقل)، وإذا كان هذا القول

موجهاً إلى الأمريكيين بنحو خاص، فإن "هنري كيسنجر/ وزير الخارجية الأمريكية الأسبق" كان قد وجه كلاماً مختصراً ومعبراً عن الرؤية الأمريكية للعلاقة مع الحلفاء الأوربيين، حين قال في عام ١٩٧٩م: (إن على الأوروبيين أن يكفوا عن مطالبتنا بتأكيدات استراتيجية معقدة لا نستطيع أن نمنحها لهم، حتى إن أعطيناها لهم فإننا لا نرغب بالوفاء بها وإلا جازفنا عندئذ بتدمير الحضارة)، وقد جاء هذا الكلام ليؤكد رؤية أوروبية مستقلة وواقعية كان الجنرال (شارل ديغول) قد وضحها عام ١٩٦٣م بالقول: (لا يمكن لامرئ في أمريكا أن يقول أين أو كيف أو متى سوف يجري استعمال الأسلحة النووية الأمريكية في الدفاع عن أوروبا)، ولقد كان ديغول يحذر في قوله من مغبة الانجرار الأوروبي وراء الوعود الأمريكية الكاذبة، وفي الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تمارس ضغوطات شديدة على أوروبا وخصوصاً على فرنسا لمنعها من التزود بالسلاح النووي ولمنعها من الظهور كقوة مؤثرة قد تنافس قوة الولايات المتحدة وتستحوذ على مساحة نفوذ دولي لا ترغب "واشنطن" في أن تكون من حصة غيرها، فالولايات المتحدة ترى أنها الدولة الأكثر غنىً في العالم والأكثر جدارة بقيادة أوروبا والعالم، ولهذا فهي جديرة بالثقة الكلية.. ومن هنا فإن مبدأ تدخلها واتخاذها القرارات من جانب واحد وممارسة التفوق والتصدي للآخرين، كان ومايزال من المبادئ الأساسية في استراتيجية الولايات المتحدة للسيطرة على العالم وخلق حالة من عدم التوازن في كل المستويات الدالة على القوة (السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية.. وغيرها) بشرط أن يميل الميزان لصالحها وعلى الآخرين أن يتصرفوا

مع هذا الوضع على إنه أمر طبيعي وحق مكتسب ويجب عليهم، احترامه وعدم المساس به.

إن الطبيعة الجذرية لاختلال التوازن الذي حاولت الولايات المتحدة ايجادها وتنميتها لتسويغ تدخلاتها، لا تقتصر (وفقاً للتفكير الأمريكي الأناني) على مجموعة من الدول أو الشعوب من دون أخرى، فعلى الرغم من أن السياسات الأمريكية وقد عبرت (منذ ظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى على الساحة الدولية) عن هذه الطبيعة بما يوحي أن البلدان الفقيرة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية هي المقصودة باعتبارها تؤلف تجمعاً اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً منفصلاً بالقياس إلى دول الغرب والعالم المتقدم، وبما يستوجب وجوداً ملموساً ومؤثراً للقوى والمستويات المتقدمة في هذه الدول (الفقيرة) بدعاوى وأقنعة زائفة تتحدث عن المساعدة لخلق قواعد وجسور للتواصل مع العالم المتقدم .. لكن واقع التصرفات الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم يؤكد أن نموذج التبعية الذي تخطط وتسعى إليه الولايات المتحدة مبني على أساس وجود نظام غير متكافئ بينها وبين كل دول العالم وشعوبها (متقدمة أو متخلفة)، بمعنى أن نمط علاقات الولايات المتحدة يجب أن يكون باستمرار في مصلحتها ويشكل أضراراً بالطرف الآخر حتى وإن كان من حلفائها، فالكل يشكل محيطاً وهي المركز، والنتيجة هي تطور كل المستويات الدالة على القوة (السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والاجتماعية.. وغيرها) في المركز وعلى حساب المحيط بما يضم هذا المحيط (وفقاً لتشكيل هندسي تكبر فيه الدوائر كلما ابتعدت عن المركز) من دول الغرب المتقدم ثم دول قريبة أو على عتبة التطور والتقدم ثم دول ضعيفة وفقيرة (اصطلح على تسميتها في الأدبيات

السياسية بدول العالم الثالث)، وكل هذه الدول الموزعة على الدوائر هي (وفقاً للنظرة الأمريكية) بحاجة ماسة إلى الحماية الأمريكية وموجبات التقدم وفق النمط الأمريكي، وهي أيضاً بحاجة إلى المعرفة والمهارات والتنظيم والقيم والتكنولوجيا ورأس المال من العالم الحر (أمريكا)، فالولايات المتحدة وفقاً للتفكير الاستعماري الشامل الذي تؤمن به هي مركز (النخبة) ولابد لهذه (النخبة) من دور متميز وغير مقيد وحصة متميزة في كل الموارد المادية المتوفرة في العالم، كما إنها يجب أن تتولى من دون مشاركة مسؤولية تحديد الكم والنوع الذي تحتاجه أية دولة أو مجموعة من هذه الموارد، والكيفية التي تحصل من خلالها على ما تحتاجه وفقاً لشروط تضعها واشنطن، وهو ما تطلق عليه الولايات المتحدة تسمية (نظام دولي).



بين نهاية التاريخ....

ونهاية أمريكا ..!؟

أحمد الهواس

بين نهاية التاريخ... ونهاية أمريكا..!؟

أحمد الهواس[1]

كلما جرت انتخابات أمريكية انشغل العالم بالمرشح الديمقراطي وخصمه الجمهوري واختزلت أخبار العالم بمن سيدخل البيت الأبيض، وكأن الداخل لهذا البيت هو رئيس العالم أو هكذا يبدو... ولكن هذه المرة لن يكون خليفة بوش مرتاحاً في الأقل فهو ليس زعيم العالم المنتظر، فقد آن لأحادية القطب أن تنتهي، وهناك مشاكل كثيرة أوقعت إدارة بوش أمريكا بها وبالتالي انعكست أزماتها على العالم أجمع، وبات المتربصون بأمريكا يجاهرون علناً بخطأ سياساتها على الأصعدة كافة!. فمن فشل عسكري (العراق وأفغانستان) إلى فشل مالي (الأزمة المالية وسبقتها بقليل أزمة الغلاء العالمي والصعود الجنوني لأسعار البترول) والغزو الروسي لجورجيا رغم الدعم الأمريكي لها، وكذلك استعراض القوة الروسية في الحديقة الخلفية لأمريكا..!.

وهكذا لن يكون خروج بوش الابن أمراً عادياً بل مصحوباً بالكوارث والأزمات وربما إيذاناً بنهاية القرن الأمريكي الذي بشر به المحافظون الجدد وعلى رأسهم فرانسيس فوكوياما.

قبل أن يحدث كتاب فوكوياما (نهاية التاريخ) جدلاً في الأوساط العالمية كان قد سبق ذلك بمقال له عام ١٩٨٩م يحمل العنوان ذاته، ثم طوره من مقال إلى كتاب كان سبباً في مصائب تترا، وأُستند على آراء مؤلفه في غزو أفغانستان والعراق بحجة محاربة الأصولية أو ما عرف فيما بعد الإرهاب.

(١) كاتب وإعلامي سوري مقيم في القاهرة.



مؤلف العمل رأى أن الدنيا قد خاضت تجارب عدة وفشلت وآخرها الشيوعية، وما أن سقطت النظم الشمولية الاشتراكية حتى لاذت بعدو الأمس الديمقراطية الليبرالية، فنهاية كل التجارب تصب بالتجربة الغربية والليبرالية الرأسمالية الغربية والنموذج الأمريكي تحديداً وأي تطور سيكون طفيفاً في التجربة الأخيرة للبشرية، فهي نتاج الشرعية كما يقول.... ويطرح في نهاية مقدمة كتابه سؤالاً: هل يقود التطور التاريخي المضطرد الغالبية العظمى من البشر نحو النظام الرأسمالي الليبرالي؟ والإجابة التي تمكنت من الوصول إليها هي: نعم ....!، وبعد صدور كتابه عام ١٩٩٢م قال فوكوياما في لقاء مع وكالة أورينت برس: ((لقد حققت أمريكا أضخم انتصار مع نهاية القرن العشرين.. إبادة الشيوعية، وسحق العراق، ولا أحد يشك الآن في أن أمريكا هي زعيمة العالم، نحن الأقوى والأعظم، انظروا إلى الروس والشعوب الأخرى التي خلعت رداء الشيوعية وجاءت لتحتمي بأمريكا! أنا أمريكي مائة بالمائة ولا أعاني إطلاقاً من ازدواجية الانتماء، فأنا ــ رغم أصولي اليابانية ــ ابن أمريكا.. إن أمريكا هي آخر بلد يمكن أن يُكن للاعتبارات العائلية أو العرقية أية أهمية، وهي لم تقم ــ كما يدعي البعض ــ على أشلاء أهلها الأصليين من الهنود الحمر والآزتيك الذين كانوا يذبحون أطفالهم قرابين للآلهة. إن وصول المهاجرين الأوربيين لم يكن عملاً بربرياً، بل كان إنجازاً حضارياً، هل يمكن أن نتخيل مدى سوء الأوضاع فيما لو ظلت أمريكا مأهولة بتلك المخلوقات البدائية!، لدي إحساس قوي بأنني سأصبح شيئاً مهماً في التاريخ الأمريكي الجديد ربما كان البيت الأبيض)).

فوكوياما المبشر بالأنموذج الأمريكي والذي كان داعماً لتوجهات المحافظين الجدد ففي عام ١٩٩٧م أسس مركزاً للبحوث تبنى مشروعاً أطلق عليه (مشروع القرن الأمريكي)... هو المتناقض في أفكاره وآرائه، فبعد غزو العراق دعا إلى استقالة وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) ورأى أن إدارة بوش قد هولت من خطر الأصولية الإسلامية مما أدى إلى تنامي العداء للولايات المتحدة الأمريكية...!

وما أن ضربت الهزة المالية الولايات المتحدة الأمريكية حتى سارع إلى التصريح بأن النفوذ الأمريكي يتضاءل وقد نشر مقالاً في (نيوزويك) يقول فيه: إن أميركا لم تستمد سلطانها ونفوذها من دباباتنا ودولاراتنا، ولكن من إحساس السواد الأعظم من الناس بجاذبية النمط الأميركي في الحكم مما جعلهم يتوقون إلى إعادة صياغة مجتمعاتهم على نفس الشاكلة التي أطلق عليها أستاذ العلوم السياسية (جوزيف ناي) مصطلح "قوتنا الناعمة"، ومن العسير أن ندرك كنه الضرر الذي لحق بالنموذج الأميركي في سماته المميزة، ففي السنوات ما بين ٢٠٠٢م و٢٠٠٧م عندما كان العالم يمر بفترة غير مسبوقة من النمو، كان من السهل تجاهل أولئك الاشتراكيين الأوروبيين والمدافعين عن حقوق عامة الناس ممن شجبوا النموذج الاقتصادي الأميركي ووصفوه بأنه "رأسمالية رعاة البقر"، غير أن محرك ذلك النمو، الذي هو الاقتصاد الأميركي، قد خرج من سكوته وهو ينذر بسحب بقية العالم معه، والأدهى والأمر أن الجاني هو النموذج الأميركي بذاته، وبتبني مبدأ تقليص سيطرة الدولة، أخفقت واشنطن في ضبط القطاع المالي على نحو واف وأفسحت المجال للحكومة لتلحق ضرراً بليغاً بباقي المجتمع... على أن الديمقراطية فقدت بريقها حتى قبل ذلك، فعندما

ثبت أن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل التمست إدارة بوش تبرير شن حرب على العراق بربطها ببرنامج حريات عريض، وسرعان ما أصبح نشر الديمقراطية هو السلاح الرئيس في الحرب على الإرهاب، وبدأ الخطاب الأميركي عند الكثيرين في مختلف أرجاء العالم أشبه بالمبرر الذي يسوغ تعزيز الهيمنة الأميركية.

إن الخيار الذي نواجهه اليوم يذهب إلى أبعد من خطة الإنقاذ أو حملة الانتخابات الرئاسية، فالنموذج الأمريكي يقف على المحك على نحو مؤلم في وقت تبدو فيه النماذج الأخرى الصيني منها أو الروسي أكثر جاذبية.

فوكوياما حاول أن يستدرك تناقضه فوقع في تناقض أكبر حينما رأى أن أمريكا قادرة على الخروج من الأزمة المالية الحالية فقد توقع أن العالم سيواجه انكماشاً اقتصادياً ولن يكون النموذج الروسي أو الصيني بديلاً للنموذج الأمريكي، واستشهد بالكساد الكبير في ثلاثينيات القرن المنصرم حيث استطاعت أمريكا الخروج منه بفضل قابلية نظامها للتكيف، ومرونة الشعب الأمريكي... !، فأين كلام فوكوياما الحالي من كلامه في كتابه نهاية التاريخ..؟ (يبدو لي ـ أخيراً ـ الجنس البشري كما لو كان قطاراً طويلاً من العربات الخشبية التي تجرها الجياد متجهاً إلى مدينة بعينها عبر طريق طويل في قلب الصحراء، بعض هذه العربات قد حددت وجهتها بدقة ووصلت إليها بأسرع وقت ممكن، والبعض الآخر تعرض لهجوم من الآباتشي (الهنود الحمر) فضل الطريق، والبعض الثالث أنهكته الرحلة الطويلة فقرر اختيار مكان وسط الصحراء للإقامة فيه وتنازل عن فكرة الوصول للمدينة، بينما من ضلوا الطريق راحوا يبحثون عن طرق بديلة للوصول للمدينة، وفي النهاية يجد الجميع

أنفسهم مجبرين على استخدام الطريق نفسه _ ولو عبر طرق فرعية مختلفة _ للوصول لغايتهم، وفعلاً تصل هذه العربات إلى المدينة في النهاية، وهذه العربات عند وصولها لا تختلف عن بعضها بعضاً إلا في شيء واحد... هو توقيت الوصول للمدينة.. في سرعة أو بطء وصولها إلى الديمقراطية الليبرالية.. ومن ثم نهاية رحلتها الطويلة... نهاية التاريخ).

لقد رأى (بوش الأب) عشية حربه على العراق أن العالم قد دخل في نظام عالمي جديد بقيادة أمريكا، وقد كانت حرب الخليج إيذاناً بنهاية المنظومة الاشتراكية، فالبرسترويكا التي أطلقها غورباتشوف كانت رصاصة الرحمة على الاتحاد السوفياتي فانحل عقده وتلاشى.

ويرى كثير من الباحثين في الشأن الأمريكي أن الواقع الجغرافي قد خدم أمريكا في جعلها بعيدة عن الغزوات، وأن الثروات الهائلة التي تمتلكها ساهمت بنموها الصناعي الهائل، وكذلك التجاري.. هذه الظروف دفعتها لأن تسود العالم لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد برزت كقوة عسكرية حسمت المعركة لصالح الحلفاء واستخدمت السلاح الذري لأول مرة في تاريخ الحروب الحديثة، كذلك سيطرت على أوربا اقتصادياً عبر مشروع مرشال.

وقد اقتسمت العالم بينها وبين عدوها الشيوعي حتى سقط جدار برلين عام ١٩٨٩م فكشف عورة المعسكر الاشتراكي الذي تداعى كأحجار الدومينو...! فقد استطاع الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغان) أن يجعل الشيوعية في سباق تسلح لم تكن قادرة على تحمل نتائجه الاقتصادية الكارثية، ثم كانت حرب الخليج ١٩٩١م لتعلن تأسيس النظام العالمي الجديد الذي تقوده بنفسها، وبعد ذلك ضربت بلغراد وهي تعني نهاية الراديكالية داخل

أوربا وحلفاء السوفييت أمس، وانتهى الأمر بتقسيم يوغسلافيا ومن ثم اختفاء هذه الدولة نهائياً بعد أن انفصلت صربيا عن الجبل الأسود.

وجاءت أحداث (١١أيلول/سبتمبر) لتعلن أمريكا أن هذه الأحداث ستغير وجه العالم فأعلنت حربها ضد ما يسمى الإرهاب فغزت أفغانستان ومـــن ثم العراق، ورأت أن حربها طويلة قد تمتد لعقدين.

الآن أمريكا الغارقة في العراق وأفغانستان عسكرياً، والمصابة بزلزال مالي قد يكلفها قيادة العالم، تبحث عن حلول كانت تعدها عيباً على الآخرين..! فها هي تذهب للتدخل في المصارف والشركات بعد أن كان شعارها (دعه يعمل دعه يمر)، وفي هذا الشأن كتب الفيلسوف البريطاني (جون غري) في صحيفة (الأوبزيرفر) يوم الأحد ٢٩- ٩- ٢٠٠٨م تحت عنوان "لحظة الانكـــسار في سقوط قوة أميركا" ((إن ما نمر به من غليان في الأسواق العالمية هو أكثر من أزمة مالية، بل هو (تغيير جيوسياسي) تاريخي يعاد فيه تشكيل موازين القـــوى في العالم دون رجعة، ويعلن فيه انتهاء حقبة الهيمنة الأميركية التي تعود منـــذ الحرب العالمية الثانية، ويضيف: مع تأميم الولايات المتحدة لأجزاء حيوية مـــن نظامها المالي، فإن نظام أميركا الخاص بالأسواق الحرة يدمر نفسه بنفـــسه في حين تبقى الدول التي احتفظت بسيطرتها على الأسواق في أمان)).

لقد أطلقها الرئيس الروسي (مدفيدف) علانية حينما هوت بورصـــة وول ستريت: لقد ولى زمن الهيمنة الأمريكية إلى غير رجعة...!.

لا يعني نهاية النظام المالي الأمريكي انهيار اقتصاد دولة عظمى فحسب، بل هو نهاية إمبراطورية تسود العالم، وتتفرد بالقرار الدولي يعني نهاية العولمة ونهاية المشروع الأمريكي في العالم ولاسيما مشروعها المسمى بالـــشرق الأوســـط

الكبير، وسقوط أخلاقي وقيمي (غوانتينامو وأبو غريب) وكذلك بروز قوى جديدة نأت بنفسها عن نصائح صندوق النقد الدولي (كالصين) وفي هذا المجال يقول الخبير الاقتصادي الأمريكي (جوزيف ستجليتز) في كتابه ضحايا العولمة الصادر عام ٢٠٠٢م:

(إن كانت العولمة لم تنجح في تخفيف الفقر، فإنها لم تنجح أيضاً في تأمين الاستقرار، إن الأزمات في كل من آسيا وأمريكا الجنوبية هددت الاقتصادات والاستقرار في البلدان النامية كلها، هناك مخاوف من انتشار عدوى مالية حول العالم بحيث يؤدي انهيار العملة المتداولة في إحدى الأسواق الناشئة إلى انهيار العملات الأخرى بالمثل، ففي عامي ١٩٩٧-١٩٩٨م بدا لفترة ما "إن الأزمة الآسيوية تشكل تهديداً لكل الاقتصاد العالمي".

إن العولمة وإدخال اقتصاد السوق لم يحققا النتائج الموعودة في روسيا وأغلب الاقتصادات الأخرى، التي تقوم بعملية التحول من الشيوعية إلى اقتصاد السوق، لقد قال الغرب لهذه الدول: إن النظام الاقتصادي الجديد سيجلب لهم رخاءً اقتصادياً غير مسبوق، وبدلاً من ذلك جلب لهم فقراً غير مسبوق...! لقد أثبت اقتصاد السوق من نواحٍ كثيرة بالنسبة لأغلب الناس أنه الأسوأ حتى مما تنبأ به زعماؤهم الشيوعيون، إن التناقض بين التحول في روسيا الذي وضعت هندسته المؤسسات الاقتصادية الدولية، والتحول في الصين الذي وضعت الصين تصميمه بنفسها لا يمكن أن يكون أكبر من ذلك، فبينما كان إجمالي الناتج المحلي للصين عام ١٩٩٠م لا يمثل سوى ٦٠% من إجمالي الناتج المحلي لروسيا، انعكست هذه النسبة في نهاية عقد التسعينيات، ففي الوقت

الذي شهدت فيه روسيا زيادة غير مسبوقة للفقر، شهدت فيه الصين انخفاضاً غير مسبوق للفقر..!).

لقد كانت مرحلة الرئيس الأمريكي (بيل كلنتون) مرحلة مهمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، فقد برزت العولمة كظاهرة اقتصادية تسمح لأمريكا أن تتسيد العالم بعد هزيمة الشيوعية، وهذا ما زاد الشعور لدى فوكوياما أن نظرية نهاية التاريخ صحيحة.! وتناسى أن عدوهم الشيوعية قد بشرت بذلك قبل حين بانتهاء العالم بمرحلة المشاع ..! لكنه لم ينتبه إلى أن أمريكا تعتمد على الثالوث المهلك (الطغيان والاستكبار والربا) وهذا مخالف للسنن الإلهية، وقد دفع الخيال (بفوكوياما) إلى أن النهاية ستكون بالليبرالية الأمريكية بعد أن استعرض آراء من سبقه ونقضها، لكن توقف أمام الإسلام قائلاً: (يبدو أنه من الممكن استثناء الإسلام ــ مبدئياً على الأقل ــ من هذا الحكم العام حول الأيدولوجيات المنافسة للديمقراطية، فالإسلام يشكل أيديولوجيا متجانسة ومنتظمة، مثله في ذلك مثل الديمقراطية والشيوعية، مع دلالته الخاصة في الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الاجتماعية، وقد هَزم الإسلام في الواقع الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي موجهاً تهديداً خطراً للممارسات التحررية حتى في البلاد التي لا تمثل قوة سياسية ذات بال، وقد شهدت نهاية الحرب الباردة تحدياً سافراً للغرب من قبل العراق الذي يشكل الدين الإسلامي عاملاً مهماً في تكوينه الأيديولوجي، وعلى الرغم من الحديث عن جاذبية الإسلام العالمية، إلا أن الحقيقة الواضحة والأكيدة وهي أن هذا الدين ليس له أي جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية، فقد انتهت أيام الغزوات الثقافية الإسلامية، قد يكسب الإسلام أحياناً أتباعاً ساخطين على

أوضاع معينة، لكن لا رنين له لدى الشباب في برلين أو طوكيو أو موسكو مثلاً، وبينما يوجد حوالي بليون من البشر ذوي ثقافة إسلامية _ أي حوالي خمس سكان العالم _ إلا أنهم لا يستطيعون تحدي الديمقراطية الحرة الموجودة في بلادهم على المستوى الفكري أو النظري، وفي الواقع فالواضح أنه بات ممكناً اختراق العالم الإسلامي _ على المدى الطويل _ بالأفكار التحررية، لأن مثل هذه الأفكار قد جذبت العديد من المسلمين الأقوياء خلال القرن ونصف الماضيين، ويبدو أنه من أسباب إحياء الأصولية الإسلامية التهديد الذي أحست به هذه المجتمعات الإسلامية التقليدية بسبب اختراقها بالقيم والأفكار الغربية التحررية).

نظرة فوكوياما للإسلام مليئة بالتناقضات وإن ما مرّ عليه بكلمات تحتاج إلى وقفات لاسيما حين عدّ الإسلام أيديولوجية متجانسة ومنتظمة مثله مثل الديمقراطية والشيوعية، وهذا فهم قاصر جداً فالإسلام ليس فكراً من وضع البشر حتى يقارن بأفكار البشر وأيديولوجياتهم المختلفة سواء كانت شيوعية أو ديمقراطية، ثم أضاف (مع دلالته الخاصة في الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الاجتماعية) فلم يبين ماهية تلك الأخلاق، والسياسة، والعدالة الاجتماعية.. والفكرة الأخيرة هي كلمة السر في عظمة الإسلام وقدرته على تحقيق العدالة الاجتماعية..!.

وحين نظر إلى نسبة المسلمين في العالم رأى أن هذه النسبة على ضخامتها ليست ذات تأثير، وعدّ الثقافة الإسلامية التي سماها (غزواً) أنه ليس بإمكانها أن تجذب أنصاراً لها في العواصم الغربية والمتقدمة، وأن الذين يعلنون إسلامهم يعلنونه نتيجة حالة سخط من أوضاع معينة ولا ندري ما الذي رمى إليه بهذه

العبارة..؟ متجاهلاً أن الذين يعلنون إسلامهم من كبار العلماء والمفكرين الغربيين..!، ثم خلص إلى نتيجة أن الأقوياء كما أسماهم من المسلمين ينجذبون للنموذج الديمقراطي الليبرالي، وهنا يعني أن البقية الباقية ضعفاء وبالتالي يمكن اختراق المجتمعات الإسلامية ولو كان ذلك على المدى البعيد ـ وهو لا يفرق بين ضعف المسلمين الحالي وقوة الدين الإسلامي ـ متناسياً أن شعوباً مختلفة قد دخلت الإسلام من خلال معاملات وأخلاق التجار المسلمين ولاسيما في شرق آسيا، وزعم أن الانجذاب من هذه الفئة (الأقوياء) وسهولة الاختراق من قبل القيم والأفكار الغربية التحررية للمجتمعات الإسلامية قد ساهم في بروز الأصولية الإسلامية..!.

فوكوياما المعتز بأمريكيته تجاهل طغيان أمريكا بل برر للمهاجرين ما فعلوه بالسكان الأصليين كما ذكرنا آنفاً، وكذلك الاستكبار ومحاولة فرض الثقافة الأمريكية على الآخرين بالقوة، وهو ذهب إلى أبعد من هذا فقد رأى أن النموذج الأمريكي هو الأخير حتماً، وإن كان من متغير فسيكون طفيفاً جداً متناسياً حركة التاريخ وتغير الظروف طبقاً للحالة التي يمر بها الناس، وكذلك الحالة الاقتصادية الأمريكية القائمة على الربا كباقي العالم الغربي الغارق في المعاملات الربوية، وهذه الحالة انسحبت على دول العالم أجمع من خلال المصارف الربوية، وبنظرة سريعة للحالة التي وصل إليها الإقتصاد الأمريكي القائم على مبدأ الحرية نجد أن (الإقتصاد الأمريكي فقد في يومَي الإثنين والثلاثاء ٢٩-٢٠٠٨/٩/٣٠م فقط في (وول ستريت) تريليون دولار في صورة هبوط في قيمة الأوراق المالية المتداوَلة، وعمليات الإنقاذ في التجربة

الأمريكية والعالم تجاوزت حتى الآن رقماً غير مسبوق، وهو ثلاثة تريليونات دولار، اثنان منها في التجربة الأمريكية..!).

وقد قدّم الخبير الاقتصادي د. عبد الحميد الغزالي مجموعة من الحلول:

(١) وقف المضاربات، أي المقامرات، وبالذات التعامل في المشتقات، وهي الخيارات والمستقبليات والتحوّطات لتغيرات سعر الفائدة.

(٢) محاسبة المسؤولين عن الجهاز المصرفي بعامة والوحدات التي انهارت بخاصة.

(٣) تشديد رقابة السلطات النقدية، وعلى رأسها البنك المركزي، في ممارسة العمل المصرفي بعامة وضخ الائتمان بخاصة.

(٤) اعتماد السياسات المصرفية بحزم وصرامة، خاصةً في ما يتصل بإدارة السيولة والربحية وبإدارة مخاطرة الائتمان وبإدارة كفاية رأس المال.

(٥) الاستمرار في ضخ سيولة في شرايين الاقتصاد، حتى لا تنهار أساسيات القاعدة الإنتاجية، وندخل في كساد عالمي عظيم.

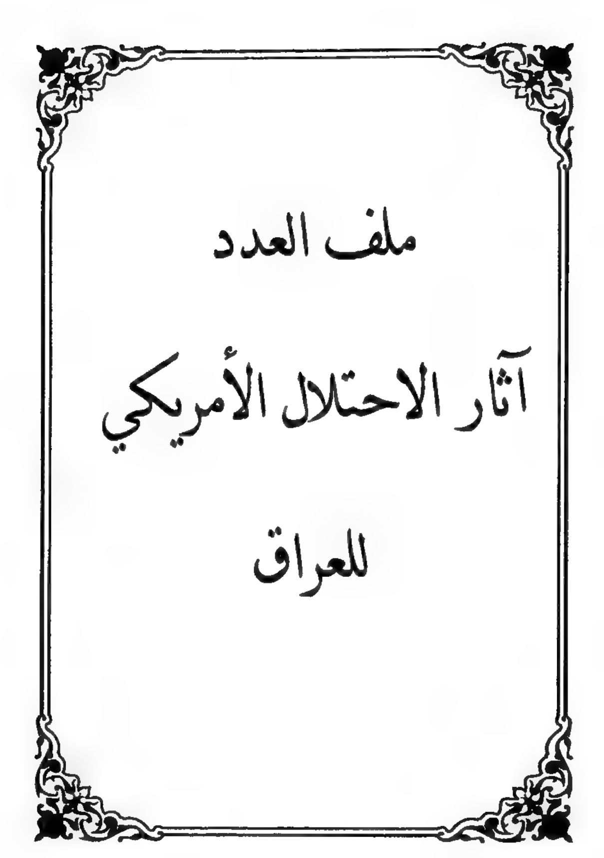
(٦) أخيراً وليس آخراً.. التفكير الجاد من قِبل المُنظّرين الغربيين وأصحاب القرار في دراسة تطبيق النظام الإسلامي البعيد عن سعر الفائدة الربوية، والقائم على معدل الربح كأداة لإدارة النشاط الاقتصادي المعاصر، الذي يستند على استثمار حقيقي لتوسيع القاعدة الإنتاجية، وليس على أساس استثمار مالي قوامه المضاربات، أي المقامرات والمغامرات والاستغلال والفساد.

لقد أثبتت التجارب أن نجاح تجربة ما لا يعني استمرارها، وبالتالي يمكن مراجعتها والاستفادة من تجارب أخرى لاسيما إذا كانت ذات بعد أخلاقي وقيمي، ومثال ذلك المصرفية الإسلامية وتحريم الربا، والعودة للمعادن النفيسة،

ولقد سبق (لديغول) أن طالب بالعودة للمعادن النفيسة وكذلك نظرية رئيس وزراء ماليزيا السابق (مهاتير محمد) في العودة للدينار الذهبي.

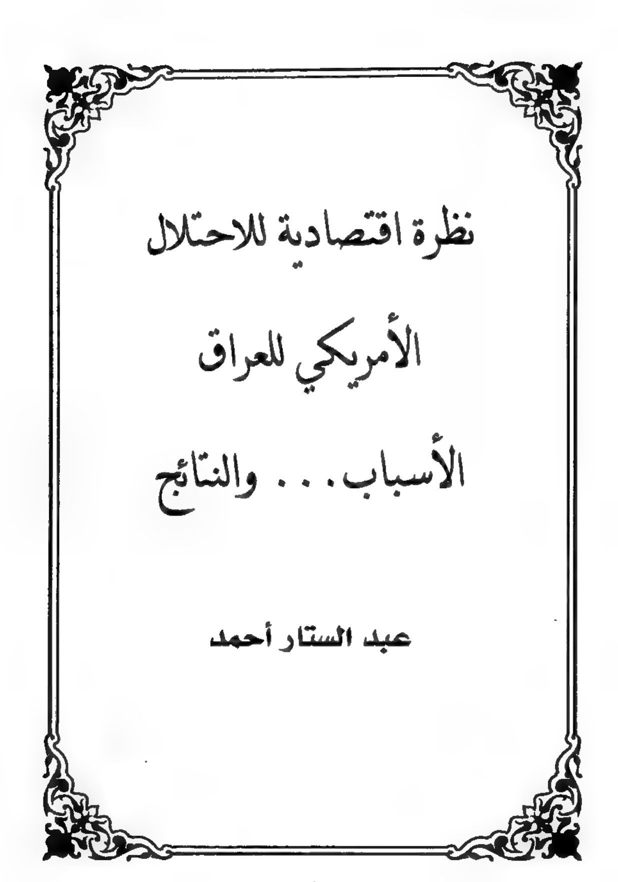
أمريكا التي سحبت الغطاء الذهبي عن الدولار منذ سبعينيات القرن المنصرم، وأدى ذلك إلى انخفاض سعر الدولار منذ عام ١٩٧٣م حتى هذا الوقت أربعين مرة...! إضافة للتضخم وأخيراً الغرق في حالة الكساد وانعدام ثقة المستهلك ..!

فهل لفوكوياما أن يعي عظمة الدين الإسلامي... وأنه ليس فكراً من وضع البشر.. وهو الذي بشر بنهاية التجارب الإنسانية بالتجربة الأمريكية..؟، وهل سيشهد بأم عينه نهاية أمريكا التي باتت وشيكة... وهي مسألة وقت ليس أكثر...؟!، وسيتذكر طويلاً أن النهاية كانت بدايتها بالتمدد الإمبراطوري وغزو بلدين مسلمين، وإن مفكري الاقتصاد الغربي بدأوا بالاستعانة بنظام المصرفية الإسلامية للخروج من الأزمة..! وأن نهاية أمريكا تكمن بداخلها لاسيما بالخلل الاجتماعي والشذوذ الجنسي، والزواج المثلي، وارتفاع نسبة الجريمة.



ملف العدد

آثار الاحتلال الأمريكي للعراق



نظرة اقتصادية للاحتلال الأمريكي للعراق الأسباب... والنتائج

عبد الستار أحمد

نظرة اقتصادية للاحتلال الأمريكي للعراق
الأسباب... والنتائج

عبد الستار أحمد

حين قررت الولايات المتحدة الأمريكية غزو العراق كانت هناك مجموعة من الأسباب الاستراتيجية، منها السياسية ومنها الأمنية ومنها الدينية ومنها الاقتصادية، منها ما أعلن عنها بشكل رسمي وعن طريق وسائل الإعلام، كما أعلن بوش الابن بأنه يقود حرباً صليبية بأمر الرب، ومنها ما لم يعلن عنها لغاية الآن، وقد أسهب الكثير من الباحثين والمفكرين والكتاب في إيضاح هذه الأسباب وكتبوا الكثير من الدراسات والبحوث والتقارير، حتى أُلفت كتب كثيرة في ذلك.

فبالإضافة للضرورة التاريخية (من وجهة نظر أمريكية بحتة) لتواجد أمريكي طويل الأمد في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، وفي المنطقة العربية بشكل خاص، كان هناك سبب استراتيجي آخر في الجانب الأمني وهو الحفاظ على أمن إسرائيل، لأن العراق كان على مر التاريخ عقدة تاريخية حقيقة لإسرائيل، وثبت ذلك من خلال مواقف الجيش العراقي في معارك العرب ضد إسرائيل، كما إن الشعب العراقي شعب معبأ بشكل دائم ضد العدو الإسرائيلي المحتل للأراضي الفلسطينية، كما إن مواجهة الإسلام ذلك الخطر الداهم القديم الجديد في عقر داره سبباً استراتيجيا آخر من أسباب ذلك الغزو ولعله السبب الأهم في الموضوع، يضاف لكل ذلك السبب الاقتصادي المتمثل في ضمان مصالح الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية، وخاصة فيما يتعلق بموضوع

النفط لأن توفير مصادر الطاقة وديمومتها تعتبر من المصالح القومية الاستراتيجية الحيوية التي يعتبرونها من مستلزمات بقاء الدولة، على الرغم من إن بعض السياسيين والمفكرين لا يجدون أن النفط أحد أسباب الاحتلال الأمريكي للعراق من وجهة نظرهم، فلربما تأثر هؤلاء بما يروجه بعض مروجي السياسة الأمريكية ومنهم الرئيس الأمريكي السابق (جيمي كارتر) الذي سخر إبان تسلمه جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٢م خلال مؤتمر صحفي ممن سماهم "الحمقى" الذين يعتقدون أن سياسة أميركا تجاه العراق مبنية على المصالح النفطية، قائلاً: "يمكن شراء النفط بأسعار معقولة في حدود ٢٧ دولاراً للبرميل، وهذا أقل من التكلفة الضخمة التي يستدعيها اجتياح العراق"، ووصف رئيس دائرة التخطيط في وزارة الخارجية الأميركية آنذاك (ريتشارد هاس) عما يقال عن وجود دوافع نفطية دفعت أميركا لاحتلال العراق: بأن هذه المقالات سخيفة (على حد تعبيره)، وبعد أن أصبح سعر النفط بعد خمس سنوات من الغزو الأمريكي للعراق أكثر من ١٤٠ دولاراً للبرميل الواحد، لابد من توجيه سؤال بسيط لـ (كارتر) من هو الأحمق الآن؟، (تم تنزيل سعر النفط ضمن تداعيات الأزمة المالية العالمية الحالية بشكل متعمد ضمن سلسلة إجراءات حلحلة الأزمة).

لهذا كان لابد لصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية أخذ كل أنواع التدابير لضمان هذه المصلحة فهو أمر واجب بالنسبة لهم، وقد اتفق العديد من صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية على أن النفط هو الحل السحري لكل المشاكل والتلكؤات الاقتصادية وغيرها التي تعصف بالولايات المتحدة منذ سنوات طوال، وفي هذه الدراسة المقتضبة سنسلط الضوء على هذا الجانب.

نبذة تـــاريخيـــة

لم تكن أطماع الولايات المتحدة في نفط منطقة الخليج العربي حديثة عهد، بل كانت لها جذور تمتد لأكثر من مائة عام مضت، نظراً للأهميـــة الـــسياسية والعسكرية والاقتصادية لدول الخليج العربي والعراق خاصة، كما لم تكن هذه أطماع أمريكا وحدها بل كانت لبريطانيا أيضاً التي كانت تـــسمي نفـــسها (العظمى) أطماع لا تقل شأناً عن الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان لهـــا ذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وخططت لإبقاء هذا النفـــوذ بـــشكل منفرد أو مشاركة مع الولايات المتحدة بعد الحرب العالميـــة الثانيـــة باعتبـــار بريطانيا دولة لها ثقلها السياسي والعسكري.

إلا إن الولايات المتحدة الأمريكية كما هو شأنها دائماً تحب أن تتفرد بهذه المصالح، فعلى الرغم من عقد اتفاقية (الخط الأحمر) عام ١٩٢٨م التي حددت نشاط جميع الشركات المساهمة الأمريكية في شركة نفط العراق ضمن السياسة التي ترتئيها هذه الشركة، مما أغلق باب التنافس بين الـــشركات الأمريكيـــة والشركات الأجنبية ومنها البريطانية بالذات في هـــذه المنطقـــة، إلا أن هـــذه الاتفاقية لم تمنع الشركات الأمريكية الأخرى غير المساهمة في شـــركة نفـــط العراق من الدخول إلى المنطقة، كما أن هناك مناطق أخرى مثل الكويـــت لم تشملها الاتفاقية، وبهذا فليس ثمة ما يحول دون دخول الشركات الأميركيـــة المساهمة في شركة نفط العراق وغير المساهمة إليها، ولابد من الإشارة هنـــا إلى أن أول امتياز مستقل لشركة أمريكية في الخليج العربي تمّ إقـــراره في كـــانون الأول ١٩٢٨م حيث استطاعت شركة (ستاندرد كاليفورنيا) من الحـــصول على امتياز نفط البحرين، واستمر النـــزاع الاقتصادي الأمريكي ـ البريطاني

بعد ذلك، وظهر تنازعهما للاستيلاء على نفط الموصل عام ١٩٣٢م وكذلك نفط البصرة عام ١٩٣٨م، واستطاعت بريطانيا لغاية أربعينيات القرن الماضي من إحكام قبضتها على مصالحها النفطية والاقتصادية في العراق والحد من تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الشأن، إلا إنها بعد هذا التاريخ اضطرت إلى نهج سياسة جديدة وهي سياسة المشاركة أمام الضغط والتسلط الأمريكي، وذلك من خلال إشراك المصالح الأميركية المساهمة في شركة نفط العراق لمواجهة المصالح الأميركية الجديدة غير الخاضعة لاتفاقية الخط الأحمر، فتم تشكيل (شركة امتيازات النفط المحدودة) كشركة تابعة لشركة نفط العراق لتتولى مهمة التصدي لنشاط الشركات الأميركية في الخليج العربي.

ولا يخفى أن السياسة البريطانية في العراق كانت تتذرع بهذه الحقيقة (وهي ازدواج المصالح البريطانية والأمريكية في شركة محدودة) كحجة لمواجهة سياسة الباب المفتوح التي تطالب بها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار أن شركة نفط العراق تضم في إدارتها عدداً من المساهمين الأمريكيين.

وقد ظهر التفوق الأمريكي بشكل لا يقبل اللبس في المملكة العربية السعودية ونجاح الشركات الأمريكية في عام ١٩٣٣م في الحصول على نفط (الإحساء) الذي يُعدّ من بين أكبر مستودعات النفط في العالم، حيث تم استبعاد الشركات البريطانية عن ساحة التنافس، وبعد الحصول على امتياز الإحساء من قبل الأمريكان، واصلت الشركات الأمريكية لنشاطها واستثمارها بالمناطق المتبقية من المملكة العربية السعودية، ومع مرور الوقت وحدوث التغيرات السياسية في الوطن العربي حدثت بعد الأحداث الكبيرة في الموضوع الاقتصادي منها قيام العراق بتأميم شركات النفط العراقي عام

١٩٧٠م بما عرف بـ (تأميم النفط العراقي) ، ورفع العرب لأول مرة في تاريخهم شعار (النفط سلاح في المعركة) فقد قامت الدول العربية المنتجة للنفط بإقرار وتطبيق حظر نفطي بمنع تصدير النفط إلى الغرب بشكل عام الذي استمر من منتصف تشرين الأول ١٩٧٣م حتى منتصف آذار ١٩٧٤م، وقد اقتصر الأمر على الدول العربية وحدها وليس كل دول أوبك، وبالرغم من فسح المجال أمام العديد من أوجه التسرب للتغلب على هذا الحظر، فقد استخدمت بعض ناقلات البترول مستندات مزورة لتتجه مباشرة من الخليج العربي إلى الموانئ الأمريكية، في حين استخدمت ناقلات أخرى طرقاً ملتوية كان العرب على معرفة كاملة بها، ومع ذلك فإن هذا الجهد المقيد قد أوضح مدى إمكانية تعرض الولايات المتحدة الأمريكية لضغوط متجددة في هذا المجال، أمام هذا الخطر الجديد طلب رئيس اللجنة الفرعية الخاصة بالتحقيقات (لي هاملتون) من مجموعة باحثين في مكتبة الكونجرس برئاسة (توماس بروجان) دراسة في آب عام ١٩٧٥م حول الموضوع، قدمت اللجنة تقريرها إلى لجنة العلاقات الدولية وتتضمن الدراسة احتمال استخدام القوة العسكرية الأمريكية لاحتلال حقوق النفط الأجنبية في حالة الضرورة، كقضية جدية، وهذه الدراسة تقدم منظوراً شاملاً لهذه القضية لتمكين الكونجرس من المساهمة على أساس وطيد في المداولات الرامية إلى التوصل إلى قرار فيما يتعلق بالرغبة في القيام بمثل هذا العمل العسكري وجدواه إذا ما لزم الأمر، ويشير التحليل الذي تنطوي عليه هذه الدراسة إلى أن قيام كل أو معظم الدول الأعضاء في منظمة "الأوبك" بفرض عقوبات مستمرة سيكون من شأنه إلحاق الاضطراب بأسلوب الحياة الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية والأمن الأمريكي، لكنه

لن يعرض بقاء الولايات المتحدة للخطر على الإطلاق، إلا أنه على النقيض من ذلك يمكن أن يعرض المصالح الحيوية لحلفائنا إلى الخطر على وجه السرعة، وقد حددت الدراسة الآليات والأساليب التفصيلية التي من المفروض أن تتبع في عملية احتلال المنشآت النفطية عسكرياً وكما يلي:

(١) الاستيلاء على المنشآت النفطية المطلوبة سليمة تماماً دون أن تمس.

(٢) تأمين هذه المنشآت لأسابيع أو أشهر أو لسنوات.

(٣) إصلاح المنشآت التي تعرضت للتدمير بسرعة.

(٤) تشغيل كل المنشآت دون مساعدة دول الأوبك.

(٥) ضمان المرور الآمن لإمدادات النفط والمنتجات البترولية.

الأهداف الاقتصادية لغزو العراق

لأن النفط يشكل٥٠ % من إجمالي إنتاج الطاقة في الولايات المتحدة، ولأنه المصدر الأساسي للطاقة في العالم، كما إنه عصب الاقتصاد العالمي، ولأن هذا النفط خارج نطاق سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، صار من الضروري إعادة النظر في قضية السيطرة عليه وعلى أسعاره ليس في الولايات المتحدة فحسب بل في العالم، فإذا حدث نقص خطير في الطاقة في الولايات المتحدة نتيجة لأي نوع من الاضطرابات أو لخلافات اقتصادية تفرض نفسها مع دول غير صديقة، ستكون هناك ثلاث سبل محلية مترابطة متاحة لصناع القرار الأمريكيين، **الأول**: هو استخدام المخزون الاحتياطي النفطي لتعويض النقص، **والثاني**: زيادة الإنتاج الأمريكي من النفط، **والثالث**: خفض معدل الاستهلاك.

بالنسبة للسبيل **الأول** فإن أرقام المخزون الاستراتيجي النفطي متقلبة، فوزارة الدفاع تعلن عن مخزون متواضع (الحجم الحقيقي يبقى سراً)، أما المخزون المدني من النفط الخام فيمكن أن يكفي لتلبية الاحتياجات لمدة قصيرة جداً في حسابات الأزمات، في حين أن المنتجات النفطية المكررة يمكن أن تلبي الطلب عليها لفترة أطول من ذلك، لكن من المرجح أن يوجه جزء جوهري منها إلى تلبية الاحتياجات العسكرية في حالة الطوارئ، وقد حدث هذا التحويل إلى الاستخدام في الأغراض العسكرية في ١٩٧٣م، أثناء الحظر النفطي العربي بمقتضى قانون الإنتاج الخاص بالدفاع الصادر عام ١٩٥٠م، ونتيجة لذلك فإن التدابير قصيرة الأجل للحفاظ على الطاقة لا تستطيع على الأرجح أن تؤدي إلى انفراج كبير للأزمة، أما السبيل **الثاني** فإن خطوات زيادة الإنتاج الأمريكي من الطاقة لن تحقق سوى فوائد مباشرة ضئيلة، فالاحتياطي البترولي الأول المخصص للقوات البحرية، الموجود في تلال " أيلك" بولاية كاليفورنيا سيحتاج إلى وقت ليس بالقليل للشروع بالإنتاج، بينما يحتاج تنشيط الاحتياطي البترولي الرابع المخصص للقوات البحرية، الموجود في ألاسكا إلى مدة أطول لأن أرصدته مازالت تحتاج إلى استكمال استكشافها وتطويرها، كما أن التدابير الفنية لزيادة إنتاج حقول النفط الأمريكية العاملة الآن ستكون بمثابة مشروعات تستغرق وقتاً طويلاً قبل أن تؤتي ثمارها، وعلى سبيل المثال فإن تطوير الجرف القاري سيستغرق سنوات طويلة، كما أن المخزون الإنتاجي النفطي الأمريكي بالأصل لا يتحمل الزيادة إذا ما عرفنا وفق آخر الدراسات الاستراتيجية إن آخر حفارة لاستخراج النفط ستتوقف عام ٢٠١٥م في ولاية تكساس في الولايات المتحدة ما يعني لا مزيد من الاستكشافات النفطية.

أما السبيل الثالث المتمثل بخفض الاستهلاك باستخدام الوسائل الفنية فيمكن أن يخلق وفراً سريعاً وكبيراً يقرب من مليون برميل في اليوم، طبقاً لتقديرات المسؤولين في الإدارة الأمريكية ولكن المشاكل المترتبة على ذلك ستكون كبيرة جداً قد تؤثر على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل.

ففي ولاية الرئيس (جيمي كارتر) تم وضع السياسة الأمريكية الجديدة وذلك في عام ١٩٧٨م وضعها كل من (هنري كيسنجر وبريجينسكي وبوش الأب ورامزي كلارك)، وقد خُططت هذه السياسة للفترة من ١٩٧٨م ولغاية ٢٠٠٣م أي لمدة (٢٥) سنة، استناداً لما جاء بدراسة اللجنة الاقتصادية الصغرى والتي كان تقريرها مستنداً لنظرية عضوها (جيرمي ريفكن) حيث وضع (جيرمي) ما يجب أن يكون عليه الاقتصاد الأمريكي والاقتصاد العالمي ومبررات بناء الاقتصاد الأمريكي الجديد مرتكزاً على نظرية الإنتروبي (دالة العشوائية)، وذكر في مبررات بناء الاقتصاد الأمريكي الجديد أن الشعب الأمريكي الذي عاش عقوداً في بحبوحة من العيش لا يمكنه أن يرى عماله اليوم يعيشون دون مستوى معيشتهم بسبب تهديد دول العالم الثالث لأمريكا، تتويجاً لهذه الاعتبارات والمبررات وضعت الاستراتيجية الأمريكية مخططاتها لتنفيذ أهدافها السياسية والاقتصادية وبرزت إحدى خططها للسيطرة على مناطق تواجد النفط في العالم الثالث تحديداً تحت اسم المصيدة عام ١٩٧٩م، وتنص هذه الخطة على إخضاع الدول ابتداءً من أفغانستان وباكستان والعراق وسوريا ولبنان والأردن والسعودية ومصر إلى النفوذ الأمريكي، هذا الإخضاع

يتم بإيجاد حكومات تتحالف مع الولايات المتحدة مهمتها حماية المصالح الأمريكية المتمثلة بتوفير مصدر الطاقة النفط.

وتهدف سياسة الطاقة الأمريكية، وذلك وفقاً إلى استراتيجية الرئيس (جورج بوش وتقرير تشيني) وسياسات الطاقة السابقة إلى تحقيق مجموعة من المكاسب للولايات المتحدة أهمها:

(١) تعزيز مصادر الطاقة

فحيث إن النفط هو المصدر الأساس والرئيس للطاقة، كان لابد للولايات المتحدة الأمريكية وفق هذا المفهوم أن تعزز الكميات اللازمة لضمان توفير الطاقة لفترة أطول، ما يعني وضع يدها على أكبر احتياطي في العالم المتمثل بالاحتياطي النفطي العراقي ففي حال استقرار الأوضاع بالعراق، فإن ذلك سيمكن الشركات الأميركية من الوصول إلى ١١٢ مليار برميل من النفط وهو الاحتياطي المعلن للبلاد وبعضهم يشير إلى ٢٠٠ مليار برميل، ويعتبر أهم احتياطي عالمي، وهذا معناه أن السيطرة على العراق تعني الحصول على نحو ربع احتياطي العالم النفطي، دون أن نذكر الأرباح التي ستأتي للشركات النفطية الأميركية بعد إنهاء مصالح الشركات النفطية الروسية والفرنسية والصينية التي كانت قائمة سابقاً.

(٢) تنويع مصادر واردات النفط

بسبب سياسات الولايات المتحدة الحمقاء، فإن علاقاتها مع دول العالم في تذبذب مستمر لعدم وجود ثوابت في سياستها وإن مصالحها ومصالح إسرائيل هي التي تحدد هذه العلاقات، فأصدقاء اليوم بالإمكان أن يكونوا أعداء الغد، لذلك كان لابد من تنويع المصادر النفطية بالنسبة لها، وبالفعل فإن فنزويلا

كانت إحدى مصادر النفط الخام الرئيسية للولايات المتحدة ولكنها اليوم في صراع ومشاكل معها وصلت لحد طرد السفراء ربما تتبعها قطيعة عامة سياسية واقتصادية.

(٣) التحكم بأسعار النفط العالمية

فهبوط أسعار النفط سيؤدي إلى انخفاض الإنتاج في المناطق عالية التكلفة، وسيقلل من عدد الدول المصدرة، وهنا لابد من التذكير بأن نفط بحر الشمال ونفط ألاسكا ما كان له أن يرى النور لولا ارتفاع الأسعار على إثر رفع أوبك الأسعار ثم المقاطعة النفطية العربية التي تلت ذلك الرفع في المقابل، خسرت الولايات المتحدة نحو ثلاثة ملايين برميل من إنتاجها اليومي بسبب انخفاض الأسعار في منتصف الثمانينيات وفي عامي ١٩٩٨م و ١٩٩٩م، ولابد من الإشارة هنا إلى أن معظم الدول الأوروبية واليابان والصين والهند تستورد نفط الخليج، ولحسن حظ أميركا أن هذه الدول وخاصة أوروبا واليابان لا تمتلك نفطاً صالحاً للاستهلاك في أراضيها، وعليه فإن قوتها الاقتصادية ترتكز بالأساس على النفط المستورد من الخارج وبالتحديد من الخليج، وسيطرة أميركا على هذا النفط سيعطيها المجال أكثر لتحديد كميات الإنتاج وكميات التوريد وأسعار النفط.. الخ، ما يجعل تطور الدول الأخرى ونموها الاقتصادي خاضعاً بطريقة غير مباشرة للإشراف الأمريكي.

(٤) سحب النفط من المناطق الغنية والمستقرة والآمنة

كان الاعتقاد لدى القيادة الأمريكية إن العراق بعد الغزو سيكون من المناطق الآمنة الخالصة الولاء للولايات المتحدة وستسيطر أمريكا على النفط العراقي بشكل مباشر (بعد تحرير العراق) بزعمهم والنفط العراقي معروف

بانخفاض كلف استخراجه، كما أن الولايات المتحدة أصبحت تعي تماماً أنها ليست وحدها على الساحة الدولية خاصة من الناحية الاقتصادية، وأن هناك دولاً عديدة تسعى للوصول إلى مستواها والتفوق عليها في المدى المنظور، وعليه كان لابد لواشنطن أن تعمل على إفشال وصول الآخرين إلى مستواها أو التحكم في عملية صعودهم إليها، فكان النفط الخليجي والعراقي هو الوسيلة.

(٥) تعزيز الخزين الاستراتيجي الأمريكي

حيث تقوم الولايات المتحدة منذ فترة طويلة بضخ النفط الوارد إليها من شتى المصادر في خزانات أرضية عملاقة لغرض رفع حجم الخزين الاستراتيجي الأمريكي، وقد كان بوش قد أصدر أوامره بعد هجمات١١ أيلول بزيادة الاحتياطي الاستراتيجي من النفط بمعدل ١٠٠ ألف برميل يومياً، تحسباً لوقوع هجوم قد يستهدف المنشآت النفطية الأميركية، وإن مواقع تخزين ذلك الاحتياطي من الأسرار القومية التي لا ينبغي إفشاؤها تحت أي ظرف، إن الولايات المتحدة تقوم بتخزين ٧١١ مليون برميل من البترول في أربعة مواقع مختلفة وبما يوازي إمداد شهرين كاملين وتحمل هذه الكمية وفق هذا الترتيب اسمها المعروف رسمياً (الاحتياطي الاستراتيجي النفطي).

إن هذا الاحتياطي الاستراتيجي ليس مجرد مؤسسة ظاهرة للعيان بقدر ما أن هذه الكميات النفطية المخزونة مودعة في مستودعات تقع على عمق آلاف الأقدام تحت الأرض ومحاطة بسياجات من المواد الملحية ومخفية عن الأنظار بل إن الصور المحددة لها اختفت، أو أزيلت مؤخراً وبالعمد من مواقع شاشات

الحواسيب، وقد تم إحاطتها بتعتيم كبير من السرية في ظل مخاوف من احتمال أن يصبح الاحتياطي الاستراتيجي نفسه هدفاً للإرهابيين.

(٦) مذكرة التفاهم الأمريكية – الإسرائيلية

في عام ١٩٧٥م وقعت الولايات المتحدة مذكرة تفاهم مع إسرائيل، ومن ضمن ما جاء في هذه المذكرة ضمان الولايات المتحدة لكل احتياجات إسرائيل النفطية في حال حدوث أزمة، وهذه المذكرة تجدد كل خمس سنوات وتلتزم الولايات المتحدة بموجبها إنشاء وتخزين احتياطي استراتيجي إضافي لإسرائيل بقيمة تعادل ثلاثة مليارات دولار عام ٢٠٠٢م، فلابد من توفير مصادر لهذا الاتفاق.

(٧) ضمان عدم استخدام النفط كسلاح في المعركة مستقبلاً

سواء ضد الولايات المتحدة أو إسرائيل وخاصة إن العراق كان عنصر الدفع بهذا الموضوع أبان حرب تشرين عام ١٩٧٣م.

تداعيات الغزو الاقتصادية

عندما احتلت قوات الولايات المتحدة الأمريكية بغداد، انتعشت حالة الأسواق الاقتصادية الأمريكية بسبب تلك الدفعة من التفاؤل لمستقبل الحرب في العراق، فالنهاية السريعة للحرب كانت جيدة للاقتصاد الأمريكي، وكان الأمر يبدو للوهلة الأولى بهذا المنطق، ولكن المتتبعين للوضع السياسي العالمي يقرأون الأمر برؤيا أخرى مختلفة بعيداً عن الأحلام الوردية التي وضعت أسسها في خبايا البيت الأبيض، فقد ذكر (جوزف ستيغيليتز) الحاصل على جائزة نوبل للاقتصاد و(ليندا بيلمس) مؤلفا كتاب: (حرب الثلاثة تريليون دولار)

قالا: (إن حرب العراق سوف تكلف الولايات المتحدة ثلاثة تريليون دولار على الأقل، ومن المحتمل أن تصل إلى خمسة تريليون دولار)[1].

والآن وبعد مرور أكثر من خمس سنوات على دخول القوات الأمريكية ومن معها العراق فإن الكلفة المعلنة للحرب لغاية الآن ٥٠٠ بليون دولار أمريكي، (على الرغم من إن الرقم الحقيقي أكبر من هذا بكثير) وحتى لو سلمنا لهذه الأرقام على إنها صحيحة، فإنها أرقام حري بمن يهمه الأمر التوقف عندها طويلاً.

والحقيقة أنه ما إن حطت القوات الأمريكية رحالها في بغداد كان هذا هو الإسفين الأول في نعشها، حين انطلقت أول شرارة للمقاومة العراقية مباشرة مع بداية الاحتلال وبدأت قصة الخسائر المادية والبشرية والمرتبطة بالجانب الاقتصادي سواء شاءت أمريكا أم أبت، فالجيش المقاتل بحاجة إلى رواتب ونفقات يومية وتجهيزات عسكرية ومدنية وطبية ومعدات وصيانة لهذه المعدات ووقود.... الخ، ناهيك عن الوحدات الكبيرة جداً التي تقدم الدعم اللوجستي بكل أنواعه والتي لا تقل في حجم إنفاقها عن الوحدات المقاتلة وكذلك الإنفاق في أبواب تجنيد مليشيات ضد المقاومة وتسليحها وتخصيص مرتبات ومكافآت لها وكذلك حجم الإنفاق الهائل لتعزيز القوات الأمريكية وغير الأمريكية في أفغانستان التي لا تقل شأناً عن الوضع في العراق، ولابد من الإشارة إلى أبواب الإنفاق الأخرى غير المبررة في العالم من دعم كل قوة معارضة في العالم سواء أكانت على حق أم لا من أجل زعزعة الاستقرار في

[1] (التريليون= ١٠٠٠ بليون و البليون= ١٠٠٠ مليون)

دول العالم كافة، هذه الإنفاقات كلها تتحول مع الوقت إلى عقد مريرة صعبة الحل في الاقتصاد الأمريكي وقد بدأ الاقتصاد الأمريكي بـالترنح منذ عام ٢٠٠٣م ناهيك عن الخسائر الكبيرة الناتجة عن ضربات المقاومة العراقية التي صارت شوكة في خاصرة الاقتصاد الأمريكي.

ويرى الكثيرون أن استمرار الحرب في العراق وأفغانستان واشتداد الضربات الموجهة من قبل المقاومة الشعبية في هذين البلدين على القوات الأمريكية من شأنها أن تزيد من تعقيد الوضع الاقتصادي، كما ولدت الحرب ضد العراق وأفغانستان شكوكاً كثيرة أدت إلى تباطؤ النمو الاقتصادي وتراجع أسواق الأسهم وانحسار فرص العمل، ولو أردنا أمثلة على ذلك، فقد قالت مؤسسة (كنتري وايد) كبرى مؤسسات القروض العقارية في الولايات المتحدة إنها تعتزم خفض وظائفها بواقع (١٢ ألف وظيفة) لوحدها أي نحو خُمس العاملين لديها لمواجهة الخسائر الناجمة عن أزمة الرهن العقارية في البلاد، أما مجموع من فقدوا وظائفهم لهذا العام ٢٠٠٨م فيتجاوز الربع مليون شخص، كما انخفض الدولار إلى أدنى مستوى له منذ ١٥ سنة مقابل العملات الأخرى، فعلى سبيل المثال وليس الحصر كانت قيمة الدولار قبل أربع سنوات قريبة جداً من قيمة (اليورو الأوربي) أما الآن فقد ازدادت قيمة (اليورو) بحدود ٥٠% أمام الدولار الأمريكي، (انخفض اليورو قليلاً أثناء الأزمة المالية الأخيرة) ولا يمكن إغفال ما تسببه الأعاصير التي تضرب الولايات المتحدة بشكل مستمر من إضرار بالاقتصاد الأمريكي تبلغ أحياناً عشرات المليارات من الدولارات وما تسببه من إيقاف المنشآت الاقتصادية وخاصة النفطية منها.

وعلى الرغم من مناورة الولايات المتحدة الأمريكية في زيادة أسعار النفط الخام لتصل أكثر من ١٠٠ دولار للبرميل الواحد في بعض الأحيان، لزيادة دخلها ورفع قيمة وارداتها المالية، إلا إن ذلك لم يسعف الحالة على الإطلاق بل على العكس، حيث تضاعف عجز الميزانية الأمريكية ثلاث مرات خلال السنة المالية ٢٠٠٨م، ووصل إلى ٤٥٥ مليار دولار وهو أعلى رقم يصل إليه عجز الميزانية على الإطلاق، علماً أن العجز في الميزانية الأمريكية كان يتراوح بين (٣٠٠_٤٠٠) مليار دولار سنوياً للأعوام ٢٠٠٣م _ ٢٠٠٧م وهي سنوات الحرب، إضافة إلى موضوع العجز التجاري الأمريكي فإن زيادة أسعار النفط في العالم أدى إلى الزيادة في أسعار المشتقات النفطية وبالتالي الزيادة في أسعار النقل والإنتاج والسلع كافة مما يعني زيادة التضخم في العالم بشكل عام مع بقاء دخل المواطنين سواء في العالم العربي أو الأوربي على حاله أو زيادته بشكل لا يوافق حجم التضخم الحاصل مما ولد مشاكل شعبية هائلة وكساد هائل في السوق الاقتصادي على مستوى العالم.

أمام هذه التداعيات الخطيرة في الاقتصاد الأمريكي سعت الولايات المتحدة إلى التكتيم الإعلامي على الموضوع وتقديم حزمة من المحاولات لإسعاف الحالة المتردية بعيداً عن الإعلان عنها في وسائل الإعلام المحلية والعالمية، إلا أن ذلك لا يمكن أن يستمر على الدوام، حتى انفجرت الفقاعة بشكل واضح للعيان بما يعرف بـ (أزمة العقارات) أو ما تعرف بأزمة (الانكماش الائتماني) وقد أطلق البعض عليها (تسونامي الاقتصاد الأمريكي)، التي هزت الاقتصاد الأمريكي والغربي كذلك، ولابد هنا من الاستدلال بتصريح لأحد حلفاء الولايات المتحدة هو وزير المالية الألماني (شتاينبروك) عندما وصف التدمير الأمريكي

للنظام المالي العالمي بقولـــه: (إنَّ الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية الأزمـة المالية العالمية الراهنة، وقال إنها ستخلف آثاراً عميقة، وستحدث تحـولات في النظام المالي العالمي، وقال (شتاينبروك) في بيان حكومي أمام البرلمان الألمـاني: (العالم بعد الأزمة لن يكون كما كان قبلها) مشيراً إلى فقدان الولايات المتحدة صفتها كقوة خارقة في النظام المالي العالمي.

وألقى (شتاينبروك) باللوم في الأزمة على عاتق واشـنطن وحـدها فيمـا وصفها بحملة (إنغلوساكسونية) لتحقيق أربـاح كـبيرة ومكافـآت هائلـة للمصرفيين وكبار مديري الشركات.

إن الاقتصاد الأمريكي في خطر حقيقي وهذا المقال ليس خيالاً من بنيـات أفكارنا بل هو صرخة أطلقها متوسلاً بوش الابن حين قـال ولأول مـرة في تاريخ الولايات المتحدة: (اقتصادنا برمته في خطر) وذلك في أيلول ٢٠٠٨م، فلابد من النظر لحجم الكارثة التي تحل بالاقتصاد الأمريكي مما يحدو برئيـسها ليدلي بهذا التصريح الخطير، ولابد من الإشارة إلى بعض النماذج لمـا يحـدث داخل الولايات المتحدة، ومن ذلك اضطرار الاحتياطي الفيدرالي الأمريكـي (البنك المركزي) عن حزمة من الإجراءات لإنقاذ مجموعة التأمين الأمريكيـة (أمريكان إنترناشونال جروب/إيه. آي. جي)، وكشف عن أنه سيقدم قرضاً بقيمة ٨٥ مليار دولار للمجموعة مقابل سيطرته على حوالي ٨٠% منها.

إن تدخل البنك المركزي الأمريكي يعني فشل كل السبل لحل أو حلحلـة هذه الأزمة إلا بهذه الطريقة، وبنفس الوقت يعني انقلاباً كبيراً علـى مفهـوم الرأسمالية ونظرية الاقتصاد الحر التي تنتهجها الولايات المتحدة وهـو مفهـوم اشتراكي بحت حين تتدخل الدولة لإسعاف حالة في القطاع الخاص، وهـذه

الصورة إن دلت على شيء فتدل على حجم الخطر الكبير، كما أعلن بنك (ليمان براذرز)، وهو رابع أكبر مصرف استثماري في الولايات المتحدة إفلاسه وطلب من الجهات المختصة اتخاذ إجراءات طارئة لحمايته من الانهيار التام، وذلك وسط تصاعد حدة الأزمة المالية التي يشهدها الاقتصاد العالمي، وجاءت خطوة المصرف بعد تعرضه لخسائر بلغت مليارات الدولارات نجمت عن تعاملاته في سوق الإقراض العقاري في البلاد.

وتداعيات الانهيار الاقتصادي وأزمة البنوك لم تتوقف عند الولايات المتحدة وحدها، بل دبّ الخطر لينال البنوك الغربية أيضاً وخاصة في بريطانيا حليفة وشريكة أمريكا الدائمة فمنها بنك (لويدز) البريطاني الذي توصل إلى اتفاق اندماج مع مجموعة (أتش بي أو أس) في اتفاق بقيمة ١٢ مليار جنيه إسترليني لكي ينقذ هذه المجموعة من الانهيار، وتعني هذه الخطوة قيام كيان مصرفي كبير جداً يتبعه قرابة ثلث المدخرات والقروض العقارية في بريطانيا بقيمة ٣٠ مليار جنيه إسترليني من أجل مواجهة الأزمات المالية الحالية وكذلك المتوقعة في المستقبل، وتعد مجموعة (أتش بي أو أس) أكبر كيان للإقراض العقاري في بريطانيا بنسبة ٢٠% من السوق بينما يحتل (لويدز) المركز الرابع في هذا المجال بنسبة ٨%، أما في ألمانيا فقد توقع مصرف (آي كي بي إنداستري) الألماني خسارة بين ستمائة وسبعمائة مليون يورو (بحدود ٩٥٠ مليون دولار) خلال العام المالي الحالي بسبب تأثير أزمة خسائر القروض على الرغم أن الحكومة الألمانية قدمت مساعدات للبنك الشهر الماضي لمساعدته في تجاوز هذه الأزمة التي جعلته على وشك الانهيار.

وكما اعترف من قبله بوش بخطورة الوضع الاقتصادي الأمريكي فقد تابعة وزير المالية البريطاني (اليستر دارلينج) باعترافه (بأن بلاده تواجه أسوأ أزمة اقتصادية خلال ستين عاماً) وأضاف في لقاء مع صحيفة (الجارديان): إن التراجع الاقتصادي سيكون أكثر حدة واستمرارية مما يخشاه معظم الناس، وجاءت تصريحات وزير المالية البريطاني بعد حزمة من الأخبار الاقتصادية السيئة غير المنقطعة، حيث هبطت أسعار المنازل إلى أدنى مستوى لها منذ ١٨ عاماً، وتشير أحدث الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن مايقارب من ستة ملايين مواطن أمريكي فقدوا وظائفهم في ولاية الرئيس بوش الابن فضلاً عن أن ستة ملايين عائلة قد هبطت من الطبقة الوسطى إلى الطبقة الفقيرة.

أمام هذه التداعيات الخطيرة في الجانب الاقتصادي بدأ المعنيون بالشأن الاقتصادي العالمي بإعلان صيحات الإنذار من خطورة الموضوع وإمكانية تفاقم الوضع ومن ذلك تحذير مدير صندوق النقد الدولي في أيلول ٢٠٠٨م من أن الأزمة المالية سيكون لها نتائج طويلة الأجل على الاقتصاد العالمي، وقال: إن الاقتصاد العالمي سيواجه كساداً طويل الأجل، وحذر مدير صندوق النقد الدولي الحكومات الأوروبية من التوسع في الإنفاق العام بشكل يؤدي إلى زيادة الديون العامة لأنه من الخطأ (إضافة ديون جديدة إلى الديون القديمة) لمواجهة الأزمة.

وبما أن الاقتصاد يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسياسة فهذا يعني أن تقلبات سياسية تحدث أيضاً، فلقد بدأت العديد من الدول بتغيير مواقفها السياسية حين رأت أن الفرصة سانحة وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس بالصورة التي

ترسمها للعالم، فبدأت بعض الدول من التخلص من الدوران في مدارات الولايات الأمريكية ومثال ذلك (فنزويلا) التي كانت من كبار مصدري النفط للولايات المتحدة، فقد بلغ الحال إلى مرحلة طرد السفراء من الدولتين، وكذلك ما أقدمت عليه كوريا الشمالية من أنها ستعود لتكمل برنامجها النووي بعيداً عن تسلط الولايات المتحدة وفرق التفتيش فضلاً عن الموقف الإيراني المعادي علناً للولايات الأمريكية وتدخلها بشكل ملفت للنظر في العراق سواء في الجانب السياسي أو الأمني أو الاقتصادي، بل لابد من القول بفصيح العبارة: إن المستفيد الأول اقتصادياً من الاحتلال الأمريكي للعراق هي إيران، وغيرها من المواقف التي تؤثر بشكل مباشر في الاقتصاد الأمريكي والعالمي ولأول مرة في تاريخها دعت الدول الأوروبية الأربع الكبرى (فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا) الأعضاء في مجموعة الثماني إلى "إعادة تشكيل النظام العالمي في أسرع وقت "وكذلك" إعادة النظر في قواعد الرأسمالية المالية"، وذلك في قمة عُقدت في باريس في تشرين الأول ٢٠٠٨م، أمام هذه التحديات الخطيرة اضطرت الولايات المتحدة لعمل خطة من شأنها أن تضخ ٧٠٠ مليار دولار لتجاوز الحالة ومنع الانهيار الاقتصادي، كما ضخت اليابان مئات المليارات وألمانيا وغيرهما من دول العالم، إن ضخ هذه الكتلة الكبيرة من السيولة سيعاني منها المواطن الأمريكي بسبب ما سيحصل من تبعات التضخم الناتجة عن ضخ سيولة عالية في زيادة التضخم وما يتبعه من كساد وكذلك سيعاني المواطن الأمريكي من عقدة تسديد الضرائب التي ستقوم الدولة بتعويضها لرفد الخزينة المركزية مرة أخرى ناهيك عن التزايد الهائل في البطالة، حيث ذكرت وزارة

العمل الأمريكية في آخر إحصائية رسمية لها إن عدد العـاطلين في الولايـات المتحدة هذا العام بلغ أكثر من ربع مليون عاطل كما ذكرنا!.

وتوسعت الأزمة وتمددت ولم تقف عند حدود الولايات المتحدة بل وصلت أوروبا وآسيا والمنطقة العربية وأتبعت سياسة ضخ السيولة، فأوروبا ضـخت مئات الملايين واليابان تضخ عشرات المليارات، وهذه الإجراءات ليس حـلاً بالطبع بل مخدراً مؤقتاً لأن البنوك الكبرى أنفقت رؤوس أموالهـا كقـروض عقارية بشكل مستمر لسنوات طويلة مما أدى إلى ارتفاع غير حقيقي في أسعار العقارات بلغ في بعض الأحيان١٠٠%، أمام هذه الحقيقة فإن استرداد رؤوس الأموال أصبح أمراً أشبه بالمستحيل بل هو المستحيل بعينه لهذا فـإن الأمـوال ستسجل خسائر حقيقية.

وقد كشفت آخر الدراسات وأحدثها في الولايات المتحدة أن الأزمة الـتي تعصف بالاقتصاد الأمريكي لا تؤثر على "وول ستريت" دون سـواه، بـل الشريحة العظمى من الأمريكيين، وأظهر المسح السنوي الذي أجرته (جمعيـة علم النفس الأمريكية) أن نحو ٨٠% من الأمريكيين يعانون من الإجهاد النفسي قلقاً على أوضاعهم المالية الشخصية والاقتصاد عمومـاً، وأكـدت الرئيـسة التنفيذية للجمعية أن أبرز أسـباب الـضغوط النفـسية خـلال الأعـوام السابقة، تمثلت في الأوضاع المالية الشخصية والعمل، بالإضـافة إلى القـضايا المتعلقة بتنشئة الأطفال، وأردفت: "هذا العام القلـق علـى صـعيدي المـال والاقتصاد قفز ليحتل المرتبة الأولى، وإنها خلال خبرتها الممتدة على مدى ٣٠ عاماً، لم يكن هذا في سلم الأولويات أو على رأس قائمة الشكاوى".

وقد شمل المسح الذي أجري خلال الفترة من نيسان إلى أيلول ٢٠٠٨م، قرابة ٧ آلاف أمريكي، وخلال فترة المسح التي امتدت لفترة خمسة أشهر قفز الهلع على الاقتصاد من ٦٦% إلى ٨٠%، وأعرب نصف من شملهم الاستطلاع عن تزايد هلعهم بشأن قدراهم على تزويد أسرهم بأبسط احتياجات الحياة، فيما تخوف أكثر من النصف أي ٥٦% من مخاوف بشأن الاستقرار المهني وفي دراسة أخرى أعرب أكثر من ٥٠ % من الأمريكيين أن القادة الأمريكيون هم المسؤولون بالدرجة الأساس عن كل ما حصل وفي كل الجوانب.

وتُرجمت المخاوف الأخيرة في واقع الحال إلى إنتاجية أقل في العمل جراء الهلع على الراتب وحجم العمل الهائل فضلاً عن الفزع حول مدى عدم تأثر الوظيفة، وبينت الدراسة أن النساء أكثر قلقاً من الرجال فيما يتعلق بالاقتصاد، والمدخرات الشخصية، والتكلفة المعيشية واستقرار الوظيفة، وجاء في المسح: "تراجع حال الاقتصاد القومي يستنزف المواطنين بدنياً ونفسياً، والنساء هن من يتحملن الشق الأكبر من الإجهاد الاقتصادي، وعَزت (باربرا غولد) نائب رئيس "معهد أبحاث سياسة المرأة" كون النساء يشعرن بأهن أقل أماناً من الناحية الاقتصادية عن الرجال، وأضافت: "النساء يقلقن أكثر بشأن مدى الأمان الاقتصادي وهن الأكثر ترجيحاً لأن يعانين الفقر عند التقدم في السن من الرجال"، وأدى تراكم الضغوط بـ ٦٠% من المستطلعين للإفضاء عن مشاعر الغضب والتوتر التي تنتاهم، وأعرب ٥٦% عن إحساسهم بالإرهاق، فيما أشارت شريحة أخرى (تقريباً ٥٢%) إلى أن القلق يحرمها النوم طوال الليل، وتحدث ٤٧% عن إصاباهم بنوبات صداع، و٣٥% عن اضطرابات معوية، ويعاني ٣٥% من توتر عضلي جراء الإرهاق النفسي.. من

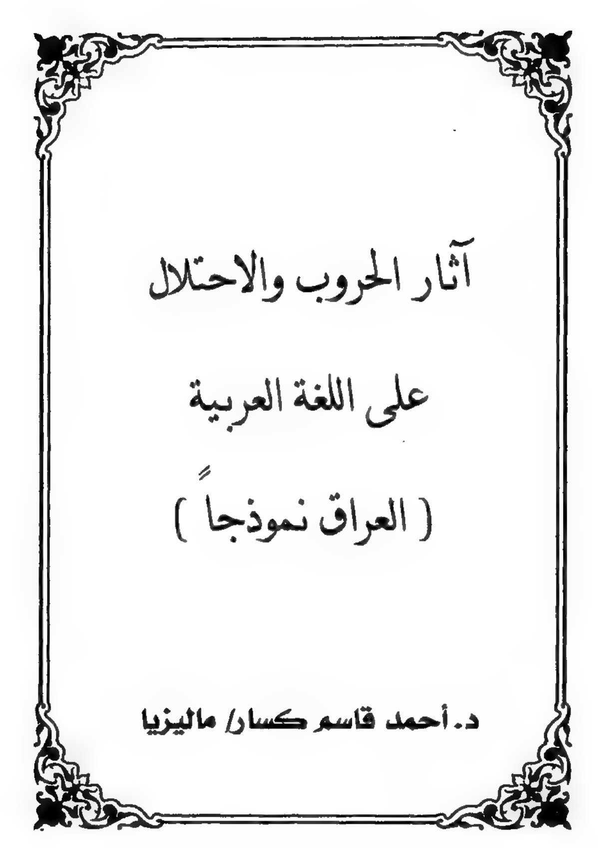
أجل كل هذا عبرت الجماهير المكبوتة في أمريكا والتي دفعت من جيبها ومـــن عمرها ضريبة أخطاء بوش ومساعديه، فقد عبّرت عن ذلك في الانتخابـــات الرئاسية الأخيرة في تشرين الثاني ٢٠٠٨م، حين قالت كلمتها برفض سياسة الحروب والخسائر العسكرية والاقتصادية التي ينتهجها الجمهوريون بشكل عام وبوش بشكل خاص، وأدلت بأصواتها بشكل ملفت للنظر لسياسة التغيير التي وعد بها أوباما.

وفي أول مؤتمر صحفي لـــ (أوباما) الرئيس الأمريكي الجديد، أكد هـــذه الحقائق حين قال إن هناك أكثر من ١٠ ملايين أمريكي عاطل عن العمل (وهو ما يعادل ٦,٥% من المجتمع الأمريكي) وإن إصلاح الاقتصاد لن يكون بالأمر الهين.

لقد شوهد الآلاف ممن كانوا في طريقهم للانتخابات في عمليات استطلاع الرأي يُسألون من قبل الصحافة، من ستنتخبون: فكانوا يجيبون بلا تردد بأنهم سينتخبون (أوباما) من أجل التغيير وكانوا يقولون: حرب خاسرة واقتـــصاد منهار فلم لا ننتخب (أوباما)؟.

الخـــاتمة: يتضح لنا من خلال ما تم استعراضه أنه كان ومـــازال للولايـــات المتحدة الأمريكية مطامع اقتصادية كبيرة في العراق وفي المنطقة، وقد اتبعـــت لتنفيذ مآربـــها أساليب وطرقاً غير مشروعة ومخالفة لكل القـــيم والأعـــراف الإنسانية، أدت بها إلى ما آلت إليه الأمور من أسوأ الأوضاع، وأثبتت لنا الأيام أنه (لا يصح إلا الصحيح)، فالظالم له نهاية ونهاية الظلم ســـوداء، والاقتـــصاد الرأسمالي مبني على وهم لأنه خالف السنن الكونية الإلهية، فالربا نظام مـــاحق وهالك، وهو أساس الاقتصاد الرأسمالي، وجعل الأموال بيد فئة متنفـــذة مـــن

الرأسماليين والمحتكرين ليذلوا الناس ويتحكموا بمصائرهم، مخالفة وتحدٍ لله سبحانه وتعالى، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحشر من الآية (٧)، وعلى الرغم من كل ما تفعله أمريكا ومعها الدول المنضوية تحت لوائها من إجراءات فإنها سوف لن تنفع، فنراها ساعة ترفع أسعار النفط وأخرى تخفضه وبنسب لا تتوافق مع المتغيرات الاقتصادية، ونراها ساعة ترفع الدولار أمام بقية العملات وأخرى تخفضه، كما قامت بتخفيض كمية النفط المصدر في أوبك بمقدار مليون ونصف المليون برميل يومياً، فمحاولات الولايات المتحدة الأمريكية من ضخ العملة وتقليل سعر النفط الخام والتلاعب بالعملات قابلها الركود الاقتصادي وتسريح مئات الآلاف من المواطنين من وظائفهم والتضخم وفقدان الآلاف لمنازلهم ومشاكل اقتصادية لا حصر لها، وإن ما أصيبت به من ضرر لا يمكن السكوت عنه ولا تلافيه بسنة وسنتين وثلاث، بل هناك خسائر لا يمكن استرجاعها بأي ثمن، وبغض النظر عما ستؤول إليه الأمور من سوء أو نجاح فإن الاقتصاد الأمريكي مع بقاء هذه السياسات العامة هو اقتصاد هالك لا محالة، ومهما أنفقت ومهما حاولت سوف لن تجني سوى المزيد من الخسائر والخيبة، لأن الله عز وجل قد توعدهم بذلك في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) الأنفال (٣٦).



آثار الحروب والاحتلال

على اللغة العربية

(العراق نموذجاً)

د. أحمد قاسم كسار/ ماليزيا

آثار الحروب والاحتلال على اللغة العربية
العراق نموذجا

د. أحمد قاسم كسار[1]

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فليس من شك لأثر العربية في ثقافة المسلمين وعلاقة ذلك بالبناء الحضاري، ومن صروف الحياة موضوع الحروب والاحتلال، وللتعرف على ذلك وتحليل مخلفات هذا الموضوع ورواسبه على اللغة العربية اخترت هذا العنوان.

واخترت العراق _ بلدي الحبيب _ نموذجاً لأسباب من أهمها أنه خير عيِّنة للدراسة والبحث؛ لأنه يمثل ثقل اللغة العربية بمدارسها وعلمائها وتصانيفها وطلبة علمها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد شهد هذا البلد أنواع الحروب، ودخلت فيه أشكال الاحتلالات، وشهدت أرضه معارك عدَّة، وكانت اللغة العربية في ذلك كله لها حضور ووجود، وتأثر وتأثير، وهذا من أقوى الأدلة على حيوية لغتنا، وقدرالها على التعايش في مختلف الظروف والأحوال.

ومن ثَمَّ فإنَّ البحث فيه دلالة مفهوم المخالفة التي تعكس صورة في أبسط معانيها أنَّ الأمن والأمان والاستقرار والتمكين وغيرها من مفردات العيش

(1) محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية دار الرضوان الإسلامية في ماليزيا، وباحث عراقي له عدد من المشاركات البحثية في الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية، وللتواصل مع الباحث على البريد الالكتروني: Dr.Ahmad77@YAHOO.COM

الرغيد بكل ألوان السلام عامل من الأهمية بمكان لتطور وازدهار اللغة العربية تعلماً وتعليماً، وبالمقابل فإن الحروب والاحتلال والاقتتال والعنف والفوضى والمشاكل المماثلة لهذه عوامل لا تخفى آثارها السيئة على تدهور مستوى اللغة العربية وضعفها واضمحلال إنتاجها العلمي والمعرفي المساهم في البناء الحضاري للأمة، ومن رؤية أخرى أقول إن ثقافة المحتل ومدى تحضر العدو يعكس آثاره سلباً أو إيجاباً على اللغة العربية من حيث الاهتمام والتطوير أو الطمس والتدمير، كما وإن العراق بلد تعايشت فيه اللغات بكل سلام مع العربية، إلا أنها في أوقات يشتد الصراع الحضاري والثقافي بينها فيكون أُكُلها في ساعات التفاعل طيباً وفي ساعات التصادم علقماً.

إنني على اعتقاد قريب من اليقين أن اللغة العربية في تاريخها تشكل لبنة من الأهمية بمكان في صرح حضارة الأمة الإسلامية وكيانها في مواجهة التحديات من جهة، وفي البناء الحضاري من جهة أخرى، وهذا ما سنجده رأي العين في بلاد الرافدين.

أعان الله لغتنا، وحفظها كما حفظ كتابه الكريم، وسلّمها لنا، وسلّمنا لها، وجعل جميع المسلمين من أهلها إن لم يكن نسباً فلساناً، وحرر عراقنا وجعله بلداً آمناً مستقلاً مستقراً وسائر بلاد المسلمين، آمين ..

التمهيد: وصف البحث،

أهداف البحث

(١) الكشف عن حقب تاريخية ماضية، والتحقيق في أحداث واقعية جارية، كيفية تعامل العدو المحارب والمحتل الغازي الأجنبي مع اللغة العربية في بلاد العرب والمسلمين.

(٢) التعرف على مدى تأثر وتأثير اللغة العربية في ظل الحروب والاحتلال، ومدى انعكاس ذلك على ثقافة المسلمين، وتقويم لأداء إسهامات اللغة في البناء الحضاري

للأمة الإسلامية في تلك الأوضاع.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في جرأة طرحه لهذا الموضوع، فضلاً عن حداثته، وكونه غير مسبوق بالبحث المنهجي العلمي من قبل، وكذلك دوره في تعريف الوسط العلمي بضرورة المحافظة على اللغة العربية في زمن الهجمات العسكرية والعلاقات السياسية والغزوات الفكرية التي تتعرض لها أمتنا الإسلامية، والقيام بدور لغوي رائد للدفاع عن لغة القرآن الكريم والمحافظة عليها؛ لأنها لسان حضارتنا الإسلامية ورمز هويتنا وانتمائنا لهذا الدين.

أسئلة البحث

يحاول البحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: هل تتأثر اللغة العربية بالحروب والاحتلال؟ وهل هناك آثار إيجابية، أو سلبية فقط؟.

السؤال الثاني: لماذا العراق نموذجاً؟ وهل إخضاع تجربة العراق اللغوية في خضم الحروب والاحتلال كافية لتوصيف صورة البحث وتقريب الغاية من الأهداف؟.

السؤال الثالث: ما هي آثار الحروب والاحتلال على العراق قديماً وحديثاً؟.

السؤال الرابع: هل اللغة العربية في حسابات مخططات الأعداء ومن أهداف

المحتلين؟ وما مدى التنبه والتيقظ لتلك المؤامرات من خلال التعامل العسكري والسياسي والثقافي؟.

السؤال الخامس: ما هو الدور المناط بأساتذة اللغة العربية وعلمائها وشيوخها المعاصرين، وكذا طلاب علمهم، للدفاع عن لغتهم، وما هي المحاولات الجادة للبناء مقابل موجات الهدم؟.

حدود البحث

حدود البحث لا يتجاوز العراق، اللهم إلا ما يتطلبه البحث من تعريف بإيجاز عن الأقوام الغازية والدول التي حاربت العراق واحتلته، وهذا التحديد من أجل التقيد مكانياً بعيّنة للدراسة الميدانية، ومن ثم فإن الباحث هو ابن البلد نفسه، وحديث عهد بالخروج منه، ومن المتابعين له إخبارياً بمشاركات إعلامية داخل العراق وخارجه.

منهج البحث

(١) اعتماد المنهج الاستقرائي الوصفي للحروب والاحتلال وملابساقهما في الساحة العراقية.

(٢) اعتماد المنهج التحليلي للوقائع، وقراءة نقدية للمواقف المتباينة.

(٣) اعتماد المنهج الميداني من خلال الكشف عن آثار اللغة العربية في أحداث الحروب والاحتلال.

خطة البحث

جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد لوصف البحث وثلاثة مطالب رئيسة وشاملة لموضوعه، ومؤدية للغرض المقصود.

المطلب الأول

أرضية العراق اللغوية

يتضح من تاريخ العراق أنّه كان يمثل صراعاً بين كل الشعوب الوافدة إليه، ولاشكَّ أن اللغة واحدة من تلك الصرعات، واستطاع العراقيون أن يحدثوا تمازجاً وتعايشاً لغوياً بين مختلف الفئات المتعايشة على أرض الرافدين من العرب، والصابئة، والكلدان، والسريان، والآشوريين، والأكراد، والتركمان، وقد كان لعامل الدين الإسلامي والهوية العربية للبلد أن تكون اللغة العربية هي أداة التواصل بين هذه المجموعات ذات الجذور الأعجمية والأجنبية، وساهم في ذلك عنصر التصاهر والتجاور والتجارة والدراسة وغيرها، فقد نطق بالعربية في العراق ممن ليسوا من العرب، وتحدثوا اللهجة العراقية العامية مع شيء من اللكنة والعجمة الواضحة والمعهودة في ألسنة بعضهم.

نستثني من ذلك الأكراد الساكنين في حدود العراق الشمالية والشمالية الشرقية المجاورين لإيران وتركيا الواقعين على خط طول هلالي من تل عقرة وتلعفر في محافظة نينوى الشمالية إلى مندلي وخانقين في محافظة ديالى الشرقية، حيث تكاد تنحصر اللغة العربية أو لا تكاد أصلاً عند بعضهم.

ويتكلم باللغة العربية أكثر من ٨٠ % من سكان العراق، كما يتكلم بها معظم أهل اللغات الأخرى الساكنين في العراق كالأكراد والفرس والأرمن والكلدان والشركس واللاجئين وغيرهم، ولذا يمكن القول بأن نسبة المتحدثين باللغة العربية في العراق قد ترتفع إلى نحو ٩٧% من مجموع سكان

العراق[1]، ويتكلم بعض العراقيين اللغة الكردية ويتحدث بها حوالي ١٥ % من سكان العراق وهي لغة الغالبية من الزيدية ذات الأصول الفارسية القديمة، وأما اللغة التركية والتركمانية فيتكلم بها مجموعة من السكان تقدر نسبته بحوالي ٩،١ % من مجموع السكان، ومن الجدير بالذكر أن اللغة التركية دخلت العراق مع العثمانيين الأتراك، وأما اللغة التركمانية فدخلت العراق في عهد المغول، ومن اللغات الأخرى في العراق الآرامية وهذه جاءت العراق مع السريان الوافدين للعراق من سوريا، وهي لغة الكنيسة في العراق، ويتكلم بها المسيحيون السريان والكلدان ويشكلون نسبة ٣،٠٠% من مجموع سكان العراق، وكذلك اللغة الآثورية تشكل النسبة نفسها وهي لغة منعزلة في المناطق الجبلية الشمالية، وأخيراً اللغة الأرمينية وهي لغة من نزح للعراق بعد الحرب العالمية الأولى، ولها أبجديتها الخاصة، ونسبتهم ٢،٠ % فقط[2].

وعلى أرض العراق نشأت العلوم اللغوية، فوضعت قواعد النحو العربي وصرفه في البصرة، وخولفت بالأقيسة النحوية في الكوفة، وجمعت أصولهما ببغداد، وراج الشعر ورواته في العراق في المربد وكناسة وغيرهما من مجالس الأدب والسماع. وبعد أن كان العروض سماعياً في شبه الجزيرة العربية، قيّد أوزاناً وتفاعيل في العراق، وصنف في العراق أُمّات الكتب والمؤلفات في اللغة العربية وعلومها وآدابها فضلاً عن الترجمة منها وإليها، وإذا كانت القراءات القرآنية سبعة فإن أربعة منها لقراء عراقيين، وإذا كانت عشرة فستة منها حصة

(١) انظر : سكان العراق : ١٩.

(١) انظر : سكان العراق : ١٩.

العراق، وإذا كانت أربعة عشر فتسعة منها هي في أرض الرافدين الطيبة المباركة.

المطلب الثاني

آثار الحروب والاحتلال الإيجابية على اللغة في العراق

فيما يأتي بيان لأهم المحطات التاريخية التي أثرت اللغة وعلومها بشكل عام من خلال تعاقب الدول والأقوام التي حكمت العراق، وأثر التدافع بين السلطات الحاكمة على هذا البلد بالنظر إلى خلفياتهم العلمية والثقافية والحضارية.

كتابة اللغة: بدء النشاط البشري في العراق في حدود ٦٠٠٠ سنة ق.م في العصور الثلاثة التي اصطلح عليها المؤرخون بالعصر الحجري: (القديم، والأوسط، والحديث) حيث شهدت الحضارة العراقية تطوراً كبيراً، وقد توج هذا التطور بابتكار الكتابة ـلأول مرة في تاريخ الكتابة والقراءةـ إذ عثر على أول نموذج لها بهيئة صورية في مدينة الوركاء، وقد امتد تأثير الحضارة السومرية العربية إلى العيلاميين في إيران، وبلاد الأناضول، ومصر، كما يعطي فكرة عن حجم التطور الذي انتهى إلى ظهور أول أشكال السلطة وبداية عصر حضاري جديد[1].

ويتفق المؤرخون على أن الإنسان العراقي القديم يقف وراء التطور الحضاري، وهو صاحب رسالة التطور النوعي للمجتمع والانتقال به من البدائية إلى الحضارة والمدنية، فالعراق مهد الحضارات التي عرفها الإنسان

---

[1] : المسلمون في العراق: ١٠.

باسم: (بلاد وادي الرافدين) أو: (بلاد ما بين النهرين) أو: (وادي الرافدين)، وعرف أهلها بدايات التنظيم الاجتماعي والسياسي للإنسان القديم، ويرجع أصل سكان العراق إلى القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين[١].

وفي تراث العراقيين القدماء البدايات الأولى للكتابة في مرحلة التصوير والرسم للمحسوسات والمخلوقات التي تعيش إلى جانب الإنسان، والثابت في الدراسات التاريخية والبشرية أنّ السومريين سكان العراق الأصليين كانوا يكتبون على الطين بخطهم المسماري القديم الفنون والثقافة في عصر فجر السلالات السومرية[٢].

وعندما جاء الأكاديون حلت اللغة الآكادية محل السومرية في هذا العصر، فعندما أقام الأكديون دولتهم على أنقاض دولة السومريين، أخذوا الخطّ المسماريّ منهم؛ طوّروه وأدخلوا عليه الرسم الصوتي المقطعي، وأجروا تعديلات فنية على الخطوط فبعد أن كتبوا من الأعلى إلى الأسفل أخذوا يكتبون أفقياً من الشمال إلى اليمين[٣].

وتعاونت أكد وسومر في بناء الحضارة، ومثلت لغة الشعبين وحدة لغوية بينهما، فطوروا النظام اللغوي الصوري إلى شكل الكتابة الرمزية المسمى بالخط المسماري، وهم أول من أسس النظام التعليمي المركزي (نظام المدارس)[٤].

---

[١] انظر : المصدر نفسه .

[٢] انظر : أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : ١١٧

[٣] انظر : أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : ١١٧

[٤] انظر : الدولة العباسية : ١١٩

نظام القراءة والكتابة في المدارس: إذا ذكرت المعرفة واللغة والثقافة في العصر البابلي الأول فينحصر الكلام في جهود الملك السادس حمورابي في هذا المجال أو تكاد، فقد حكم سلالة بابل الأولى (١٧٩٣ــ١٧٥١ق.م) تمكن خلالها من توحيد العراق بعد أن كان ممزقاً إثر سقوط سلالة أور الثالثة إلى عدة ولايات، واهتمَّ ببناء المدارس، إضافة إلى دور العلم والمعرفة في المعابد، وشجّع حركة جمع التراث الفكري، ومن أشهر أعماله مسلة حمورابي التي دوّن عليها تشريعاته وقوانينه[1].

التأليف اللغوي وجمع التراث: منذ عصر البابليين المبكر أخذ العراقيون القدامى في التدوين، وبدأت أول مرة حركة العناية بتراث العراق القديم وتدوينه وإعادة كتابة الملاحم السومرية، وازدهرت الثقافة والأدب والفنون، وقد شهد هذا العصر أقدم نسخة من ملحمة كلكامش التي خلدت مآثر ملك سلالة الوركاء الأولى وهي من أشهر النتاجات الأدبية اللغوية في تاريخ الحضارات القديمة، وإلى هذا العصر تعود قصة الطوفان وقصة الخليقة البابلية وغيرها[2]، وعرفت الإمبراطورية الآشورية وقاعدتها نينوى بشمال العراق بأنها دولة حربية ما تخرج من حرب إلا لتدخل في حرب أخرى، ولكن في الحقبة (٩١١ــ٦١٢ق.م) ازدهر تاريخ الآشوريين الثقافي، واشتهروا بإبداعهم الحضاري وشهدت مدنهم تطوراً ثقافياً وحضارياً، ولا سيما تلك التي حوتها مكتبة آشور بانيبال وكانت سجلاً للحياة العراقية القديمة.

---

[1] انظر:موسوعة دول العالم الإسلامي : ٨٣/١.

[2] انظر:موسوعة السياسة: ٤/مادة (العين) .

وكذلك يتميز عهد الكلديين ببعث الثقافة العراقية القديمة ولا سيما في حقول الأدب والعلوم والمعارف الأخرى والاهتمام بالماضي وجمع مخلفات الملوك العظام وهو اتجاه واضح في حياة الملوك الكلديين، ويذكر أن البابليين في عصرهم الثاني اتجهوا إلى الأدب وإحياء التراث واستثارة الهمم والتجارة عندما خضع مجتمعهم للاحتلال[1].

المحافظة على اللغة والثقافة والهوية: شهد العراق في المدة: (٥٣٩ إلى ٣٢١ق.م) غزواً فارسياً بقيادة الملك كورش الإخميني الذي احتل مدينة بابل واتخذها عاصمة مُلكه، وكان هذا الغزو بداية لفترة احتلالية طويلة تعددت فيها الأطراف التي مارست احتلال العراق، شهد العراقيون فيه سياسية توطين الفرس وبخاصة رجال الدين المجوس ببلاد بابل في محاولة لفرض طبقة ثقافية وثقافة دخيلة على المجتمع، وقام الفرس بإقصاء الكهنة والكتاب البابليين، إلا أن العراقيين لم يرضوا ذلك؛ سرعان ما اتحدوا ونشطوا في دور علمي وفكري ظهرت نتائجه في وقت لاحق في حين لم يستطع الفرس خلق أي ثقافة في العراق وبقوا فيه محتلين يمتلكون القوة ولا يمتلكون الإبداع[2].

وازداد تمسك المجتمع بثقافته الوطنية وأصبح اسم نبوخذنصر رمزاً للوطنية آنذاك، واتخذه اسماً كل ثائر ظهر في بلاد بابل مما يدلل على فعل الذاكرة التاريخية في صنع المواقف السياسية، ويظهر من قوائم أسماء المولودين في عهد الاحتلال تدني نسبة الذين سموا أبناءهم بأسماء فارسية على خلاف الفرس الذين

[1] انظر : موسوعة السياسة: ٤/مادة (العين).

[2] انظر : تاريخ العراق — منير الحقيقة :٦

انتقلوا إلى العراق واليهود الذين اتخذوا الأسماء البابلية بكثرة، ولم يعتنق السكان العراقيون الديانة الزرادشتية، ولم تكشف البقايا الآثارية أية آثار لمعبد نار في العراق[1].

الصراع اللغوي القومي بعد الموجة الفارسية: جاءت إلى العراق بالتعاقب موجات غزو فارسية بدأت بالأخمينيين فالسلوقيين فالفرثيين فالساسانيين، ومع هذه الاحتلالات فقد ظهرت بعض الممالك العربية الصغيرة التي تشبه دويلات المدن للتعبير عن استمرار العطاء الحضاري العربي حتى في أوقات الضعف السياسي، مثل دولة الحضر (مدينة العرب الصحراوية)، والتي اشتهر من ملوكها (سنطرق ملك العرب)، ودولة المناذرة في الحيرة التي برز فيها من الملوك النعمان الأول (٤٠٠ـ ٤١٨م)، والنعمان بن المنذر (٥٨٠ـ٦٠٢م)، وذاع صيتها بمعركة ذي قار مع الفرس الساسانيين، وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم[2].

ارتباط اللغة بالدين: بعد معركة القادسية أصبح العراق جزءاً من الدولة الإسلامية، ودخلت اللغة العربية إلى عموم العراق وأرجائه مع الفاتحين، وكان لنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، واختيار نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) أفصح من نطق بالضاد من قريش، كان أثر ذلك أن ارتبطت اللغة العربية بالإسلام، وكان لارتباطها شرف وتعظيم من جهة تلك الرابطة والعلاقة، وكان لها ارتباط آخر من جهة وقوفها في الخطوط الأمامية عند كل

(1) انظر : المصدر نفسه .

(2) انظر: معجم البلدان : ٤/٢٩٤.

مواجهة ضد الإسلام والمسلمين لتصدي الهجمات، وهذه الحالة الأخيرة مما لا يخفى على أحد أنَّ الأيام زادهّا قوة وحيوية أكثر مما زادهّا ضعفاً وهواناً، لأن حفظ اللغة ارتبط بحفظ القرآن هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد جعلت لسان كثير من المنتمين لهذا الدين من غير العرب، ولذلك يجب على العرب وغيرهم الدفاع عن لغة دينهم، فيجب أن يعلم أنه ليس الهجوم على اللغة العربية كونها أداة للتفاهم والتخاطب والمحادثة فحسب؛ بل لأنها لغة الإسلام، واللغة التي حفظت وحملت تراث المسلمين وحضارتهم عبر خمسة عشر قرناً، ومن هنا ركز الأعداء على إضعاف اللغة العربية ومحاربتها[1].

الدعم العربي للعراق لغوياً: أدركت الخلافة الراشدة المهدية أهمية العراق بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (أهل العراق كنز الإيمان، وجمجمة العرب، وهم رمح الله عزَّ وجلَّ)[2]، فهاجرت من بلاد العرب قبائل كثيرة ونزلت العراق، وكان الأساس في تعريب هذا البلد بعد أن عاثت فيه الرياح الفارسية، واستبدلت لغة الإسلام العربية اللغة الفارسية والسريانية وغيرهما في العراق، ولم تمض سبعون سنة حتى أصبحت العربية اللغة العامة فيه، ومن ثمَّ ما هو معلوم أنَّ اللغة العربية لم تتراجع من أرض دخلتها[3]، ولما هجر الدين اللغات الأعجمية في العراق، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت الألسنة الأخرى كلها، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر

[1] خصائص اللغة العربية، ولماذا يجب تعلمها: ٨٣.

[2] تاريخ بغداد : ٥٢/١.

[3] خصائص اللغة العربية، ولماذا يجب تعلمها.

الإسلام وطاعة العرب، وهجرت الأمم لغاهم وألسنتهم في الأمصار والممالك جميعها، وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في أمصارهم جميعها، وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة وغريبة[1]، هذا هو عين أثر النصر في المعركة اللغوية ودور الدعم في مساندة القضية اللغوية حينما تهدد بالخطر، ومن هنا يأتي قول العلامة ابن خلدون: (أنَّ المغلوب مولع أبداً الاقتداء الغالب في سائر أحواله، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تفتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه)[2].

المدارس النحوية: شيّدت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) البصرة والكوفة بعد فتح العراق، ليكونا من بعد مقرين رئيسين للإدارة الإسلامية في العراق، وقد أقام الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالكوفة معظم أيام خلافته.

وفي هاتين المدينتين أنشئت المدارس النحوية، والمقصود منها هي الاتجاهات والمذاهب التي تختلف وجهات نظرها في بعض المسائل النحوية، وقد كان وضع النحو ونشأته في العراق؛ لأنَّه كان على حدود البادية، وهو ملتقى العرب والعجم لما حباه الله من أسباب الرخاء والعيش فكان العراق أبرز بلد انتشر فيه اللحن الذي بسببه وضع علم النحو.

وإذا كان أبو الأسود الدؤليّ هو الذي تشير إليه الأصابع بأنه واضع النَّحو العربيّ فإنَّ النحو نشأ في البصرة التي كان أبو الأسود من أهلها، وذلك

---

[1] تاريخ بغداد: ١/٥٢.

[2] مقدمة ابن خلدون: ١١٤.

لتحصين الألسنة من آفة الخطأ المزري بصاحبه، فقد بدأ غرس النَّحو في البصرة وترعرع وازدهر فيها، ثمّ جاءت الكوفة من بعد البصرة لتحقق في النَّحو دراسات واسعة النطاق، ثمّ يأتي دور بغداد في إكمال النَّحو وتطوير قواعده، ثمّ برز شعاع هذا العلم في سائر البلاد الإسلامية، وقد ذكر الشيخ محمد الطنطاوي ذلك فقال: (وعلى ضوء هذا التاريخ فقد عددنا أطواره ـ أي النحو ـ الأربعة: طور الوضع والتكوين (بصري)، وطور النشوء والنمو (بصري كوفي)، وطور النضج والكمال (بصري كوفي)، وطور الترجيح والبسط في التصنيف (بغدادي، وأندلسي، ومصري، وشامي)[1]، ولقد كان في كل مرحلة من تلك المراحل علماؤها الذين أسهموا في خدمة علم النَّحو درساً وتأليفاً وتطويراً، وكان لكل مدرسة نحويَّة أصولها وقوانينها التي قام عليها مذهبهم النَّحوي.

إعجام القرآن الكريم وتنقيطه: شهد العراق إبان الحكم الأموي العديد من الحروب بين مؤيدي أبناء الإمام علي (رضي الله عنه) والدولة الأموية، وحين ولّي الحجاج بن يوسف الثقفي العراقين سنة ٧٥ هـ أراد له بداية جديدة تبدأ بالحزم ويصاحبها العلم.

وأحداث العراق تلك لم تمنع من القيام بإعجام المصاحف؛ إذ بعد أن اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بالعجم، وكادت العجمة تمس سلامة اللغة، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يلح بالناس حتى ليشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير

[1] انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة:٣٦.

معجمة، فأمر الحجاج والي العراق (نصر بن عاصم البصريّ ت ٨٩ هـ) و(يحيى بن يعمر البصريّ ت١٢٩هـ) لتنقيط حروف المصحف، ونجحا في هذه المحاولة وأعجما المصحف الشريف لأول مرة ونقطا جميع حروفه المتشابهة والتزما ألا تزيد النقط في أي حرف على ثلاث، وشاع ذلك في الناس بعد فكان له أثره العظيم في إزالة الإشكال واللبس عن المصحف الشريف[1].

ومن أسباب التنقيط اللغوية: كثر التصحيف في العراق ففزّع الحجاج كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فوضعوا النقط أفراداً وأزواجاً، وخالفوا بين أماكنها فأصبح الناس لا يكتبون إلا منقوطاً ثم أحدثوا الإعجام[2].

حركة الترجمة اللغوية: بعد أن آل الحكم إلى بني العباس انتقل مقر الخلافة الإسلامية إلى بغداد سنة ١٤٧هـ، وكان المنصور قد أطلق عليها اسم (مدينة السلام)، وعاش العراق أفضل مراحل عطائه الحضاري، واستقطبت المدينة المدورة علماء ومفكرين من مشارق الأرض ومغاربها، وبلغت قمتها في عصر هارون الرشيد المعروف بالعصر الذهبي[3]، وشهدت بغداد أواخر القرن الثاني الهجري حركة الترجمة التي بدأت في العصر العباسي الأول منذ عهد أبي جعفر المنصور، والتي ازدهرت في عهد الرشيد، وكان بيت الحكمة الذي أسسه المأمون سنة٨٣٠م شاهداً على تلك الحركة وتطورها؛ إذ ترجم التراث الثقافي اليوناني وكتب الطب والفلك والجبر والكيمياء، فحفظت بغداد التراث

[1] انظر: مناهل العرفان :١/١٨٠.
[2] انظر: الإسلام والحضارة العربية:١/ ١٦٤.
[3] انظر: الدولة العباسية : ١١٩

الإغريقي الذي عرفته أوروبا في عصر نهضتها[1]، ومضى القرن التاسع الميلادي برمته وبغداد تترجم لأقليدس وأرخميدس وبطليموس وديسقوريدس وأبقراط وجالينوس وأرسطو وتاوفرسطس وغيرهم[2].

تعليم العربية لغير الناطقين بها: بعد أن ضعف حكم العباسيين وتدهور وضعهم مكّن البويهيون من الحكم، وقد شجع أمراء بني بويه _ الذين ينتمون للأصل الفارسي _ شجعوا وزراءهم على تعلم اللسان العربي والأدب العربي والعلوم العربية؛ لأن اللغة العربية أكثر طواعية للعلم ومصطلحاته عن اللغة الفارسية، فأسس أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي (دار العلوم) سنة ٣٨٣ هـ/ ٩٩٣م، لتعليم العربية لغير الناطقين بها من أبناء قومه[3].

تخصيص مادة النحو العربي في المدارس العلمية: عندما ضعف البويهيون وانهارت دولتهم استولى السلاجقة على مقاليد الأمور ببغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[4]، وكان لازدياد نفوذ السلاجقة واستقرار الحياة السياسية في دولتهم بعد سيطرتهم أثره الواضح في انتشار دور العلم ومعاهد الثقافة في أمهات المدن العراقية، وأخذت حلقات العلم تنمو وتتطور في المساجد والربط والمدارس وغيرها[5].

---

[1] انظر: الدولة العباسية : ١١٩

[2] انظر: الإسلام والحضارة العربية:١/ ١٦٦.

[3] انظر: ظهر الإسلام : ١/ ٢١٧ ، ٢٥٥ .

[4] انظر: سلاجقة إيران والعراق : ١٦ — ١٨ .

[5] انظر: المدارس النظامية بمجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد (١٦): ١١١ — ١١٢.

فأمر نظام الملك الحسن الطوسيّ (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ببناء المدارس في مدن وحواضر العراق، حتى صار له بكل مدينة بالعراق مدرسة، وكانت تسمى بالمدارس النظامية، ومنها المدرسة النظامية ببغداد، ومدرسة الرضى النظامية بالموصل، ومدرسة البصرة النظامية وغيرها، وكانت تدرس العلوم الشرعية، وأولت الاهتمام بعلم الكلام وعلوم اللغة العربية كالنحو والأدب والبلاغة، واشترط أن يكون في كل مدرسة مقرئ يُقرئ القرآن ونحويّ يدرس العربية[1].

إجراءات لغوية في أنظمة الدولة العراقية الحديثة: اللغة العربية هي اللغة الرسمية في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٣٢م وباعتراف عصبة الأمم والهيئات الدولية، وأصدر العراق عام ١٩٧٧م قانوناً لصالح اللغة العربية وهو قانون: (سلامة اللغة العربية) الذي ينص على ضرورة أن يحترم مستعمل اللغة العربية بالعراق سلامتها، وألا يخطئ في كتابتها أو النطق بها، من أجل ذلك كانت تعقد لرجالات الدولة دورات لغوية مستمرة، وألّف أستاذي الدكتور رشيد العبيدي (رحمه الله) كتابه: (نحو الموظف)، وكانت للمجمع العلمي العراقي ببغداد يد في صياغة الأسماء التجارية والمحال العامة، وأسماء الشوارع والأحياء والساحات المرورية بأسماء عربية، وتعريب المصطلحات الأجنبية والعلمية، والخروج بقرارات لغوية دورية تحافظ على سلامة اللغة.

وتم فتح واستحداث أقسام متخصصة في اللغة العربية، وقرر منهج اللغة

---

[1] انظر: المدارس النظامية مجلة كلية الدراسات الإنسانية، العدد (١٦): ١١١ — ١١٢.

العربيـــة للمدارس الابتدائية والثانوية والإعداديات عامة، وقـــررت مـــادة اللغة العربية وبعض علومها في كليات وأقسام أخرى ولاسيما الشرعية، كمـــا وصفت مادة: (العربية العامة) لمقررات الأقسام العلمية في الجامعات العراقيـــة كافة، وأعيد تشكيل حلقات العلم في المساجد بعد أن خفت نورها وكان من أهم اهتماماتها باللغة العربية وعلومها وسائر علوم الآلة حيث كـــان المـــشايخ والعلماء يفتتحون الدرس النحوي بمقدمة إبن آجروم ثم بقطر الندى لابن هشام ثم بكتابه الآخر شذور الذهب، ثم بألفية ابن مالك، وكان المتن في مثل هـــذه الحلقات يحفظ، وهكذا النظام لكتب الصرف والبلاغة والعـــروض والإمـــلاء والإنشاء، كما وأن الواقع يشهد في هذه الفترة كثرة الأبحـــاث والدراســـات والمؤلفات اللغوية، فضلاً عن الأطاريح والرسائل الجامعية العلميـــة وأبحـــاث الترقية التي أشبعت الدرس اللغوي بحثاً وتحقيقاً وتأليفاً ونشراً.

جهود المقاومة في العراق في الحفاظ على اللغة العربية: لا يتصور أحـــد أنَّ للمقاومة في العراق دوراً في الحفاظ على اللغة العربيـــة بـــالرغم مـــن عظـــم مسؤولياتها وكثرتها، لاسيما وأنهم أدركوا من بداية المعركـــة أن أعـــداءهم في الداخل والخارج يحاولون استمالة الناس باللغة العربية فكانت المنشورات تكتب بلغة عربية ركيكة جداً، وتبث إيران وأمريكا وغيرهما قنوات إخبارية فـــضائية باللغة العربية، ووسائل الإعلام التي تتناول العراق وأحداثه الجاريـــة كانـــت موجهة، فضلاً عن الإعلان عن هذا الغزو بأنه صليبـــيّ بصريح اللسان، فكان عامل الدفاع عن اللغة العربية دينياً، فالتزمت المقاومة اللغة العربية الفصحى في شأنها كله، وحرصت على أن تبقى للعراقي أذن تسمع الفصحى، وعين تقـــرأ الفصيح بعبارات مختارة لغوياً وحضارياً وشرعياً تتصدى للأجنبي والـــدخلاء

ولغاتهم، وقد خصصت بعض المجاميع الجهادية بعض كتب النحو لتدريسها، واختيرت المقدمة الآجرومية (أخشى أن تدخل هذه المقدمة النحوية في لائحة الإرهاب!!!)، وكانت هناك تصحيحات لغوية آنية للقائمين بهذا الفرض، وكتبت مقالات وهي منشورة على الإنترنت من أهمها: (الأخطاء اللغوية عند المجاهدين والحاجة إلى تصحيحها لتعجيل النصر).

وأنّ الاختيار الدقيق لمفردات المقاومة للوصول إلى المعاني أعطت للبلاغة روحاً جديدة كحوليات الجاهليين ومفضليات الإسلاميين، وأحييت ألفاظ الجهاد التي كادت أن تموت وتطمس، وكأن المعركة في العراق هي معركة لغوية، ولك أن تقدر اللغة في هذه العبارات الآتية: (مدرعة أمريكية تعيش أنت ويموت من فيها بعد إحراقهم، معارك طاحنة يخرج منها العدو منسحباً يجر أذيال الخيبة، انفجار قاعدة عسكرية يهز الأرض ويضيء السماء، نقطة تفتيش تدك بصاروخ .. الخ).

المطلب الثالث

آثار الحروب والاحتلال السلبية والسيئة على اللغة في العراق

والآن يتطلب البحث العلمي إجراء موازنة ومعادلة لتناول الآثار السلبية والسيئة للحروب والاحتلال على اللغة من خلال هجمات الأقوام وعدوان الدول التي جاءت إلى العراق في فترات التاريخ المختلفة.

(١) سرقة الجهود اللغوية وتدميرها: بعد وفاة الإسكندر المقدوني الكبير الذي هزم الفرس من العراق سنة ٣٢١ق.م، كان العراق من نصيب الدولة السلوقية، واتسم عهدها بالاضطرابات والنزاعات والخلافات بين الطامعين، فتفرغت بابل للعلم فقصدها علماء اليونان طلاباً، وكانت لليونانيين فرصة

ثقافية فقد لجأوا إلى إلغاء الدور المحلي للمجتمع المحتل، والاستيلاء على التراث بكل ثقافته وحضارته ولغته، غير أنهم لم يفلحوا واضطروا إلى إعطاء المجتمع البابلي دوراً فعادت بابل إلى دورها السابق؛ ولكن بطابع جديد يطمس معالم الحضارة القديمة ويلغي دور العراقيين في التقدم العلمي الذي سلبوا معه أسماء المبدعين فأطلقوا عليهم أسماءهم أو غلفوا أسماءهم بأسماء يونانية لإسدال الستار على كل ما هو عراقي ونسبته إلى أنفسهم[1]، وحين جاء الغزو العيلامي دمروا بابل ومدناً عراقية أخرى وسلبوا ممتلكاتها بما في ذلك مسلة النصر ومسلة حمورابي أيضاً وتمثال مردوخ كبير الآلهة البابلية وغيرها من آثار العراق اللغوية والثقافية[2].

(٢) **قطع العلاقات مع العرب والعروبة:** عندما استولى الساسانيون من ٢٢٤م إلى ٣٣٧م على العراق، شهد عصرهم إصرار الفرس على إقصاء العرب من العراق، وتذويب سكانه القدماء بمنع تواصلهم مع إخوانهم عرب الجزيرة، ومنع تحرك القبائل العربية المتوجهة إلى العراق[3].

ومع ذلك فقد ظهرت إمارة الحيرة في أوائل القرن الثالث الميلادي إحدى ثمار الهجرة العربية في زمن النعمان بن المنذر، وعيّن الساسانيون ملكاً من أسرة اللخميين لينوب عنهم في العراق، وفي سنة ٦٠٢ عينوا حاكماً فارسياً على العراق حتى انهزم الفرس بسقوط المدائن على أيدي المسلمين بعد شهرين

---

(١) انظر : حضارة العراق : ٩/٢٣٠.

(٢) انظر : المصدر نفسه.

(٣) انظر: أثر الاحتلال الأمريكي على هوية العراق العربية: ٧- ٨

من معركة القادسية سنة ٦٣٧م/١٤هـ[1].

(٣) هجرة العلماء بسبب الاضطرابات: كانت حلقات العلم تعقد في مركزي البصرة الثقافيين المسجد الجامع والمربد، لإقراء القرآن وتفسير ألفاظه، وكذلك لسماع الشعراء والخطباء من أعراب الفصحاء اللذين يردون في المواسم حيث اللغة الفصيحة والأساليب البليغة[2]، واستمرت هذه الحركة حتى جاءت ثورة الزنج في العراق ٢٥٥ـ٢٧٠ هـ على البصرة، وكان من نتائجها حرق المسجد الجامع بالبصرة، فهاجر الكثيرون من علمائها واستقروا ببغداد وواسط[3].

(٤) غزو اللغة الفارسية للعراق: أسقط القائد المغولي هولاكو سنة ١٢٥٨ م ـ ٦٥٦ هـ عهد العباسيين بعد أن دخل جيشه بغداد، وتحولت عاصمة الخلافة إلى مدينة تابعة إلى إيلخانية فارس يحكمها هولاكو وأبناؤه، وقُسمت إلى قسمين، الأول: منطقة شرقي دجلة التي اتسعت فيها معالم الحضارة الفارسية، والآخر: منطقة غرب دجلة حيث احتفظت بالبقية الباقية من الثقافة العربية.

ومن هنا بدأت التفرقة بين اللغتين العربية والفارسية، ففي شرق دجلة تمسك الفرس بلغتهم، وفي غرب دجلة كانت خسارة الثقافة العربية فادحة بعد أن أحرقت ألوف الكتب والمحفوظات والمخطوطات، وأغرق بعضها في

---

[1] انظر : المصدر نفسه.

[2] انظر: حضارة العراق: ٨/ ١٢٨.

[3] انظر: حضارة العراق: ٨/ ١٢٨.

دجلة[1]، وكذلك شهدت بغداد انتشاراً للغة الفارسية بعد أن دخلها إسماعيل الصفوي سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م[2].

(٥) دخول العامية إلى لغة العراقيين الفصحى: لا يمكن أن تقصر العامية العراقية في بدايتها وشيوعها على العصور العباسية، ولعلها ورثت شيئاً من ذلك في عصور سلفت، ولقد بقيت العامية إلى جوار الفصيحة في العراق طوال العصور العباسية، وهكذا كان الأمر إلى نهاية عصر الدولة العثمانية، وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصحى من القدر ما كان لها في العصور المتلاحقة، بسبب شيوع الجهل وتضاؤل التعليم، فقد اقتصر على طائفة قليلة، فعفت دور العلم وقلت المدارس، فكانت أمية شاملة[3].

(٥) خطورة المستعربين على العراق: عانت الخلافة الإسلامية الراشدة من ظاهرة الفرس المستعربين وغيرهم، حيث مكنتهم اللغة الثانية من الاحتكاك بالمجتمع الإسلامي، ومن سهولة التخطيط للمؤامرات أو التجسس على أحوال المسلمين وأمورهم، ولذلك كان دعاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (اللهم لا تدركني أبناء الهمذانيات والأصطخريات ـ وعدَّدَ قرىً من قرى فارس ـ الذين معهم قلوب العجم وألسنة العرب)[4].

(٦) الاستعمار اللغوي بغطاء القومية العربية: لقد استعمل البريطانيون الحيلة

---

[1] انظر: السلاطين في المشرق العربي: ٥٨.

[2] انظر: المصدر نفسه: ١١٢.

[3] انظر: قصة العامية في العراق :٥.

[4] انظر: الإسلام والحضارة العربية:١/ ١٧٥.

مع العراق يوم أن علموا أن هناك خلافات (قومية) للعرب مع الأتراك العثمانيين، ووعدوا العرب بالاعتراف باستقلالهم ودولتهم الموحدة، وأعلنوا في ١٩١٨م أنهم (محررين) لا (فاتحين)؛ لكن البريطانيين تنكروا لوعودهم، فرفض الشعب العراقي سيطرة الإنكليز، لكن بريطانيا عملت على اضطهادهم فثار الشعب في ١٩٢٠/٦/٣٠م عليهم، وقاتلوهم بأدوات بسيطة مقابل البنادق والمدفعية للحفاظ على إرثهم وحضارتهم، ومع إن ثورة العشرين لم تحقق أهدافها كاملة فقد كانت نموذجاً حياً لمقاومة الاستعمار، ومن بين مخلفات الإنكليز اللغوية كلمات ومفردات عدة مقحمة في العامية العراقية لحد الآن دخلت من خلال العمل والسياسة فضلاً عن وجودهم الميداني في البلد.

(٧) هدم بوابة العروبة المنيعة أمام بلاد فارس: إن محاولات نزع الهوية العربية عن العراق ما هي إلا رد فعل على مواقفه القومية في التاريخ، فالعراق على مختلف أنظمته السياسية السابقة كان يكافح بالنيابة من أجل المشاريع العربية، فالعراق مؤسس في جامعة الدول العربية، والنظام الملكي أراد أن ينشأ الاتحاد الهاشمي مع بعض الدول العربية، فضلاً عن المواقف القومية العراقية الأخرى، فالعراق يمثل البوابة الشرقية للوطن العربي، فنزع هويته العربية عنه يمثل سقوطاً لهذه البوابة، وبالتالي يكون الوطن العربي ساحة مفتوحة للأطماع، وهذا ما أثبتته الأحداث في التاريخ، وفي الوقت نفسه يمثل العراق عمقاً للعروبة، وكان لحد وقت قريب ستاراً لدول الخليج العربي اتجاه النفوذ

الفارسي، وتعطيل مبدأ تصدير الثورة الفارسية للمنطقة[1].

(٨) **أثر الحصار الاقتصادي:** أدت العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق إلى الحد من مظاهر الحفاظ والاهتمام باللغة العربية، حيث أن اللغة بوصفها جزء من ثقافة البلد تأثرت هي الأخرى بتلك العقوبات، وأدلى مسؤولون في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تحذيرات أعلن فيها خبراء المنظمة لوضع خطط لحماية التراث الثقافي العراقي، وطالبوا دول التحالف الضالعة في الحرب ضد العراق ومقاطعته وحصاره، باحترام معاهدة لاهاي بشأن حماية التراث الحضاري.

(٩) **ألفاظ الحرب والاحتلال ودلالاتها اللغوية:** استعمل وزير الإعلام العراقي الصحّاف أثناء غزو العراق كلمات، كانت محملة بإيحاءات سياسية، فوصف جنود الغزاة بـ (العلوج) وهي لفظة مستعملة في بعض فترات التاريخ لوصم الأعاجم من غير العرب كالفرس والروم؛ كونهم لا ينتمون للأصل العربي؛ لأنهم ليسوا من سلالة العرب، فبان لنا أن هذه الحرب هي الحرب على الهوية الحضارية لهذا البلد، وهكذا بقية الأوصاف: (مرتزقة، عصابات سطو مسلح، إرهاب دولي، خائنون ...الخ).

وحاول المحتلون أن يخوضوا حرباً لغوية فكانوا يتصرفون بالألفاظ لخدمة سياستهم فوزير الدفاع الأمريكي كان يصف المدافعين عن أرضهم بـ(الإرهابيين)، وهم أيضاً غيروا موضوع (الاحتلال) إلى (التحرير) في مطابقة

---

[1] انظر: أثر الاحتلال الأمريكي على هوية العراق العربية: ٧ -٨.

(للغزو) و(العدوان)، ونشروا مصطلح (الحرية) و (الديمقراطية) مقابل: (سيادة البلد واستقلاله) و (إذلال الشعب وإيذائه).

(١٠) المحتلون الأمريكان يتعلمون اللغة العربية لأغراض خاصة: يحاول المارينز أن يتعلموا اللغة العربية في إطار تدريباهم التثقيفية في برنامج خاص بولاية كاليفورنيا الأمريكية من أجل الانتصار في وجه التحديات ـ بزعمهم ـ قبل ذهاب الجنود إلى العراق، ويتلقى الجنود حوالي (٢٠٠)كلمة بالعربية والعامية العراقية، ولكن ذلك ضرَّ العراقيين أكثر مما نفعهم، حيث الترجمة الضعيفة، وعدم الفهم الدقيق للمعاني ومدلولاتها، ويتحدث العربية (٢٦٠) جندي فقط في الجيش الأمريكي في العراق البالغ عددهم ـ في بدء الحرب ـ (٢٠٠) ألف جندي، بحسب إحصائية حصلت عليها (بي بي سي) من وزارة الدفاع الأمريكية.

(١١) تخلي أكراد العراق عن اللغة العربية: ترك الأكراد في شمال العراق اللغة العربية في المدارس والدوائر الرسمية، وكتبوا باللهجة الكردية منذ عهد مبكر من تاريخهم الحديث والمعاصر، وأخذ طلاب المدارس يدرسون مناهجهم باللغة الكردية من الصف الأول الابتدائي وإلى السادس الإعدادي، وأما اللغة العربية فتدرس عندهم كما تدرس اللغة الإنكليزية فيتخرج الطالب العراقيّ ولا يكاد يفهم من اللغة العربية إلا النادر الأندر، وقد بدت بغضاء بعضهم من اللغة العربية في تصريحاهم الشهيرة حول رغبتهم لأن يعيدوا بسيارات حديثة اللغة التي جاءتهم على ظهور الجمال، ووجدت في شمال العراق دعوات تحررية تدعو إلى الكتابة بالحروف اللاتينية لتفصل الشعب الكردي عن دينه وإسلامه وأمته، وهناك دعوات للتوقف عن تعلم اللغة العربية، وثمة متطرفون يطالبون حتى بأداء

الصلوات باللغة الكردية[1]، ومن هنا فإننا نذكر إخوتنا المسلمين الأكــراد في العراق بقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) الذي قال: (فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله)[2].

ثم إنّ اللهجات الكردية مختلفة، فأي لهجة ستكون رسمية؟، أهـــي اللهجـــة الكورمانجية الجنوبية (السورانية) المعتمدة في كردستان العراق التي يتحدث بها أهل السليمانية ومن حولهم؟ أم اللهجة الكورمانجية الشمالية (البهدنانية) الـــتي يتحدث بها أهل دهوك وقسم من أهالي أربيل؟ أم اللهجة الكورانية؟ أم اللهجة اللورية الفيلية؟.

(١٢) التلاعب بدستور العراق بما يخص اللغة: غيّب الدستور العراقي الجديد الهوية العربية للعراق وأضعفها، وغيّب اللغة العربية بوصفها لغة رسمية وحيـــدة للدولة والمجتمع، جاء ذلك في نص الدستور، ومن وراء

كواليس هذه المادة الدستورية الأخطار الجسيمة الآتية:

أ- محاولة تجهيل العراقيين ـ بكل قومياتهم ـ باللغة العربية، ليتحقق عنـــدهم الجهل المطبق بالقرآن الكريم ولغته، ومن ثمّ فهمه وتطبيقه والعمل به.

ب- زرع بذور الفتنة والتفرقة بين أبناء البلد الواحد، والتعـــصب للقوميـــات ومظاهرها المذمومة، والتخلي عن الانتماء للدين الإسلامي الذي يعتنقه الغالبية منهم، ولسان الإسلام هي اللغة العربية.

ج- إنّ القوميات المدافع عنها في هذا النص، والأقليات المشار إليها بإمكانيتهم

---

(1) انظر: لغتنا والمؤامرة: ٩.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٠٣.

التواصل باللغة العربية، إذ لا أعتقد ثمة مسؤول حكومي أو سياسي عراقي مشارك في العملية السياسية اليوم لا يجيد اللغة العربية إلى الحد الذي يمكنه أن يتفاهم بها ويعبر عن أفكاره.

(١٣) **سرقة المخطوطات العربية ونهبها**: تعرض العراق على مر الأحقاب والسنين إلى هجمات شرسة ومدمرة استهدفت إطفاء شعلة العلم والحضارة واستهدفت الإسلام بشكل خاص وذلك لما للعراق من دور حضاري كبير، والتاريخ أعاد نفسه، ففي آخر النكبات التي شهدها في الاحتلال الأمريكي في ٩/٤/ ٢٠٠٣م، تكرر الخراب والدمار وأحرقت مباني الدولة، وكان للمكتبات والآثار النصيب الوافر من تلك الأحداث فدخل اللصوص والمخربين الذين أتوا من وراء الحدود فعاثوا الفساد الكبير.

(١٤) **مظاهر اللغة العربية في ظل الاحتلال الأمريكي المعاصر**: تمر اللغة العربية اليوم في العراق الجديد في أزمة لم تشهدها من قبل، في الضغوطات والممارسات الآتية:

أ- هجر اللغة العربية من قبل الجيل المعاصر، فأصبحت الإنجليزية هاجس العراقيين بعد الاحتلال من أجل الحصول على وظائف في مؤسسات وشركات تطلب تعلم الإنكليزية وإجادتها، وكذلك زاد الإقبال على الإنكليزية من باب (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم) فأراد الناس أن يتعلموا شيئاً من لغة المحتل للمحادثة معه ولفهم مقصوده في المداهمات ونقاط التفتيش، ومن مظاهر الهجر الأخرى الدراسة في أقسام اللغة الإنكليزية والعزوف عن أقسام اللغة العربية.

ب- ما تعرض له الأساتذة المختصون بعلوم اللغة العربية وآدابها مع غيرهم من الأساتذة من القتل والتصفيات الجسدية والمطاردة والملاحقة من قبل بعض

الأجهزة الأمنية، وكذا هجرة قسم منهم خارج العراق، وتشتتهم في ربوع بلدان الكرة الأرضية، فضلاً عمن تداركه الموت وانتقل إلى جوار ربّه من عقليات اللغة وثرواتها.

ج- أكاد أجزم أن العراق اليوم ليس فيه أي نشاط لغوي عدا برامج اللغة في المؤسسات التعليمية، في حين كانت تعقد الدروس والحلقات والمواسم والمهرجانات وغيرها من الأنشطة اللغوية، وهذا إن لم يطفأ جذوة اللغة فإنه يضعفها.

د- إن أوضاع التعليم الركيكة في مؤسسات وزارة التربية ووزارة التعليم الحاليتين ستنعكس آثارها السلبية على اللغة العربية والعلوم الأخرى بسبب الأوضاع الأمنية المتردية، والجو النفسي المتأزم المؤثر على شخصية طالب العلم ومداركه.

هـ- شيوع العامية العراقية ذات المدخولات الأعجمية الكثيرة على حساب الفصحى في الأجهزة الإعلامية، وغياب الرقابة اللغوية، وعدم الاهتمام بشأن مراعاة القواعد، فضلاً عن الأخطاء اللغوية المتفشية على ألسنة الخاصة والعامة.

و- شراء ذمم بعض الأساتذة المختصين في العلوم العربية والشرعية للتلاعب بالألفاظ والمصطلحات، وإعمال اللغة في التأويل والتخريجات الفلسفية والحيل اللغوية فيما يخص عقيدة الولاء والبراء، والفتاوى السياسية، وإقناع الناس بمواد الدستور وغيره، وصدق صلى الله عليه وسلم القائل:(إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)[1].

---

[1] رواه أحمد في مسنده: برقم (١٤٣): ١/ ٢٢.

الخاتمة

قال الرافعيّ: (ما ذَلّت لغة شعب إلا ذُلّ، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناصيتها، ويحكم عليها أحكاماً ثلاثة في عمل واحد، فالأول: حبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً أو نسياناً، وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبعٌ)[1].

[1] وحي القلم : ٢/ ٣٣.

مصادر البحث ومراجعه

١– أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، د. رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد ،١٩٨٨م.

٢– الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، دمشق، ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣م.

٣– تاريخ بغداد، للإمام الحافظ أبي بكر الخطيب البغداديّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٤– حضارة العراق، د . بشار عواد معروف، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م .

٥– خصائص اللغة العربية، محمد نعمان الدين الندوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط / ١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٦– سكان العراق، دراسة ديموغرافية – جغرافية مقارنة، فاضل الأنصاري ، ط / ١، دمشق، ١٩٧٠م.

٧– السلاطين في المشرق العربي: معالم دورهم السياسي والحضاري، د. عصام محمد شبارو، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م.

٨– ظهر الإسلام، أحمد أمين، بيروت، ط / ٥، ١٩٧٨م.

٩– لغتنا والمؤامرة، إبراهيم النعمة، أنوار دجلة، بغداد، ط / ١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

١٠– مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ب . ت .

١١– معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦ هـ، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

١٢- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار صادر، بيروت - لبنان، ط / ١، ٢٠٠٠م.

١٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط/١.

١٤- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، ط/١، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥- موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط/٢، بيروت، ١٩٩٠م.

١٦- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ محمد الطنطاوي، ط / ١، مصر، ب.ت.

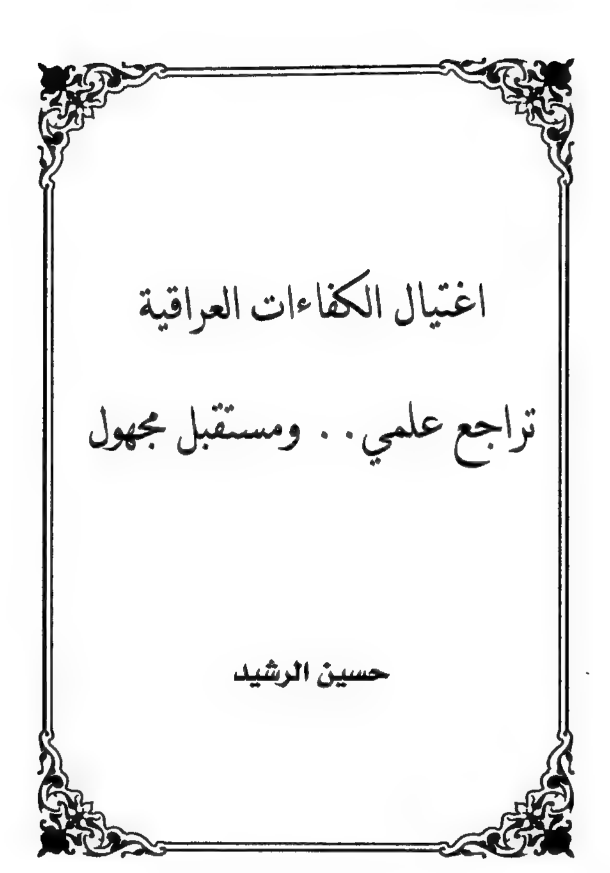
١٧- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ب.ت.

المجلات والأبحاث:

١-أثر الاحتلال الأمريكي على هوية العراق العربية، أ.د. حميد شهاب أحمد، كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد.

٢- قصة العامية في العراق: تاريخها وواقعها، الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد - العراق.

٣-مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد (١٦)، ١٩٩٨م.



اغتيال الكفاءات العراقية

تراجع علمي . . ومستقبل مجهول

حسين الرشيد

اغتيال الكفاءات العراقية
تراجع علمي لجج ومستقبل مجهول

حسين الرشيد[1]

مدخل عام

شَهِد العراق الجريح تراجعاً علمياً وانتكاسة كبيرة لم يشهدها تاريخه أبداً، في ظل التدهور الأمني الذي يلف البلاد بسبب تداعيات الاحتلال الأمريكي في إطار الممارسات الهمجية التي تمارسها تلك القوات؛ إذ بات الكادر الأكاديمي والتدريسي في العراق ممزقاً بين واجباته العلمية وبين طلقة غادرة تودي بحياته.

وإذا كانت المقولة المشهورة تؤكد بأنّ العلماء والمتعلمين هم رأس المال الذي لا ينضب لكل أمة؛ فإنّ هؤلاء العلماء يمثلون حقاً ثروة لا يمكن ضياعها أو الاستهانة بها؛ لأنها السبب الأهم في تخريج الكوادر البشرية المتعلمة التي تُحيي المجتمع وتبث الروح بين أبنائه.. ومن هنا كان من الأهمية بمكان دراسة هذه القضية، وحقيقتها، وأسبابها، وتداعياتها، ومعرفة الجهة التي تقف وراءها، وسبيل الخروج منها، ووضع حداً لهذه الظاهرة الخطيرة التي استشرت في المجتمع العراقي منذ أن وطأت أقدام الغزاة ثرى بلاد الرافدين.. وإذا اتضح ما تقدم فإنني أود التأكيد على أنّ جزئيات هذا الموضوع من خلال التركيز على المسالك الآتية:

[1] كاتب وإعلامي عراقي، مدير تحرير مجلة حضارة.

المسلك الأول
حقيقة اغتيال الكفاءات العلمية

أضحى العراق منذ احتلاله مسرحاً لعمليات قتـل واغتيـالات واسـعة وممنهجة، ومسلسل للتصفيات استهدف عدداً كبيراً من شخصياته العلميـة في شتى الاختصاصات كما سيأتي بيانه.

لكن ظاهرة اغتيال علماء العراق باتت متنامية بشكلٍ متسارع، سـاهم في تفاقمها حالة الانفلات الأمني والفوضى التي تشهدها البلاد، والذي يظهـر أنَّ هذه الاغتيالات جزءاً من استراتيجية الفوضى المنظمة التي يتبعها الاحتلال منذ غزو العراق واحتلاله؛ لتطويع العراقيين وإخضاعهم[1].

المسلك الثاني
أثر الاغتيال في التراجع العلمي

إذا أردنا الحديث عن هذا الجانب فإننا نتكلم عنه وفق النقاط الآتية:

أولاً: الأساتذة والعلماء الذين تم اغتيالهم: تنوعت أشكال الشخصيات التي تم اغتيالها من قبل العصابات المجرمة، فقد اغتيـل ذوو التخصـصات العلميـة والأكاديمية والأدبية والشرعية والثقافية والاستشارية وغيرها.. وتشير التقـارير أنه يتضح من هويات المقتولين أن الأمر لا يدخل ضمن نطاق الانتماء الطائفي أو الحزبي[2]، كما يأتي في إطـار التخصـصات المتنوعـة؛ فـالمقتولون ذوو

---

[1] ينظر: اغتيال العقول العراقية الأهداف والخلفيات، للأستاذ سلمان بو نعمان، مقالة منشورة علـى شبكة الإنترنت.

[2] لكن رابطة التدريسيين الجامعيين في العراق أكدت أن أمر الاغتيال كان قد اتخذ اتجاهين، ففي بداية بروز هذه الظاهرة لا يشك أحد أن طائفة ما بعينها كانت مستهدفة، وغالباً مـا تتـهم تلـك الشخصيات العلمية التي تم اغتيالها بسبب انتمائها السابق، وأغلبهم من رؤساء الجامعات، وعمداء

اختصاصات متنوعة من الجيولوجيين والأطباء والمعلمين والمهندسين والزراعيين والمؤرخين والجغرافيين وعلماء الشريعة واللغة والاقتصاد والسياسة والاجتماع والإعلام وغيرهم[1].

وتشير التقارير التي أعدتها مؤسسات تُعنَى بشؤون التعليم العالي: أنَّ ما يقرب من ٨٠% من عملية الاغتيال استهدفت العاملين في الجامعات العراقية، ويحمل أكثر من نصف القتلى لقب (أستاذ ـ بروفسور) أو (أستاذ مساعد)، وأكثرُ من نصف الاغتيالات وقعت في جامعة بغداد، ثم البصرة، ثم الجامعة المستنصرية، ويحمل ٦٢% من المقتولين شهادة الدكتوراه، وثلثهم مختص بالعلوم والطب، وما يقرب من ١٧% منهم أطباء[2].

فعلى سبيل المثال اغتيل من علماء الجيولوجيا الأستاذ الفاضل الدكتور عصام الراوي عضو هيئة علماء المسلمين في العراق، ومن علماء الطب اغتيل الدكتور محمد عبد الله الراوي عميد كلية الطب بجامعة بغداد[3]، ومن علماء الهندسة الكيميائية اغتيل الدكتور غالب الهيتي الأستاذ بجامعة بغداد، ومن علماء الرياضيات الكبار اغتيل بروفسور الرياضيات عبد السميع الجنابي عميد كلية

الكليات، وممن كان لهم وجود وثقل في التعليم العراقي.. أما والأحداث قد تطورت فقد انحى الأمر منحى آخر وأصبح كل أستاذ مستهدف مهما كان توجهه أو طائفته.. وهذا ما أكد عليه الدكتور عصام الراوي رحمه الله في مقابلة مع قناة الجزيرة القطرية بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٥م.

(١) موقع صحيفة الرياض على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢١م.

(٢) ينظر : موقع مركز عمّان لحقوق الإنسان على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٣م، ومؤسسة الإمارات للإعلام العدد (٤١٣) بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٨م.

(٣) ولعلها أول عملية تم من خلالها البدء بتصفية أطباء العراق، واتهم بتنفيذها جهاز الموساد الإسرائيلي آنذاك.

العلوم بالجامعة المستنصرية طعناً بالسكين، وفي مجال الفيزياء اغتيل الأستاذ الدكتور مجيد حسين علي الأستاذ في جامعة بغداد والمتخصص في مجال بحوث الفيزياء النووية وبمجال الطرد الذري، ومن علماء القانون اغتيل الدكتور منتظر الحمداني معاون عميد كلية القانون بالجامعة المستنصرية[1]، ومن علماء التربية وعلم النفس اغتيل الدكتور حارث عبد الحميد مدير قسم البحوث التربوية والنفسية بجامعة بغداد[2]، ومن أساتذة الإعلام الكبار اغتيل الأستاذ الدكتور عبد الرزاق النعاس أستاذ الإعلام بجامعة بغداد، ومن علماء الجغرافيا اغتيل الأستاذ الدكتور هيثم عباس الراوي، وغيرهم كثير جداً.

ثانياً: **أهداف الاغتيال**: هناك أهداف عديدة تقف وراء اغتيال الشخصيات والكفاءات العلمية في العراق حسب الجهة التي تقف وراء تلك العمليات، غير أنها بمجموعها لا تتعدى واحدة من الأهداف التي سنشير إليها.. وأهمها:

(١) إضعاف البلاد وحرمانها من طاقاتها البشرية، ولعلّ المحتل هو أول من عمل على ذلك، وهنا يقف أمام أعيننا ذلك الموقف الذي قامت به (مادلين أولبرايت) قبيل بدء الحرب على العراق حينما التقت بالعاهل المغربي (الحسن الثاني) وطلبت منه أربعة إلى خمسة الآف عالم عراقي أراد الأمريكيون اللقاء بهم وتسهيل خروجهم إلى خارج العراق، أو إعطائهم اللجوء السياسي في بلدان مختلفة.. وهذه ـ والله أعلم ـ أحد أسباب الحرب على العراق، فالحروب تُشنُّ لتدمير القدرة العسكرية أولاً، ثم لتدمير إرادة الخصم، وكما

---

[1] ينظر : موقع أصوات العراق على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٤م.

[2] ينظر : المصدر السابق.

نذكر قد قيل كثيراً في الصحافة الأمريكية والغربية أنّ العراق صحيح أنه لم يعد يمتلك أسلحة دمار شامل وبرامج تصنيع عسكري، ولكنه قادر أن يبدأ هـذه الصناعة متى شاء؛ لوجود هؤلاء العلماء، ولذلك يستهدف اليوم بشكل مخصوص علماء الفيزياء والكيمياء والمهندسين وكل الطاقات النادرة في البلد[1].

(٢) تحقيق الرغبات والأجندات الخارجية والإقليمية لصالح بعض الدول المعادية للعراق.. وتشير التقارير أن لبعض الدول المجاورة للعراق، والتي لها ارتباط وثيق ببعض الأحزاب الحاكمة الآن في العراق، ضلوع تام للحيلولة دون التقدم العلمي في البلد، نتيجة صراعات ماضية، وهي تعمل وفق مخطط سري للنيل من حلقات التعليم في العراق بكافة أشكاله، والكل سمع بتلك العملية التي طالت أرواح الأبرياء في الجامعة المستنصرية قبل ما يقرب من ثلاثة عقود من الزمن، إذ امتزجت دماء الطالب والطالبة الذين تم اغتيالهما في أثناء التجمع الطلابي لطلاب الجامعة المستنصرية في ١٩٨٠/٤/٣م بعد أن ألقى أحد الأشخاص قنبلتين على هذا التجمع فاغتال طالباً وطالبة، ليكونوا شهداء في طريق العلم والمعرفة[2].

(٣) سهولة تحقيق المقاصد التي تهدف إلى بث روح الضعف العلمي بين الطلبة العراقيين.

(٤) العمل على تحقيق الغايات المبطنة من خلال تغيير بعض المناهج العلمية، أو

---

[1] وقد توسع الأستاذ عبد الأمير علوان في هذه النقطة كثيراً في لقاء له على قناة الجزيرة الفضائية بعنوان (اغتيال العلماء وأساتذة الجامعات العراقية) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٥م.

[2] ينظر: تفصيل الحادثة في موقع جريدة المحرر على الإنترنت العدد (٢٤١) السنة الخامسة عشرة.

تحقيق ما يسمى بـ(أمركة الجامعات العراقية).

(٥) العمل على تعثر العملية العلمية والتربوية العراقية، لغرض تحقيق مقصد الافتقار لدى الجامعات العراقية بعد هجرة علمائها وأساتذتها.

(٦) اضطراب الأجواء الجامعية، وازدياد الصراعات الشخصية والطائفية، وتحقيق الغايات التي تهدف للسيطرة على أكبر عدد من الجامعات العراقية.

(٧) العمل على تدمير الحضارة والثروة العراقية من خلال استهداف عقوله، والتصفية المنهجية لإمكانيات العراق، والعمل على إنهاء دوره كقوة استراتيجية في المنطقة.

ثالثاً: أسباب الاغتيال: كثيراً ما تأتي أسباب الاغتيال كنتيجة لتحقيق الأهداف التي يتم اغتيال العالم أو الأستاذ بسببها، وقد تطرقنا إليها قبل قليل.. ولكن قد تحصّل لديَّ بما لا يقبل الشك أنَّ اغتيال أكثر العلماء غالباً ما يجيء نتيجة للأسباب الآتية:

(١) الخطاب السياسي للأحزاب المختلفة، وفي مقدمتها الأحزاب التي تتبنى المشاريع الطائفية، مما أدى إلى التخندق الطائفي، لتنتقل تلك العدوى إلى جامعات العراق، بسبب تصرفات الأساتذة وانتقام بعضهم من البعض الآخر، على حساب الكفاءة والمسيرة العلمية.

(٢) إفراغ العراق من عقوله ومفكريه التي هي أساس تقدمه وتطوره، في حملةٍ مشبوهةٍ وإبادة جماعيةٍ للعقول العراقية متوخيةً تخريباً شاملاً لكافة المؤسسات العلمية والتربوية.

(٣) هذا بالإضافة إلى أمر مهم وهو محاولة منع الدول الأخرى من الاستفادة من خبرات العلماء العراقيين؛ لأن جهات عديدة خارجية وبعضها داخلية

تدرك القيمة العلمية التي يتمتع بها علماء العراق، خاصة وأنّ تلك الأفكـــار لا تخدم مشاريعهم التوسعية ومصالحهم في المنطقة[1].

ولكن مع كل هذا فإنه من الممكن أن تكون هناك أسباب مباشرة وآنية ربما تكون سبباً لانتقال الأستاذ من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة في العراق الجديد!! دون أدنى مراعاة لحرمة هذا الرجل الذي قضى عمره، وأفنى شـــبابه لتخـــريج كواكب من المتعلمين، ومن تلك الأسباب المباشرة على سبيل المثال لا الحصر:

١. **اعتراض الأستاذ على بعض التصرفات أو إنكارها:** فقـــد يـــصادف أن ينكر أستاذ من الأساتذة أمراً ما يحدث في جامعته، فلا تجده إلا مقتولاً بعد يوم أو يومين، كما حدث للأستاذ موسى سلوم _عميد كلية التربية في الجامعـــة المستنصرية_ عندما زجر طالباً بعد اعتدائه على بعض الأساتذة، فوجد مقتولاً بعد أيام، وكما حدث أيضاً لعالم الرياضيات الدكتور عبد الـــسميع الجنـــابي عميد كلية العلوم بالجامعة المستنصرية عندما أراد تطبيق قـــرار وزارة التعلـــيم العالي الذي يقضي بمنع استخدام الجامعات كمنابر للطائفية[2] ووجد بعـــدها مقتولاً بسكين، ومرمياً على قارعة طريق ببغداد.

٢. **الانتقام من الأستاذ بسبب عدالته في إعطاء علامات النجاح أو الفشل:** وهذا من أهم أسباب قتل العلماء، بمعنى أن الأستاذ مضطر لأن يتعامـــل مـــع طلابه على وفق جهودهم وكفاءتهم وتميزهم ونشاطهم العلمي، مما يـــستدعي تفاوت درجات الطلبة بين نجاح أو فشل.

---

[1] ينظر : اغتيال العقول العراقية، للأستاذ سلمان بو نعمان، مقالة على الإنترنت.

[2] ينظر تفصيل الحادثة في : جريدة الاتجاه الآخر، وموقعها على الإنترنت .

وفي العراق اليوم أصبح ردود فعل الطالب عند فشله في الاختبارات أو الامتحانات هو قتل أستاذه، وقد حدث هذا أكثر من مرة، بل إنَّ بعض الطلاب هددوا أساتذتهم بالقتل، مما خلق أزمة كبيرة بين الطالب وأستاذه!!.

وقد أفصح بعض الأساتذة عن وجود مليشيات طلابية تعمل في الجامعات العراقية.. قال الدكتور ناجي محمود: ((إنَّ بعض الطلبة صاروا يشكّلون مليشيات خاصة بهم، ويهددون الأساتذة من خلال بيانات يلقونها في غرفهم... وأضاف: إننا نعيش في حالة انهيار علمي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى))[1]. وقد تكون هناك أسباب أخرى؟.

رابعاً: عوامل نشوء حالة العنف في الجامعات العراقية: لابد أنَّ هناك عوامل مؤثرة تقف وراء حالة العنف التي تشهدها الساحة العراقية اليوم، وانعكس بصورة مباشرة على الجانب العلمي، تبعاً للتطورات السياسية والأمنية، ولعلي أستطيع إرجاع عوامل نشوء حالة الفوضى والعنف الذي يعم الجامعات العراقية إلى أمرين هما:

(١) التشدد الطائفي وممارسة دوره في أروقة الجامعات

الحقيقة أن هذا العامل كان له أثره في أحداث حالة من الفوضى، ومزيد من الإرباك، وقد يجد الباحث في هذه النقطة تحديداً كثيراً من الأمثلة، فالاعتراض على إقامة الشعائر الدينية في الجامعات العراقية اليوم سبّب الخوف والرعب لدى التدريسيين، ويؤكد بعض الطلاب بأن الثقافة في الجامعات اليوم تحولت إلى ثقافة عنف، وسماها بعضهم بـ((ثقافة المليشيات))، ويعود السبب في ذلك

---

[1] ينظر : موقع ميدل ايست أون لاين، على الإنترنت ٢٠٠٦/٨/٣١ م .

إلى تأصيل جذور الفكرة المذهبية في عقول الطلبة، خاصة وأنّ كثيراً منهم ممن هم في سنّ المراهقة أو ما زالوا على أطرافها، وغالباً ما تسهل استثارة من هو بهذه السنّ، مما يدفعهم للدخول في الحماسة الدينية أو المد التكفيري، ومن ثم يطغى سلوكهم العنفي على مشهد الجامعة، ولعل هذا الأمر يتجلى في أوج تلك الشعائر الدينية التي تمر مناسباتها، فعلى سبيل المثال: تشهد الجامعة المستنصرية التي تسيطر عليها المليشيات إغلاقاً كاملاً لقاعات التدريس، وإقامة الاحتفالات الدينية، ذات الطقوس المعروفة كلما مرت مناسبة ما، مما يدخل تحت توجه تلك المليشيات المسيطرة، ولعلّ التدخل المباشر من قبل بعض المرجعيات هو السبب المباشر وراء بعض حالات العنف الذي تشهده الجامعات[1].

(٢) سيطرة الأحزاب السياسية على حرم الجامعة

وهذا أمر واضح للعيان، بل يعد من ألف باء الوضع العراقي الذي لا يكاد يخفى على أحد مطلقاً، فالأحزاب أرادت أن تكسب الشباب لصالحها وصالح توجهاتها، بما يخدم مصالحها، تحقيقاً لمآرب داخلية وخارجية، وهي تعرف أن ذلك لن يتم إلا بكسب أكبر عدد ممكن من الشباب وخاصة المثقفين منهم، فوجدت بغيتها في أروقة الجامعات العراقية؛ ساعدها في ذلك الفلتان الأمني، والتدهور الأمني المستمر، وبالتالي أشعل روح المنافسة بين الطلبة الذين تختلف

[1] لا يفتأ ممثلوا المراجع من زيارة الجامعات، فعلى سبيل المثال زار وفد من مكتب المرجع المدرسي الجامعة المستنصرية في ٥/٥/٢٠٠٥م ، وطلب الوفد من رئاسة الجامعة طلبات كثيرة فيها تدخل واضح في سير الدراسة والتعليم، تنظر هذه الأمور مفصلة على الموقع الالكتروني للمدرسي بعنوان ((وفد مكتب المرجع المدرسي في بغداد يزور الجامعة المستنصرية)).

توجهاتهم وأفكارهم بطبيعة الحال، فزاد الطين بلةً، لتصبح الجامعات مكاناً لتصفية الحسابات السياسية لصالح الأحزاب والتيارات، والضحية هو حياة الأستاذ أو مستقبل الطالب.

خامساً: الإحصائيات المعدة حول العلماء الذين تم اغتيالهم: إنَّ ما يتعرض له العلماء في العراق يعد نوعاً من الإبادة الجماعية المدبرة لإفراغ هذا البلد من طاقاته، وإفقار أهله من علمائه وخبرائه، ولذلك يتعرض بلد الرافدين اليوم إلى استنزاف رهيب لعقول أبنائه، كل هذا حدا بالصحفي البريطاني المشهور (روبرت فيسك) أن يكتب مقالته الشهيرة (يشعر منتسبو الهيئات التدريسية في جامعات العراق وجود مخطط لتجريد العراق من علمائه وأكاديمييه؛ لاستكمال تدمير الهوية الثقافية للعراق في أعقاب احتلاله عام ٢٠٠٣م)[1]، وذكرت تقارير[2] أعدها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية مقتل أكثر من (٢٠٠) أستاذ جامعي منذ الغزو الأمريكي للعراق في ٤/نيسان/٢٠٠٣م، أما الأساتذة الذين غادروا البلد بسبب مخاوفهم فقد تجاوز (٣٠٠٠) أستاذ جامعي وأكاديمي، ونقلت صحيفة الرياض[3] إلى أنَّ الذين تمت تصفيتهم من الأساتذة الجامعيين العراقيين بلغوا (٢٥٠) أستاذاً جامعياً، واختفى منهم مئات، وهرب عدد كبير يقدر بالآلاف.. بينما تؤكد رابطة التدريسيين الجامعيين على أن العدد وصل إلى (٢٦٨) أستاذاً بينهم (١٨٢) أكاديمياً، منهم (١٥٠) ممن يحملون شهادة الدكتوراه، ويحتل قسم كبير منهم مواقع مسؤولية أكاديمية

[1] موقع صحيفة الرياض على الإنترنت بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٦م.

[2] موقع صحيفة الحياة على الإنترنت بتاريخ ٦/١٢/٢٠٠٦م.

[3] في عددها الصادر بتاريخ ٢١/٢/٢٠٠٦م.

متقدمة، وأشارت إحصائيات أخرى رسمية أنّ ما يقرب من ألف عراقي لقوا مصرعهم في عمليات اغتيال، استهدفت الكوادر العلمية والثقافية والفنية خلال سنة واحدة أعقبت الاحتلال[1]، بينما أكد تقرير أمريكي بأن جهاز الاستخبارات الخارجية الصهيونية (الموساد) بالاشتراك مع قوات الاحتلال الأمريكي في العراق تمكن حتى الآن من قتل (٣٥٠) عالماً عراقياً، وأكثر من (٢٠٠) أستاذاً جامعياً في المعارف العلمية المختلفة[2]، وفي إحصائية نشرتها جريدة المركز الدولي لرصد الانتهاكات في العراق بأنّ نحو (٥٠٠) عالماً عراقياً قد تم اغتيالهم على أيدي مجهولين وفق قائمة معدّة سلفاً تضمُ أكثر من (١٠٠٠) عالم عراقي، ويبدو أنّ هناك عدداً كبيراً من الأساتذة تم اغتيالهم يفوق كل هذه التقارير والإحصائيات التي نقلناها، وذلك للأسباب الآتية:

(١) عدم وضوحها ودقتها في الإحصاء، فأغلبها يشير إلى إحصاء في فترة محددة من الزمن.

(٢) إن كثيراً من الإحصائيات ينقصها الدقة في إحصاء الأساتذة الذين يتم اغتيالهم في المناطق التي تشهد توتراً أمنياً ملحوظاً، وخاصة المناطق الغربية من العراق، كمحافظة الأنبار مثلاً، التي تضم الرمادي والفلوجة وحديثة وراوة وهيت والبغدادي والقائم وغيرها، والسبب هو عدم قدرة القائمين على الإحصائيات من تغطية هذه الأعداد أو الاعتماد على المؤسسات التعليمية أو

---

[1] ينظر: جريدة الزمان العدد (١٧٦٣) بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٢م، وينظر : مجلة المجتمع العدد (١٦٥٥) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/١١م.

[2] ينظر : مقالة اغتيال العقول العراقية الأهداف والخلفيات، على شبكة الإنترنت.

التربوية فيها؛ بسبب إغلاقها بالكامل[1].

سادساً: تداعيات الوضع الأمني على الجامعات العراقية: هناك جملة من التداعيات التي أفرزهما الواقع الأمني المتردي على الواقع التعليمي في العراق بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م نتيجة للتخبط السياسي والتدهور الأمني الذي شهدته الساحة العراقية.. ولعلَّ أهمها يتمثل بأمرين مهمين، هما:

(١) إجبار الطالب على التفكير بتأجيل الدراسة أو تعليقها، حيث أدرك عدد كبير من الطلبة أنَّ الموت سيحصد أرواحهم على أيدي قوات الاحتلال والمليشيات الطائفية والعصابات الإجرامية الطائفية، وتحدث جمع غفير من الطلاب عن تفكيرهم بتأجيل الدراسة عاماً كاملاً، آملين أن يتحسن الوضع الأمني في العام الذي بعده ليواصلون مسيرتهم الدراسية.

(٢) عدم انتظام الدوام بصورة صحيحة وفق جدول المحاضرات المطلوب، فالخوف من عمليات القتل والخطف جعلت الدراسة في الجامعات غير منتظمة، وتشير مصادر جامعية متعددة إلى أن معظم طلبة المراحل الأولى لم يلتحقوا بصفوفهم بعدما طالت الاغتيالات العشرات من الأساتذة والطلبة[2].

سابعاً: الجهات التي تقف وراء اغتيال الأساتذة والعلماء: هناك جهات

---

[1] على سبيل المثال ((جامعة الأنبار)) التي تضم ما يزيد على عشرة كليات أغلقت فترة من الزمن أو انعدم الدوام في بعض كلياتها على الأقل؛ بسبب التوتر الأمني الذي تشهده المحافظة، وبسبب الحواجز الأمنية التي تقوم بها قوات الاحتلال، حيث أقامت آنذاك نقطتين لتفتيش الطلاب بين كل نقطةٍ وأخرى ٥٠٠ متر تقريباً، ولا يستطيع الطالب الدخول إلا عبر هذا المنفذ الوحيد، بالإضافة إلى اتخاذها لعدد من أبنية الكليات مقراً عسكرياً لها.

[2] ينظر : موقع جريدة الحياة على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٦م.

عديدة من مصلحتها إيقاف عجلة العلم والتعلم والثقافة والمعرفة والوعي العلمي في العراق، فهي تسعى جاهدة لإرباك المسيرة التعليمية من خلال استهداف العقول والكفاءات العراقية.. وعلى أية حال فإنّ من أهم هذه الجهات التي تقف وراء استهداف الكفاءات هي:

(١) **قوات الاحتلال**: وقد قامت باغتيال عدد من الأساتذة الجامعيين والعقول العراقية المؤثرة في الساحة؛ نقمة منها على الدور الذي يقوم به هؤلاء المفكرون في بلاد الرافدين، وربما بفعل الوشايات الكاذبة التي تصلهم من بعض العملاء[1].

(٢) **التنظيمات الطائفية**: وأغلبها معروف بتبعيتها لتيارات إسلامية تشارك الآن في الحكومة الحالية، وهي تسيطر على بعض الجامعات العراقية، وهدفها الواضح والمعلن هو (تصفية الخصوم والمنافسين في جميع المجالات).. وهذا القسم يأخذ اتجاهين اثنين هما: أولاً: الأحزاب والتيارات الطائفية وثانياً: المليشيات الطائفية المسلحة وغالباً ما تكون هذه المليشيات تابعة لهذه الأحزاب والتيارات، وهؤلاء يقومون بالدور الأكبر في عمليات الخطف والاغتيال.

(٣) **عملاء خارجيون**: وهم تابعون لجهات خارج العراق، وكثير من هؤلاء تقف وراءهم بعض أجهزة المخابرات، وهدفهم إفراغ بلاد الرافدين من العقول والإمكانات التي يتمتع بها، وربما تقوم بمثل هذه الاغتيالات لردِ اعتبار أو ثأر من بعض العلماء الذين كان لهم تميز أو حسن أداء، بما لم يخدم تلك الدول التي

[1] ينظر : مقالة للدكتور أكرم المشهداني ((مسلسل تصفية علماء العراق إلى متى؟ ومن المسؤول)) مجلة المجتمع العدد (١٦٥٥) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/١١م.

ينتمي إليها هؤلاء العملاء[1].

(٤) **متشددون**: وهم لا يمثلون طرفاً في الساحة العراقية، وقد يقتلون أيَّ أستاذ جامعي أو غيره بمجرد توجيه التهم بناءً على الشبهة التي قد يستندون إليها.

(٥) **جهات تستهدف الأساتذة الجامعيين السابقين** (في النظام السابق) وقد تكونت جهات مهمتها اغتيال الأساتذة الذي يتهمون بقربهم من الحكومة السابقة.

(٦) **عصابات نفعية (ابتزازية)**: تبتغي من عملها الحصول على المال من خلال مطالبتهم بفدية مالية لغرض الإفراج عن المخطوف، وغالباً ما تحصل على المال ولا تنفذ وعدها بإطلاق سراح المخطوف، لتقتله وتطرحه جثة هامدة في طرق بغداد، وقد تنفذ وعدها وتطلق سراح المخطوف.

ثامناً: كيفية الخروج من مأزق ظاهرة الاغتيال: مما لا شك فيه أن مثل هذا الأمر ليس بالسهل، فهو يتطلب عملاً مكثفاً ودؤباً ويحتاج إلى مواصلة الجهود وتضافرها حتى تؤتي ثمارها في الحل الناجع لهذه الأزمة، خاصة وأن هناك جهات متعددة تعمل على القيام بهذا الوباء الذي ابتليت به بلاد الرافدين.. وتعاملنا مع الواقع يفرض علينا وضع حلول مناسبة، لا تقفز على الواقع بحيث يمكن لها أن تسهم بشكل ملحوظ في تخفيف دواعي هذه الظاهرة الغريبة،

---

[1] تشير التقارير إلى أن للموساد الإسرائيلي ما يقرب من (٥٠٠٠ الآف) عنصر يعملون في العراق، كما إنَّ المدن العراقية ــ وخاصة العاصمة والجنوبية منها ــ تضم ما يقرب من ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف عنصر إيراني دخلوا العراق بهويات مزورة، وقسم كبير منهم دخلوا مع الأفواج غير المنتظمة بحجة زيارة المراقد الدينية، حسبما تشير التقارير. ينظر : مجلة المجتمع العدد (١٦٥٥) بتاريخ ٢٠٠٥/٦/١١م.

وأرى أن الحلول يجب أن تمر بعدة مراحل:

(١) التذكير بالمبادئ الإسلامية النبيلة والقيم الأصيلة والأخلاق الفاضلة التي تدعوا إلى احترام نفوس الآخرين وحرمة إزهاقها بغير حق، وهذا المبدأ يمكن أن تعمل عليه الهيئات الإسلامية والمرجعيات الدينية من علماء الدين وخطباء المساجد وغيرهم.

(٢) إحكام سيطرة الدولة على الملف الأمني في البلاد بصورة حقيقية غير دعائية، والتعامل مع كل القوى التي تريد خلق الفتنة في البلاد بصورة عادلة في ضرورة إيقافها عند حدها، والعمل على إنهاء العنف في البلاد.

(٣) العمل على نشر ثقافة احترام الرأي والرأي الآخر مهما كان نوعه، وضرورة تقبل الآراء واحترام وجهة نظر أصحابها، دون الاحتكام إلى القتل أو إزهاق الأرواح.

(٤) اقتناع السياسيين بمفهوم استقلالية الجامعات والحرية الأكاديمية ومراجعة موقفها من حرية الفكر والتعليم الجامعي، والعمل على إبعاد ممثلياتهم المعلنة وغير المعلنة من حرم الجامعات وإداراتها.

(٥) إعادة النظر في إقحام السياسة أو التوجهات الطائفية المتطرفة داخل أروقة الجامعات العراقية.

(٦) تجنيد كافة الوسائل الإعلامية لخدمة مشروع تأهيل الجامعات وإعادة حيويتها في الإطار العلمي والفكري بعيداً عن السياسة وتداعياتها، والعمل على تحذير المؤسسات والجمعيات التي تهتم بحماية العالم والأستاذ العراقي لأن تأخذ

دورها في القيام بواجبها على الوجه الأكمل دون مضايقات[1].

(٧) هذا بالإضافة إلى خطوات عملية أخرى يمكن أن يكون لها تأثير واضح في التقليل من تلك العمليات، كالعمل على إسكان الأساتذة في بيوت قريبة من جامعاتهم، وتشديد الحماية على حرم الجامعات من قبل حراس نظيفين ليس لهم ارتباط بأي جهة حزبية أو طائفية[2]، وكذلك الطرق المؤدية إلى تلك الجامعات.

(٨) هذا فضلاً عن مطالبة الجمعية الدولية لحماية علماء العراق الحكومة الحالية توفير الحراس الشخصيين للأساتذة الكبار بما لا يقل عن حارسين في ظل هذا الوضع المتدهور وإلى حين استتباب الأمن في البلاد[3].

---

[1] من الجدير بالذكر أن هناك عدة مؤسسات دولية وعراقية تأسست من أجل العمل على حماية الأساتذة الجامعيين العراقيين أو محاولة ذلك على الأقل، فمن أهم الجمعيات الدولية هي (اللجنة الدولية لحماية علماء العراق) ومقرها في باريس، ويرأسها الدكتور قيس العزاوي، أما المؤسسات العراقية فأهمها (رابطة التدريسيين الجامعيين) ومقرها في بغداد، وقد تأسست في حزيران عام ٢٠٠٣م متكونة من آلاف العلماء والتدريسيين، وكان يرأسها الأستاذ الفاضل الدكتور عصام الراوي رحمه الله تعالى وهو عضو مجلس الشورى في هيئة علماء المسلمين، وقد طالته هو الآخر أيدي الظلم والغدر، والرابطة لها جهود مباركة كونها قريبة من واقع الأساتذة وتتقاسم تلك المعاناة معهم، وأصدرت ما يقرب من خمسمائة نداء وبيان استغاثة لحماية الأساتذة الجامعيين.

[2] إنما نؤكد على ذلك لأن كثيراً من الحراس الأمنيين على بوابات الجامعات هم ممن لهم ارتباط واضح بتلك الأحزاب أو الميليشيات، بل هم في كثير من الأحيان من يقفون وراء عمليات الاغتيال أو الاختطاف. ينظر : موقع جريدة الرياض على الإنترنت تحت عنوان (دوامة القتل) بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢١م.

[3] جاءت مطالبة الأستاذ الدكتور قيس العزاوي رئيس اللجنة الدولية لحماية علماء العراق في مقابلة بثت على قناة الجزيرة في برنامج ما وراء الخبر بعنوان (النـزيف العلمي في العراق) بتاريخ ٢٠٠٦/٣/١٧م، وهي بنصها على موقع الجزيرة نت.

قائمة بالعلماء والأكاديميين العراقيين الذين طالتهم أيادي الغدر[1]

في كارثة أقل ما يقال فيها أنها تمثل أكثر مآسي القرن الحادي والعشرين، تم استهداف مجموعة كبيرة من العقول والأدمغة من مختلف الاختصاصات الذين يمثلون نخبة العراق المميزة التي كانت رأس مال العراق على مر عشرات السنين من العمل والعلم المتواصل، وهذه القائمة تحتوي على أسماء بعض مواكب الشهداء من علماء العراق الذين اغتيلوا منذ الاحتلال الأمريكي للعراق ولغاية تشرين الأول/ أكتوبر من عام ٢٠٠٨م.

ت	الاسم	الاختصاص	الجامعة	تاريخ الاغتيال
١	عالم عبد الحميد	أ.د في الطب الوقائي/عميد كلية الطب	البصرة	مجهول
٢	عباس كاظم الهاشمي	أ.د في العلوم الإنسانية	بغداد	مجهول
٣	عباس العطار	أ.د في الدراسات الإنسانية	بغداد	مجهول
٤	عبد المنعم عبد المؤيد	أستاذ محاضر	البصرة	مجهول
٥	عبد الغني السعدون	أستاذ محاضر	البصرة	مجهول
٦	عبد الحسين الجابوك	أ.د	بغداد	مجهول
٧	عبد الجبار التميمي	عميد كلية العلوم السياسية	الموصل	مجهول
٨	عبد السلام صباح	أ.د في علم الاجتماع	بغداد	مجهول
٩	عبد الكريم مخلف صالح	أ.د في اللغة العربية	الأنبار	٢٠٠٤/١٢/٥
١٠	عبد العزيز الأترجي	أ.د حماية النبات	الموصل	مجهول
١١	عبد العزيز جاسم	علوم إسلامية	بغداد	مجهول
١٢	عبد الهادي العاني	طبيب استشاري	غير معلوم	مجهول
١٣	عبد الرحمن سعيد	أ.د	غير معلوم	مجهول
١٤	عبد السميع الجنابي	أ.د /عميد كلية العلوم	المستنصرية	مجهول
١٥	عبد الجبار مصطفى	د. علوم سياسية	الموصل	مجهول
١٦	أحمد عبد الهادي الراوي	د. علوم التربة	الأنبار	مجهول
١٧	أحمد عبد الرحمن	أ.د كلية الطب	الأنبار	٢٠٠٥/٢/٢٦

(1) تم جمع هذه القائمة إستناداً إلى مواقع رسمية وغير رسمية ومن على شبكة الإنترنت.

	الكبيسي			
١٨	أحمد عبد الرازق	أ.د كلية الطب	غير معلوم	مجهول
١٩	زكي ذاكر العاني	أ.د كلية الآداب	المستنصرية	٢٠٠٥/٨/٢٦
٢٠	عقيل عبد الجبار البهادلي	أ.د/معاون عميد كلية الطب	النهرين	مجهول
٢١	علي عبد الحسين كامل	أ.د في الفيزياء	بغداد	مجهول
٢٢	علي المالكي	د. في القانون/ مدير دائرة الضريبة	بغداد	٢٠٠٤
٢٣	عامر الملاح	أ.د/مدير قسم الجراحة في المستشفى الجمهوري التعليمي	غير معلوم	٢٠٠٤/١٠/٣
٢٤	أمير مزهر الدايني	أ. في هندسة الاتصالات	غير معلوم	مجهول
٢٥	عمار العاني	أ. د في الطب	غير معلوم	٢٠٠٥/١٠
٢٦	عزيز علي	أ.د / عميد كلية الحقوق	غير معلوم	مجهول
٢٧	باسل الكرخي	أ.د في الكيمياء	بغداد	مجهول
٢٨	بسام كبة	مستشار في وزارة الخارجية	غير معلوم	مجهول
٢٩	عماد سرسم	أ.د في جراحة العظام والكسور عميد كلية الطب سابقاً	غير معلوم	مجهول
٣٠	فاضل طراد الياسري	مدير مدرسة في كربلاء	كربلاء	مجهول
٣١	محمد فلاح الدليمي	أ.د في الفيزياء/معاون عميد كلية العلوم	المستنصرية	مجهول
٣٢	فيصل الأسدي	أ.د في الهندسة الزراعية	البصرة	مجهول
٣٣	فيصل المشهداني	مؤسس الحملة الدولية ضد العدوان الصهيوني الأمريكي	مجهول	مجهول
٣٤	غالب لطيف	شيخ وأستاذ علوم إسلامية	ديالى	مجهول
٣٥	حافظ الحافظ	طبيب أطفال	مجهول	مجهول
٣٦	حيدر البعاج	مدير مستشفى البصرة التعليمي	بصرة	مجهول
٣٧	حيدر طاهر	أ.د كلية الطب	البصرة	مجهول
٣٨	هيثم عودة	نائب رئيس قسم الهندسة الكيميائية /جامعة البصرة	البصرة	مجهول
٣٩	حامد فيصل الفهداوي	أ.د في جامعة الأنبار	الأنبار	مجهول
٤٠	حازم عبد الهادي الطائي	أ.د في كلية الطب	بغداد	مجهول
٤١	هشام شريف	رئيس قسم التاريخ	بغداد	مجهول
٤٢	حسام الدين أحمد	عميد كلية التربية	المستنصرية	مجهول



٤٣	ابراهيم الرشيد	مدير عام في وزارة العلوم	مجهول	مجهول
٤٤	إحسان عبد علي الربيعي	أ.د معاون عميد كلية الطب	بغداد	مجهول
٤٥	إحسان كريم	مدير مكتب الرقابة المالية	مجهول	مجهول
٤٦	عماد نصير	كلية العلوم السياسية	المستنصرية	مجهول
٤٧	ايمان يونس	رئيسة قسم الترجمة	الموصل	مجهول
٤٨	عصام سعيد عبد الكريم	استاذ جيولوجي	مجهول	٢٠٠٤/١٠/١
٤٩	اسماعيل يوسف	أ.د نائب في محكمة الإستئناف	مجهول	مجهول
٥٠	جعفر صادق نجيب	أ.د في جراحة الأعصاب	مجهول	مجهول
٥١	جميل عبد	تعليمي ومدير مدرسة	مجهول	مجهول
٥٢	جاسم محمد	عميد كلية الآداب	بغداد	مجهول
٥٣	جواد الشكرجي	أ.د في الأمراض التناسلية	مجهول	مجهول
٥٤	محمد كمال الجراح	أ.د في اللغة النجليزية	وزارة التربية	٢٠٠٤/٦/١٠
٥٥	كريم غيث	أ.د في القانون	مجهول	مجهول
٥٦	كريم حساني	أ.د كلية الطب	البصرة	مجهول
٥٧	خالد ابراهيم سعيد	أ.د في الهندسة الفيزيائية	مجهول	مجهول
٥٨	خالد الجنابي	أ.د في التاريخ الإسلامي	بابل	مجهول
٥٩	كيلان محمود	أ.د عميد كلية الهندسة	البصرة	مجهول
٦٠	ليث عبد العزيز عباس	كلية العلوم	النهرين	مجهول
٦١	مجيد حسين علي	أ.د في الفيزياء وأحد العلماء الكبار في الطاقة النووية	بغداد	٢٠٠٤
٦٢	مكي الفرباوي	أ. جراح	مجهول	مجهول
٦٣	مروان الراوي	أ. في الهندسة	مجهول	مجهول
٦٤	مروان رشيد	أ.د نائب عميد كلية الهندسة	بغداد	مجهول
٦٥	مهند عباس الدليمي	أ. في الهندسة الميكانيكية	بغداد	مجهول
٦٦	محمد عبد الحسين واحد	أ. في السياحة /معهد الإدارة	بغداد	مجهول
٦٧	محمد عبد المنعم الأزميرلي	أ. في الكيمياء	بغداد	مجهول
٦٨	محمد الحكيم	أ.د عميد كلية الصيدلة	البصرة	مجهول
٦٩	محمد قاسم	أ.د في الهندسة	البصرة	مجهول
٧٠	محمد ياسين بدر	أ.د رئيس جامعة البصرة	البصرة	مجهول
٧١	محمد علي جواد	عميد كلية القانون	المستنصرية	مجهول
٧٢	محمد القيسي	أ. مُحاضر	بغداد	مجهول

٧٣	محمد فلاح الدليمي	أ.د في العلوم الفيزيائية/ معاون عميد كلية العلوم	المستنصرية	مجهول
٧٤	محمد منعم الإزميرلي	أ.د في الكيمياء	مجهول	٢٠٠٣
٧٥	محمد يعقوب العبيدي	مجهول	بغداد	مجهول
٧٦	محمد يعقوب الزيدي	أكاديمي	مجهول	مجهول
٧٧	مولود حسن	أ. كلية في الشريعة	الإمام الأعظم	مجهول
٧٨	مهند عباس خضير	أ.د في الهندسة الميكانيكية	بغداد	مجهول
٧٩	مهند الدليمي	أ. في العلوم	التكنولوجية	مجهول
٨٠	محي حسين	أ.د في الهندسة الديناميكية	التكنولوجية	مجهول
٨١	منير الخيرو	أ.د في القانون	الموصل	مجهول
٨٢	مصطفى المشهداني	أ.د في الدراسات الإسلامية	بغداد	مجهول
٨٣	نافع عبود	أ. في الأدب العربي	بغداد	مجهول
٨٤	نجم الياسري	تعليمي ومدير مدرسة	كربلاء	مجهول
٨٥	نزار عبد الأمير العبيدي	أستاذ	بغداد	مجهول
٨٦	نوئيل بطرس	أ.د في المعهد الطبي	الموصل	مجهول
٨٧	عمر فخري	أ.د في البايولوجي/كلية العلوم	البصرة	مجهول
٨٨	قصي تكريت	رئيس اتحاد الطلاب	الموصل	مجهول
٨٩	رعد أوخسن البينو	أ.د جراحة في كلية الطب	الأنبار	مجهول
٩٠	رياض خالد وليد	أ.د في هندسة الألكترونيات	مجهول	مجهول
٩١	سعد الربيعي	أ.د بايولوجي في كلية العلوم	البصرة	مجهول
٩٢	صباح هنام	دبلوماسي	وزارة الخارجية	مجهول
٩٣	صباح حاجم جابر	أ. في العلوم التقنية	البصرة	مجهول
٩٤	صباح هاشم	أ. في معهد الإدارة	البصرة	مجهول
٩٥	صادق البعاج	د. مدير المستشفى العسكري	الناصرية	مجهول
٩٦	صادق العبيدي	أ. في الأعصاب	مجهول	مجهول
٩٧	ساهرة محمد المشهداني	الجامعة التكنولوجية	بغداد	مجهول
٩٨	صلاح بندر	مدير ثانوية الكندي	مجهول	مجهول
٩٩	شاكر فلاح حسن	مهندس في غاز الجنوب	مجهول	مجهول
١٠٠	شاكر الخفاجي	أ.د مدير جهاز التقييس	مجهول	مجهول
١٠١	شاكر محمود جاسم	أ.د في الزراعة	الأنبار	مجهول
١٠٢	سهاد العبادي	أ. في الفيزياء	مجهول	مجهول
١٠٣	ثامر عبد اللطيف	مدير عام في وزارة العلوم	مجهول	مجهول
١٠٤	زنوبيا عبد الحسين	أ.د في الطب البيطري	البصرة	مجهول



١٠٥	وجيه محجوب	أ.د في التربية الرياضية	وزارة التربية	٢٠٠٣/٤/٩
١٠٦	خالد فيصل حامد	أ.د في التربية الرياضية	الموصل	٢٠٠٣/٤/١١
١٠٧	محمد فلاح علي	أ.د /معاون عميد كلية العلوم	المستنصرية	٢٠٠٣/٥/١٠
١٠٨	صباح محمود الربيعي	أ.د /عميد كلية التربية	المستنصرية	٢٠٠٣/٥/١٦
١٠٩	كساب جابر العطار	أ. محاضر في كلية الهندسة	البصرة	٢٠٠٣/٦/٨
١١٠	رافي سرميسيان	أ. محاضر في كلية التربية	بغداد	٢٠٠٣/٦/٩
١١١	محمد نجيب القيسي	أ.د في الجغرافية / قسم البحوث	المستنصرية	٢٠٠٣/٦/٢٠
١١٢	حسام الدين أحمد محمود	أ.د /رئيس قسم التربية	المستنصرية	٢٠٠٣/٧/١١
١١٣	محمد عبدالله الراوي	أ.د رئيس جامعة بغداد	بغداد	٢٠٠٣/٧/٢٧
١١٤	هيفاء علوان	أ.د في الفيزياء	بغداد	٢٠٠٣/٩/٧
١١٥	عبد الله الفضل	أ.د في الكيمياء	البصرة	٢٠٠٣/٩/٣٠
١١٦	أسعد سالم عبد القادر	أ.د /عميد كلية الهندسة	البصرة	٢٠٠٣/١٠/١٥
١١٧	عصام شريف محمد	أ.د في التاريخ	بغداد	٢٠٠٣/١٠/٢٥
١١٨	عبد الستار الدليمي	أ.د في الأحياء	بغداد	٢٠٠٣/١١/١
١١٩	عبد الوهاب سلمان	أ.د	مجهول	٢٠٠٣/١٢/٩
١٢٠	نافع محمود خلف	أ.د في اللغة العربية	بغداد	٢٠٠٣/١٢/١٣
١٢١	عادل جبار عبد	أ.د عميد كلية العلوم السياسية	الموصل	٢٠٠٤/١/١
١٢٢	محمد عبد الحسين وحيد	أ.د محاضر في معهد التكنولوجيا	بغداد	٢٠٠٤/١/٩
١٢٣	عبد اللطيف المياحي	أ.د في الإقتصاد	المستنصرية	٢٠٠٤/١/١٩
١٢٤	محمد يونس ذنون	أ. مساعد ومحاضر في التربية الرياضية	الموصل	٢٠٠٤/١/٢٧
١٢٥	حسين ياسين	أ.د في الفيزياء	البصرة	٢٠٠٤/٢/١٨
١٢٦	مجيد حسين	أ.مساعد في الطب	القادسية	٢٠٠٤/٣/١٠
١٢٧	مروان مظهر الهيتي	أ.د في الهندسة الكيميائية	بغداد	٢٠٠٤/٣/١٦
١٢٨	سعدي أحمد زيدان	أ.د في العلوم الإسلامية	بغداد	٢٠٠٤/٣/٢٦
١٢٩	علي غالب علي .	أ. محاضر في كلية الهندسة	البصرة	٢٠٠٤/٤/١٢
١٣٠	كفاية حسين صالح	أ.د في اللغة الانجليزية	البصرة	٢٠٠٤/٥/٢٦
١٣١	قحطان كاظم حاتم	أ.محاضر في كلية الهندسة	بغداد	٢٠٠٤/٥/٣٠
١٣٢	صابر مصطفى البياتي	أ.د في الجغرافية	بغداد	٢٠٠٤/٦/١٣
١٣٣	ليلى عبد الله سعيد	أ.د / عميد كلية القانون	الموصل	٢٠٠٤/٦/٢٢

١٣٤	فاضل موسى حسين	أ.د في الفيزياء	تكريت	٢٠٠٤/٦/٢٧
١٣٥	باسم المدرس	أ.د في الكيمياء	تكريت	٢٠٠٤/٧/٢١
١٣٦	سعدي داغر	أ.د في الفنون الجميلة	بغداد	٢٠٠٤/٧/٢٣
١٣٧	إسماعيل الكلابي	رئيس معهد المعلمين في المحمودية	بغداد	٢٠٠٤/٧/٣٠
١٣٨	عامر ابراهيم حمزة	أ. محاضر في تقنية الطاقة	بغداد	٢٠٠٤/٨/١٧
١٣٩	محمد صالح مهدي	أ.مساعد /مركز بحوث السرطان	بغداد	٢٠٠٤/٨/١٧
١٤٠	ايمان عبد المنعم يونس	أ.د في الترجمة	الموصل	٢٠٠٤/٨/٣٠
١٤١	محمود ابراهيم حسين	أ.د في البايولوجي	تكريت	٢٠٠٤/٩/٣
١٤٢	محمد تقي حسين	أ.د في الفيزياء النووية /عضو البرنامج النووي العراقي	مجهول	٢٠٠٤/٩/٤
١٤٣	زكي جابر لفتة	أ.مساعد في كلية الطب البيطري	بغداد	٢٠٠٤/١٠/١٦
١٤٤	خليل اسماعيل عبد الظاهر	أ.د في التربية الرياضية	بغداد	٢٠٠٤/١٠/١٧
١٤٥	قيضي القيضي	عضو هيئة علماء المسلمين	الموصل	٢٠٠٤/١١/٢٢
١٤٦	قاسم مهاوي حسين	أ.د/مدير عام شركة الإتصالات	وزارة الإتصالات	٢٠٠٤/١٢/١٦
١٤٧	موفق يحيى حمدون	معاون عميد كلية الزراعة	الموصل	٢٠٠٤/١٢/١٨
١٤٨	محفوظ القزاز	أ.د في التاريخ الإسلامي	الموصل	٢٠٠٤/١٢/٢٠
١٤٩	طالب ابراهيم الظاهر	أ.د /عضو البرنامج النووي العراقي	ديالى	٢٠٠٤/١٢/٢١
١٥٠	حسن عبد علي الربيعي	أ.د/عميد كلية طب الاسنان	بغداد	٢٠٠٤/١٢/٢٥
١٥١	عمر محمود عبدالله	أ.د في الصيدلة	مجهول	٢٠٠٥/١/٤
١٥٢	مدلول الباز	جامعة تكريت	تكريت	٢٠٠٥/١/٩
١٥٣	أحمد ناصر الناصري	أ.د في التربية	بغداد	٢٠٠٥/٢/١
١٥٤	أحمد سعدي زيدان	أ.د في التربية	الأنبار	٢٠٠٥/٢/١
١٥٥	حارث عبد الجبار	ماجستير علوم/فيزياء	تكريت	٢٠٠٥/٢/١٢
١٥٦	سيف زكي سعدي	أ.د	مجهول	٢٠٠٥/٢/١٧
١٥٧	وناس عبدالله النداوي	أ.د في التربية	بغداد	٢٠٠٥/٢/١٨
١٥٨	وعد عبدالله قادر	أ.د	الموصل	٢٠٠٥/٣/٢٩
١٥٩	ناطق صبري حسن	أ.د في الزراعة	الموصل	٢٠٠٥/٤/١٢

١٦٠	باسم حبيب سلمان	أ.د في الطب	المستنصرية	٢٠٠٥/٤/١٥
١٦١	حسام قرياقوس توماس	أ.د في الطب	المستنصرية	٢٠٠٥/٤/١٥
١٦٢	فؤاد ابراهيم البياتي	أ.د في اللغة الالمانية	بغداد	٢٠٠٥/٤/١٩
١٦٣	نايف سلطان صالح	أ.د في المعهد الدولي	الموصل	٢٠٠٥/٤/٢٦
١٦٤	رعد عبداللطيف السعدي	أ.د في اللغة العربية	وزارة التعليم العالي	٢٠٠٥/٤/٢٨
١٦٥	عبد الحسين ناصر خلف	أ.د في قسم البحوث الزراعية	البصرة	٢٠٠٥/٥/١
١٦٦	باسل عباس حسن	أ.د في أمراض القلب	مجهول	٢٠٠٥/٥/١
١٦٧	عبدالله صاحب يونس	مدير مستشفى النعمان	بغداد	٢٠٠٥/٥/١١
١٦٨	كاظم علوش	مدير مستشفى الكرامة	بغداد	٢٠٠٥/٥/١١
١٦٨	مصطفى محمد الهيتي	أ.د /عميد كلية الصيدلة	بغداد	٢٠٠٥/٥/١١
١٧٠	سامي أيمن	أ.د/أمراض خبيثة وعلاج الإدمان	مجهول	٢٠٠٥/٥/١١
١٧١	سنان مؤيد	مدير مستشفى الحمدانية	الموصل	٢٠٠٥/٥/١١
١٧٢	رضا رفعت أمين	د. في الطب	مجهول	٢٠٠٥/٥/١٩
١٧٣	قاسم محمد العمري	أ.د	بغداد	٢٠٠٥/٥/١٩
١٧٤	موسى سلوم الربيعي	أ.د/معاون عميد كلية التربية	المستنصرية	٢٠٠٥/٥/٢٧
١٧٥	عبدالستار صابر الخزرجي	أ.د في الهندسة	بغداد	٢٠٠٥/٦/١٩
١٧٦	جاسم العيساوي	أ.د في العلوم السياسية	بغداد	٢٠٠٥/٦/٢١
١٧٧	جمهور كريم خماس	د. في اللغة العربية	البصرة	٢٠٠٥/٧/٨
١٧٨	علاء داود سلمان	أ.د في التاريخ / مساعد رئيس جامعة البصرة	البصرة	٢٠٠٥/٧/١٨
١٧٩	ظامن حسين العبيدي	أ.د/عميد كلية القانون	تكريت	٢٠٠٥/٧/٢٣
١٨٠	مجبل عجاج الجبوري	أ.محاضر في كلية القانون	تكريت	٢٠٠٥/٧/٢٣
١٨١	حكيم مالك الزيدي	أ.محاضر في اللغة العربية	القادسية	٢٠٠٥/٧/٢٤
١٨٢	عبد الجبار عبد مصطفى	أ.د في العلوم السياسية	الموصل	٢٠٠٥/٧/٢٤
١٨٣	وسام الهاشمي	رئيس إتحاد الجيولوجيين العرب	مجهول	٢٠٠٥/٧/٢٤
١٨٤	هاشم عبد الكريم	أ.محاضر في كلية التربية	المستنصرية	٢٠٠٥/٨/٢٨
١٨٥	سامر يلدا جرجيس	أ.د/معاون عميد كلية الإدارة	المستنصرية	٢٠٠٥/٨/٢٨
١٨٦	زكي ذاكر العاني	أ.محاضر في كلية اللغات	المستنصرية	٢٠٠٥/٨/٢٨
١٨٧	عبد اللطيف الطائي	أ.د	بغداد	٢٠٠٥/٩/٥
١٨٨	محمد المشهداني	عضو مجلس الحوار	مجهول	٢٠٠٥/٩/١٩

١٨٩	مولود حسن التركي	أ.د/العلوم الإسلامية	كلية الإمام الأعظم	٢٠٠٥/٩/٢٥
١٩٠	عمران حامد	أ.محاضر	تكريت	٢٠٠٥/١٠/١٢
١٩١	جاسم الفهداوي	أ. محاضر في اللغة العربية	المستنصرية	٢٠٠٥/١١/١٥
١٩٢	محمد الجزائري	أ.د في الجراحة التجميلية	النهرين	٢٠٠٥/١١/١٥
١٩٣	رعد محسن مطر	أ.د في البايولوجي	بغداد	٢٠٠٥/١١/١٦
١٩٤	عامر الخزرجي	أ.د في الطب	بغداد	٢٠٠٥/١١/١٧
١٩٥	هيكل محمد الموسوي	أ.د في الطب	بغداد	٢٠٠٥/١١/١٧
١٩٦	رعد شلش	أ.د/رئيس قسم البايولوجي	بغداد	٢٠٠٥/١١/١٧
١٩٧	سعد ياسين الأنصاري	أ.د في العلوم التطبيقية	بغداد	٢٠٠٥/١١/١٧
١٩٨	كاظم طلال اللامي	أ.د/معاون عميد كلية التربية	المستنصرية	٢٠٠٥/١١/٢٣
١٩٩	عبد المجيد حامد الكربولي	أ.د	الأنبار	٢٠٠٥/١٢/١
٢٠٠	حامد فيصل	أ.محاضر في كلية القانون	الأنبار	٢٠٠٥/١٢/١
٢٠١	كاظم مشحوت عواد	أ.د/عميد كلية الزراعة	البصرة	٢٠٠٥/١٢/١
٢٠٢	محمد فتحي ماجد	مدير دائرة الطرق والجسور	تكريت	٢٠٠٥/١٢/٥
٢٠٣	فراس التميمي	أ.د في الطب	مستشفى الفلوجة	٢٠٠٥٨/١٢/١٣
٢٠٤	عمر ميران	أ.د	الموصل	٢٠٠٥/١٢/٢٣
٢٠٥	محسن سليمان العجيلي	أ.د في الزراعة	بابل	٢٠٠٥/١٢/٢٤
٢٠٦	نوفل أحمد حسن	أ.د في الفنون الجميلة	بغداد	٢٠٠٥/١٢/٢٥
٢٠٧	يوسف سلمان	أ.د في الهندسة	البصرة	٢٠٠٦
٢٠٨	عبدالله حامد الفضل	أ.د/معاون عميد كلية الطب	البصرة	٢٠٠٦
٢٠٩	ناصر عبدالكريم الدليمي	عضو المجمع التدريسي	الأنبار	٢٠٠٦/١/١٦
٢١٠	ناصر الفهداوي	أ.د	الأنبار	٢٠٠٦/١/١٦
٢١١	أثير هشام عبد الحميد	أ.د في الجراحة العصبية	مجهول	٢٠٠٦/١/٢٢
٢١٢	عبد الرزاق النعاس	أ.د في العلوم السياسية	بغداد	٢٠٠٦/١/٢٨
٢١٣	هيثم العزاوي	أ.د في العلوم الإسلامية	بغداد	٢٠٠٦/٢/١٣
٢١٤	عبد القادر ميران	أ.د	الموصل	٢٠٠٦/٢/١٤
٢١٥	فؤاد الدجان	أ.د في الطب	البصرة	٢٠٠٦/٣
٢١٦	سعد الشاهين	أ.د في الطب	البصرة	٢٠٠٦/٣
٢١٧	ياسين سليمان	أ.د في طب الأنسجة	الموصل	٢٠٠٦/٣/٢
٢١٨	علي حسين مهاوش	أ.د/عميد كلية الهندسة	المستنصرية	٢٠٠٦/٣/٩

٢١٩	فائز غني عزيز	مدير شركة الزيوت	بغداد	٢٠٠٦/٣/٩
٢٢٠	خليل إبراهيم	أ.د	البصرة	٢٠٠٦/٣/٢٠
٢٢١	قيس حسام الدين جمعة	أ.د	بغداد	٢٠٠٦/٣/٢٦
٢٢٢	كاظم زاهر الحياني	د. في علم النفس	المستنصرية	٢٠٠٦/٣/٢٧
٢٢٣	صلاح عبد العزيز هاشم	أ.د	البصرة	٢٠٠٦/٤/٥
٢٢٤	عبد الكريم حسين ناصر	أ.د في الزراعة	البصرة	٢٠٠٦/٤/١٠
٢٢٥	قاسم محمد الدايني	أ. محاضر في السايكولوجي	كربلاء	٢٠٠٦/٤/١٧
٢٢٦	ليث محسن	أ.د	ديالى	٢٠٠٦/٤/١٩
٢٢٧	سالم علي حسين	د.	ديالى	٢٠٠٦/٤/١٩
٢٢٨	بشار حسن	د. في الطب البيطري	مجهول	٢٠٠٦/٤/٢٢
٢٢٩	سلام حسين المهداوي	أ.د في التربية	ديالى	٢٠٠٦/٤/٢٦
٢٣٠	ميس غانم محمود	أ. محاضر في اللغة الإنكليزية	ديالى	٢٠٠٦/٤/٢٦
٢٣١	محسن حردان مظلوم	أ.د	ديالى	٢٠٠٦/٤/٢٦
٢٣٢	محمد عبد الرحمن العاني	أ.د في القانون	المستنصرية	٢٠٠٦/٤/٢٦
٢٣٣	ستار جبار	أ.محاضر في الطب البيطري	ديالى	٢٠٠٦/٤/٢٦
٢٣٤	حسين الشريفي	أ.د في الجراحة	بغداد	٢٠٠٦/٥/١
٢٣٥	فاضل عزالدين العبيدي	أ. في الصيدلة	مجهول	٢٠٠٦/٥/٨
٢٣٦	وليد كامل	أ.د	البصرة	٢٠٠٦/٥/٨
٢٣٧	سليمان جدعان الجبوري	أ.د في الطب	مجهول	٢٠٠٦/٥/١٠
٢٣٨	قاسم محمد	أ.في علم النفس	كربلاء	٢٠٠٦/٥/١٠
٢٣٩	خلف الجميلي	أ.د في القانون الإسلامي	الفلوجة	٢٠٠٦/٥/١١
٢٤٠	رياض عباس صالح	أ.محاضر في الدراسات الدولية	بغداد	٢٠٠٦/٥/١١
٢٤١	حامد فيصل	أ.د في الفيزياء	الأنبار	٢٠٠٦/٥/١٢
٢٤٢	خولة محمد	د. في الطب	الكوفة	٢٠٠٦/٥/١٢
٢٤٣	عباس العامري	أ.د/رئيس قسم إدارة الأعمال	بغداد	٢٠٠٦/٥/١٦
٢٤٤	رياض عباس الجبوري	باحث أكاديمي	مجهول	٢٠٠٦/٥/١٧
٢٤٥	علي أحمد حسين	أ.د في الهندسة	بغداد	٢٠٠٦/٥/٢٢
٢٤٦	صباح الجاف	مدير عام في وزارة التربية	مجهول	٢٠٠٦/٥/٢٢
٢٤٧	جاسم فياض الشمري	أ.د في علم النفس	المستنصرية	٢٠٠٦/٥/٢٣
٢٤٨	نبيل حجازي	أ.محاضر في كلية الطب	الأنبار	٢٠٠٦/٦/١
٢٤٩	أحمد عبدالقادر عبدالله	أ.د في كلية العلوم	البصرة	٢٠٠٦/٦/٩
٢٥٠	هاني عارف الدليمي	أ.محاضر في هندسة الحاسبات	بغداد	٢٠٠٦/٦/١٣

٢٥١	قاسم يوسف يعقوب	أ.د/رئيس قسم الهندسة الميكانيكية	البصرة	٢٠٠٦/٦/١٣
٢٥٢	مثنى حارث جاسم	أ.د	بغداد	٢٠٠٦/٦/١٣
٢٥٣	مظهر زيد الدباغ	أ.محاضر	الموصل	٢٠٠٦/٦/١٨
٢٥٤	هادي محمد العبيدي	أ.د في الجراحة	بغداد	٢٠٠٦/٦/١٩
٢٥٥	حمزة شنين	أ.د في الطب البيطري	بغداد	٢٠٠٦/٦/٢١
٢٥٦	جاسم محمد العيساوي	أ.د في العلوم السياسية	بغداد	٢٠٠٦/٦/٢٢
٢٥٧	براك فاروق	أ.د	بغداد	٢٠٠٦/٦/٢٦
٢٥٨	نوبل بطرس متي	أ.محاضر في كلية الطب	الموصل	٢٠٠٦/٨/٤
٢٥٩	شكر أرسلان	أ.د في الطب	بغداد	٢٠٠٦/٨/٥
٢٦٠	علي الكفيف	أ.د	بغداد	٢٠٠٦/٨/٥
٢٦١	عادل المنصوري	أ.د في الجراحة	بغداد	٢٠٠٦/٨/٦
٢٦٢	كريم السعدي	أ.محاضر	ديالى	٢٠٠٦/٨/٦
٢٦٣	محمد التميمي	أ.محاضر في اللغة العربية	ديالى	٢٠٠٦/٨/٦
٢٦٤	عدي البيروتي	أ.د	النهرين	٢٠٠٦/٨/٦
٢٦٥	محمد عباس	رئيس قسم الحاسب الآلي	ديالى	٢٠٠٦/٨/١٩
٢٦٦	كريم سلمان السعدي	أ.د في اللغة العربية	ديالى	٢٠٠٦/٨/١٩
٢٦٧	أحمد عبد القادر	أ.د في سرطان الرئة	مجهول	٢٠٠٦/٩/١
٢٦٨	خالد إبراهيم موسى	أ.د في الطب	بغداد	٢٠٠٦/٩/٦
٢٦٩	شكر محمود السلام	أ.محاضر في طب الأسنان	بغداد	٢٠٠٦/٩/٦
٢٧٠	توفيق الشيخلي	د. في مستشفى بغداد	مجهول	٢٠٠٦/٩/٦
٢٧١	مهدي نصيف جاسم	أ.د في الحقول النفطية	بغداد	٢٠٠٦/٩/١٣
٢٧٢	يحيى الجنابي	د. في مستشفى الصدر	بغداد	٢٠٠٦/٩/١٨
٢٧٣	كامل ناصر	أ.د في التاريخ	المستنصرية	٢٠٠٦/١٠/١
٢٧٤	نجاة السهيلي	أ.د في علم النفس	المستنصرية	٢٠٠٦/١٠/١
٢٧٥	يقظان سعدون الظالمي	أ.د في التربية	بغداد	٢٠٠٦/١٠/١٦
٢٧٦	حاسب عارف العبيدي	أ.د في العلوم السياسية	المستنصرية	٢٠٠٦/١٠/٢٢
٢٧٧	سعد مهدي شلش	أ.د في الإعلام	بغداد	٢٠٠٦/١٠/٢٥
٢٧٨	فاضل الدليمي	أ.د/عميد معهد إعداد المعلمين	بغداد	٢٠٠٦/١٠/٢٩
٢٧٩	عصام الراوي	أ.د في الجيولوجيا	بغداد	٢٠٠٦/١٠/٣٠
٢٨٠	محمد جاسم النجي	عميدكلية الإدارة والاقتصاد	بغداد	٢٠٠٦/١١/٢
٢٨١	زوجة الاستاذ محمد جاسم	أ.د في كلية الإدارة والاقتصاد	بغداد	٢٠٠٦/١١/٢



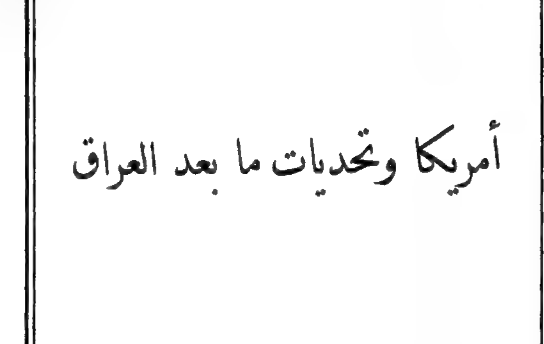
٢٨٢	ضياءالدين مهدي حسين	أ.د في القانون الجنائي	المستنصرية	٢٠٠٦/١١/٤
٢٨٣	عبد الحميد الخليلي	أ.د	بغداد	٢٠٠٦/١١/١٣
٢٨٤	عبد السلام المشهداني	أ.محاضر في القانون السياسي	بغداد	٢٠٠٦/١١/١٣
٢٨٥	محمد مهدي	أ.محاضر	بغداد	٢٠٠٦/١١/١٤
٢٨٦	علي كاظم علي	أ.د في الهندسة	بغداد	٢٠٠٦/١١/١٦
٢٨٧	محمود محمد	أ.د	الأنبار	٢٠٠٦/١١/١٦
٢٨٨	أحمد حامد الطائي	أ.د في الطب	الموصل	٢٠٠٦/١١/٢٠
٢٨٩	علي الجراري	أ.د	بابل	٢٠٠٦/١١/٢٠
٢٩٠	فليح الغرباوي	أ.محاضر في الطب	بابل	٢٠٠٦/١١/٢٠
٢٩١	حسين قادر عمر	رئيس قسم التربية	كركوك	٢٠٠٦/١١/٢٠
٢٩٢	عزالدين الراوي	رئيس معهد النفط العربي	مجهول	٢٠٠٦/١١/٢٠
٢٩٣	فرحان محمود	أ.محاضر في كلية التكنولوجيا	تكريت	٢٠٠٦/١١/٢٤
٢٩٤	أحمد مهاوش حسن	أ.محاضر في اللغة العربية	ديالى	٢٠٠٦/١٢/١
٢٩٥	الحارث عبد الحميد	أ.د/رئيس قسم علم النفس	بغداد	٢٠٠٦/١٢/٦
٢٩٦	محمد حيدر سليمان	أ.د في التربية الرياضية	الموصل	٢٠٠٦/١٢/٧
٢٩٧	حسن أحمد	أ.د في اللغة العربية	ديالى	٢٠٠٦/١٢/٨
٢٩٨	علي جسام	أ.د في القانون	المستنصرية	٢٠٠٦/١٢/٢٠
٢٩٩	منتظر الحمداني	أ.د/عميد كلية القانون	المستنصرية	٢٠٠٦/١٢/٢٠
٣٠٠	أنس الجميلي	أ.د في الطب	النهرين	٢٠٠٦/١٢/٢٢
٣٠١	خليل الجميلي	أ.د في الطب	النهرين	٢٠٠٦/١٢/٢٢
٣٠٢	كامل عبد الحسين	معاون عميد كلية القانون	الموصل	٢٠٠٧/١/١٢
٣٠٣	ماجد ناصر حسين	أ.محاضر في كلية الطب	بغداد	٢٠٠٧/١/١٧
٣٠٤	انور عبد الحسين	أ.محاضر في طب الأسنان	بغداد	٢٠٠٧/١/٢١
٣٠٥	ضياء المكوطر	أ.في الاقتصاد	المستنصرية	٢٠٠٧/١/٢٣
٣٠٦	عبد السميع الجنابي	أ.د/معاون عميد الجامعة التكنولوجية	بغداد	٢٠٠٧/١/٢٣
٣٠٧	عبد المطلب عبدالرزاق الهاشمي	أ.د في القانون	النهرين	٢٠٠٧/١/٢٨
٣٠٨	عدنان محمد صالح	أ.د في القانون	النهرين	٢٠٠٧/١/٢٨
٣٠٩	عامر قاسم القيسي	أ.د في القانون	النهرين	٢٠٠٧/١/٢٨
٣١٠	وهاب حميد فارس الربيعي	أ.د/عميد كلية العلوم	ديالى	٢٠٠٧/٢/١

٣١١	أحمد عزالدين يحيى	أ.محاضر في الهندسة	كركوك	٢٠٠٧/٢/١٦
٣١٢	ماجد ناصر المعموري	أ.د في الطب البيطري	بغداد	٢٠٠٧/٢/١٧
٣١٣	كريم أحمد التميمي	أ.د/رئيس قسم اللغة العربية	المستنصرية	٢٠٠٧/٢/٢٢
٣١٤	عامر مكي الزهيري	أ.محاضر في التكنولوجيا	بغداد	٢٠٠٧/٣/١
٣١٥	خالد عبيد	أ.د/معاون عميد كلية الطب	النهرين	٢٠٠٧/٣/٢٩
٣١٦	رضا عبدالحسين القريشي	أ.د/معاون عميد كلية الإدارة	المستنصرية	٢٠٠٧/٣/٢٩
٣١٧	سامي ستار	أ.د في اللغة الانكليزية	النهرين	٢٠٠٧/٣/٢٩
٣١٨	منذر أحمد العاني	أ.د	مجهول	٢٠٠٧/٣/٣١
٣١٩	خالد الحسان	أ.د/معاون عميد كلية العلوم السياسية	بغداد	٢٠٠٧/٤/٢
٣٢٠	ثائر أحمد جبر	أ.د في الفيزياء	النهرين	٢٠٠٧/٤/٥
٣٢١	عبدالجبار القيسي	أ.محاضر في التاريخ	ديالى	٢٠٠٧/٤/١٠
٣٢٢	جعفر حسن صادق	أ.د في التاريخ	الموصل	٢٠٠٧/٤/١٦
٣٢٣	طلال الجليلي	أ.د/عميد كلية العلوم السياسية	الموصل	٢٠٠٧/٤/١٦
٣٢٤	علي محمد حمزة	أ.د في الدراسات الإسلامية	بغداد	٢٠٠٧/٤/١٧
٣٢٥	خالد جبير الدليمي	أ.د في الهندسة	الأنبار	٢٠٠٧/٤/٢٧
٣٢٦	عبدالوهاب ماجد	أ.محاضر في التربية	بغداد	٢٠٠٧/٥/٢
٣٢٧	إسماعيل طالب أحمد	أ.محاضر في التربية	الموصل	٢٠٠٧/٥/٢
٣٢٨	نضال الأسدي	أ.د في كلية العلوم	الموصل	٢٠٠٧/٥/٢
٣٢٩	صباح الطائي	أ.د/معاون عميد كلية التربية	بغداد	٢٠٠٧/٥/٧
٣٣٠	سعد جاسم محمد	أ.د في العلوم الإسلامية	بغداد	٢٠٠٧/٥/١١
٣٣١	مهدي صالح العاني	أ.د	مجهول	٢٠٠٧/٥/١٢
٣٣٢	محمد عزيز علوان	أ.محاضر في التصميم الفني	البصرة	٢٠٠٧/٥/٢٦
٣٣٣	خليل الزهاوي	أستاذ الخط العربي والإسلامي	مجهول	٢٠٠٧/٥/٢٧
٣٣٤	عبدالرحمن العيساوي	أ.د في الإعلام	بغداد	٢٠٠٧/٥/٢٩
٣٣٥	قيس صباح الجبوري	أ.د في العلوم الإسلامية	بغداد	٢٠٠٧/٦/٦
٣٣٦	علاء جليل العيسى	رئيس قسم البحوث والتطوير	بغداد	٢٠٠٧/٦/٧
٣٣٧	علاء شاكر محمود	أ.د/رئيس جامعة ديالى	ديالى	٢٠٠٧/٦/١٤
٣٣٨	محمد قاسم الجبوري	أ.محاضر في كلية الزراعة	بغداد	٢٠٠٧/٦/٢٢
٣٣٩	نهاد محمد الراوي	أ.د في الهندسة المدنية	بغداد	٢٠٠٧/٦/٢٦
٣٤٠	سامر علي محسن	أ.في كلية الإدارة والإقتصاد	بغداد	٢٠٠٧/٦/٢٨

٣٤١	زكي الفلك	أ.د في الجراحة	البصرة	٢٠٠٧/٧/١٦
٣٤٢	فراس عبد الزهرة	أ.د في الفيزياء	البصرة	٢٠٠٧/٧/١٨
٣٤٣	شهلاء النصراوي	أ.د في القانون	الكوفة	٢٠٠٧/٨/٢١
٣٤٤	عبدالقادر علي عبدالله	د. في كلية التربية	الموصل	٢٠٠٧/٨/٢٥
٣٤٥	مؤيد أحمد خلف	د. في الأدب	البصرة	٢٠٠٧/٩/١١
٣٤٦	ياسر الياسري	أ.محاضر	البصرة	٢٠٠٧/١٠/٥
٣٤٧	علي صبيح السعدي	أ.د في القانون	بغداد	٢٠٠٧/١٠/٦
٣٤٨	أمين عبدالعزيز شرهان	أ.د	بغداد	٢٠٠٧/١٠/١٥
٣٤٩	محمد كاظم العتابي	أ.د	بغداد	٢٠٠٧/١٠/١٨
٣٥٠	عادل عبد الهادي	أ.د في الفلسفة	الكوفة	٢٠٠٧/١٠/٢٨
٣٥١	جمال مصطفى	أ.د/رئيس قسم التاريخ	ديالى	٢٠٠٧/١٠/٢٩
٣٥٢	صبري عبدالجبار محمد	أ.د	كركوك	٢٠٠٧/١١/١
٣٥٣	هيثم عبد السلام	أ.د	كركوك	٢٠٠٧/١١/١٢
٣٥٤	موسى جعفر	رئيس دائرة المسح الجيولوجي	مجهول	٢٠٠٧/١١/٢٠
٣٥٥	مصطفى خضر قاسم	أ.د	تكريت	٢٠٠٧/١١/٢١
٣٥٦	علي النعيمي	أ.د	بغداد	٢٠٠٧/١٢/١٧
٣٥٧	محمد المياحي	عميد كلية المأمون	بغداد	٢٠٠٧/١٢/١٩
٣٥٨	سليم خليل النعيمي	أ.د في التكنولوجيا	الموصل	٢٠٠٨/١/٢١
٣٥٩	عزيز سليمان	أ.محاضر في علم الإجتماع	الموصل	٢٠٠٨/١/٢٢
٣٦٠	منذر راضي	عميد كلية طب الأسنان	بغداد	٢٠٠٨/١/٢٣
٣٦١	خليل إبراهيم النعيمي	أ.د في الفقه الإسلامي	الموصل	٢٠٠٨/١/٣٠
٣٦٢	عبدالستار طاهر شريف	أ.د	كركوك	٢٠٠٨/٣/٥
٣٦٣	خالد ناصر	أ.د في جراحة الأعصاب	البصرة	٢٠٠٨/٣/١٢
٣٦٤	أياد حمزة	أ.د في الكيمياء	النهرين	٢٠٠٨/٥/٤
٣٦٥	محمود طالب الجميلي	أ.د في العلوم الإسلامية	مجهول	٢٠٠٨/٥/١٥
٣٦٦	طه عبدالرزاق العاني	أ.د في الدراسات الإسلامية	تكريت	٢٠٠٨/٥/١٥
٣٦٧	فارس يونس عبدالرحمن	معاون عميد كلية الزراعة	الموصل	٢٠٠٨/٦/٢
٣٦٨	وليد سعدالله المولى	أ.د	الموصل	٢٠٠٨/٦/١٥
٣٦٩	صالح عبد حسون	عميد كلية القانون	بغداد	٢٠٠٨/٧/٧
٣٧٠	خلدون صبري	أ.د	مجهول	٢٠٠٨/٨/٢٥
٣٧١	سلام رشيد	أ.د في الطب	ديالى	٢٠٠٨/٩/١
٣٧٢	صالح العقيلي	أ.د في القانون	مجهول	٢٠٠٨/١٠/٩



تقارير واستطلاعات



أمريكا وتحديات ما بعد العراق

تقرير معد للبنتاغون ولجنة الدفاع في مجلس الشيوخ الأمريكي

أمريكا وتحديات ما بعد العراق

تقرير معد للبنتاغون ولجنة الدفاع في مجلس الشيوخ الأمريكي

في الرابع من أيلول ٢٠٠٨م قامت مؤسسة راند للبحوث والتطوير بالتعاون مع مركز التحليلات البحرية باستضافة مؤتمر تحت عنوان (أمريكا والتحديات الأمنية لما بعد العراق)، وقد شارك في المؤتمر أكثر من سبعين شخصية ضمت كبار المحللين السياسيين والعسكريين ونخبة من كبار ضباط الجيش الأمريكي وممثلين عن الحكومة الأمريكية ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية بالإضافة إلى عدد من الصحفيين والإعلاميين، عقد المؤتمر في المقر الرئيسي لمؤسسة راند في (آرلينغتون/ ولاية فيرجينيا)، كان الهدف من هذا المؤتمر هو إعداد تقرير يقدم إلى البنتاغون وإلى لجنة الدفاع في الكونغرس الأمريكي لتزويد القيادات العسكرية واللوجستية بدراسة كاملة عن القضايا والتحديات الأمنية التي ستواجهها الإدارة القادمة والتي تستلزم وضع استراتيجيات جديدة (عسكرية وغير عسكرية) وإعادة ترتيب الأولويات الأمنية للولايات المتحدة.

رؤية عامة

يجب أن نوضح في البداية أن عبارة (ما بعد العراق) لا تعني بأن دعم استقرار العراق سوف يحذف من قائمة التزامات الولايات المتحدة كموضوع أمني ذو أولوية، بل على العكس لقد أدرك جميع المشاركين في المؤتمر بأن الحرب في العراق وأفغانستان سوف تستمر لفترة قد تتعدى المستقبل القريب.

إن الالتزامات والتعهدات الأمنية المرتبطة بهذين الصراعين (العراق

وأفغانستان) يجب أن تكون مدرجة في قائمة التعهدات الأمنية للولايـات المتحدة إن لم تكن في أول القائمة بالإضافة إلى محاربة الإرهاب والحيلولة دون تنامي القدرات النووية والعسكرية لإيران والحفاظ على مضيق هرمز مفتوحـاً أمام الملاحة وخاصة أمام ناقلات النفط، بالإضافة إلى تعزيز السـلام في شـبه الجزيرة الكورية وصولاً إلى مضيق تايوان والحفاظ على مصالح حلفاء الولايات المتحدة وتعزيزها.

لقد كان هناك إجماع واسع من قبل المشاركين في المؤتمر حول أهم القضايا والتحديات الأمنية التي ستواجه الإدارة الأمريكية الجديدة، ويمكن تلخيص تلك القضايا بـ:

(١) إن على الولايات المتحدة الأمريكية استعادة مركزها ومكانتها كقائد أول للعالم في مواجهة التيار العالمي المتنامي والمعادي للولايات المتحدة، وإن استعادة نفوذ الولايات المتحدة كصاحبة القرار الأول في الشؤون الأمنية الإقليمية يعتبر من الأولويات القصوى بالإضافة إلى تعزيز مصالح الحلفاء.

(٢) إن السلطة التنفيذية وبكل فروعها بحاجـة إلى التحـسين للوصـول إلى التكامل والعمل الموحد بين جميع الوكالات الأمنية والعسكرية لتحديد ومعالجة المشاكل الأمنية، وإن هذا التفصيل أصبح ملحاً ومهماً في ظل المتطلبات الأمنية الناشئة عند استخدام الأساليب التقليدية وغير التقليدية كما هـو موجـود في العراق وأفغانستان والتي تمتلك تاريخاً طويلاً من الصراعات وعلى الأغلب أنها سوف تستمر في المستقبل غير القريب.

(٣) التعامل مع المستجدات التي تفرضها الصين اليوم، فإنـه يبـدو أن هـذا الصراع الذي امتد وسيمتد لعدة أجيال على الأقل من ناحية الولايات المتحدة،

أما عن الجانب الأمني فإن من الضروري وخاصة مع تنامي القدرات العسكرية الصينية أن تحافظ الولايات المتحدة الأمريكية على مصالحها ومكانتها وإلا فإنها سوف تفقد مصداقيتها كضامن للاستقرار في شرق آسيا.

(٤) إن على واضعي خطط الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية أن يكونوا

مستعدين لردع الأعداء الإقليميين (الذين يسعون لتطوير الأسلحة النووية) في حال فشل الأساليب والمساعي (غير العسكرية) في منع إنتاج مثل هذه الأسلحة، فإن امتلاك بعض الأنظمة المعادية للولايات المتحدة مثل كوريا الشمالية وإيران لهذه التكنولوجيا قد يغير من موازين القوى بصورة كبيرة مما يضر بأمن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

(٥) إن التنامي السكاني السريع في العالم الإسلامي المرتبط بالاقتصاد بالإضافة إلى تنامي الشعور المعادي للولايات المتحدة الأمريكية، كل هذا يفرض أن تكون الحرب (الطويلة أصلاً) ضد الإرهاب أطول من المتوقع، وإن انحراف الشباب وتطرف أفكارهم يوفر إمكانية كبيرة لتكوين بيئة مناسبة لتجنيدهم وانظمامهم إلى التيارات الجهادية المتطرفة.

في نفس الوقت الذي أجمع فيه المشاركون في هذا المؤتمر على أن هذه القضايا تمثل أبرز التحديات التي ستواجه الإدارة الجديدة، إلا أنهم كانوا أقل إجماعاً حول السبل المثلى للتعامل معها، فإذا واجهت الولايات المتحدة الأمريكية هذه التحديات بالإضافة إلى الالتزامات والتعهدات المفروضة غليها للحفاظ على مصالحها وصالح حلفائها، فإن القوات العسكرية الأمريكية سوف تتحمل الجانب الأكبر من هذه المسؤوليات وسوف تجر إلى مواجهات

غير تقليدية وعلى درجة عالية من الخطورة ربما تكون أكبر من قابلياتها في الوقت الحاضر.

من جانب آخر فإن المشاركين في المؤتمر قد ناقشوا ما إذا كانت نظرية (الحرب الاستباقية) قد ساعدت المخططين العسكريين والاستراتيجيين للاستعداد لمثل هذه المواجهات، بعض المشاركين ربطوا هذه النظرية بعمليات (تغيير الأنظمة)، وكانوا على قناعة تامة بأن هذه التجربة (احتلال العراق) قد أضعفت من احتمالية الأخذ بهذه النظرية، وشككوا أن تكون شهية الإدارة القادمة مفتوحة لمثل هذه العمليات مستقبلاً، أما البعض الآخر فقد عارض هذا الرأي متعللاً بالتاريخ الكبير للقوات العسكرية الأمريكية في مواجهة هذه الأنظمة (بدءاً من الحرب المكسيكية)، وكان رأيهم أنه من الخطأ حذف مثل هذه العمليات في المستقبل.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك نقاش جدير بالاهتمام بين المشاركين في المؤتمر حول إذا ما كانت القوات العسكرية الأمريكية بحاجة إلى إعادة ترتيب للمساعدة في تسهيل إدارتها وتوجيهها لمساعدتها على حسم المهمات الأمنية الخارجية والتعامل معها بشكل أكثر فعالية وأسرع زمناً، و أغلب هذه الآراء كانت تدور حول الرؤى المستقبلية للقوات الأمريكية، فإذا كانت حرب العراق وأفغانستان هي آخر الحروب لهذا النوع من المواجهات فإن القوات العسكرية لا تحتاج إلى إعادة هيكلة أو ترتيب، أما إذا اتجهت الولايات المتحدة للاشتراك في مثل هذه المواجهات مستقبلاً فإن إعادة الترتيب تكون واجبة عندها، وفي نفس الوقت أجمع المشاركون على إن خطة الانتشار التي يتبعها الجيش الأمريكي في الوقت الحاضر تسهل من عملية إعادة ترتيب القوات.

معظم المشاركين في المؤتمر أكدوا على ضرورة التركيز في المستقبل على القوات البحرية والقوات الجوية في حسم المواجهات ضد القوى الإقليمية، لذلك على القوات الجوية أن تكون قادرة على إرباك القوى المعادية بالتعاون مع الأسلحة المنطلقة بدقة من البحر في أكثر من مكان في العالم، البعض أكد على أهمية هذه العمليات واعتبرها من مقومات (الطوق الاستراتيجي)، ولكن المشاركين أكدوا في نفس الوقت على إن العمليات التي تقوم بها هذه القوات في العراق وأفغانستان قد وضحت وبشكل كبير قدرات هذه القوات على المشاركة بكل فاعلية في مثل هذه الصراعات في أي مكان في العالم في الوقت الحاضر وحتى في المستقبل.

باختصار كان هناك إجماع بأن تلك القضايا تمثل التحدي الأكبر للإدارة الجديدة القادمة مصحوبة ببعض المطالب بشأن القوات العسكرية الأمريكية التي تتطلب تغيير في المهمات، بالإضافة إلى وجوب تغيير وزارة الدفاع طريقة تدريب وتسليح وتجهيز القوات الأمريكية، وبصورة أوسع فإن على الإدارة الجديدة أخذ زمام المبادرة في تغيير نمط وأسلوب القوات العسكرية قبل أن تفرض الظروف والتحديات المستجدة ذلك عليها، ويمكن إيجازها بـ:

(١) يجب أن تكون القوات العسكرية الأمريكية قادرة على إدارة قواعد طويلة البقاء، ويجب توفر قوات إسناد على درجة عالية من التدريب والتجهيز وقادرة على تنفيذ مهمات وعمليات داخل البلدان التي تكافح من أجل القضاء على الإرهابيين ذوي القواعد الإسلامية.

(٢) وجوب أن تكون الدوائر والوكالات غير العسكرية ومن ضمنها الوكالة الأمريكية للتطوير الدولي ووزارة العدل ولجنة الاستخبارات قادرة على لعب

دور دولي أكبر في ملاحقة المتطرفين.

(٣) يجب على قوات الولايات المتحدة وقوات الحلفاء أن تكون مستعدة لكل الإجراءات اللازمة في حال تم نشر أسلحة نووية من قبل بعض الأنظمة الإقليمية المعادية مثل كوريا الشمالية وإيران التي تشكل تهديداً أمنياً ومتعارضاً مع المواثيق (سواء كانت هذه الإجراءات احتياحاً عسكرياً قصيراً أو طويل المدى) وهو يمثل الخيار الأفضل في حال التهديد النووي وهذا يجذب الانتباه إلى مدى تطور القدرات التعجيزية لدى الأعداء لإخفاء هذه الأسلحة (في هذه الحالة يجب ضرب هذه الأسلحة في حال اكتشافها وضرب حتى أدوات نقل ونشر هذه الأسلحة).

(٤) في ظل التطوير المستمر الذي تقوم به الصين لقواتها العسكرية، يجب على واضعي الخطط الأمريكان (وهم مجبرون على ذلك) إعادة التفكير للوصول إلى المرتبة الأولى كقوة ردع للصين وخصوصاً أن وضع القوة العسكرية الأمريكية أصبح عرضة للانتقاد وبشكل كبير بسبب قوة أسلحة الردع الصاروخي الصينية.

وأخيراً فإن الضغط الذي يلقي بضلاله على الموازنة العسكرية والمتطلبات الإضافية لتمويل حربَي العراق وأفغانستان بالإضافة إلى الالتزامات التي ستفرضها التحديات المستقبلية؛ ستتطلب مصادر تمويل أكبر، على العكس مما إذا أخذت هذه الصراعات بالاستقرار والانحسار شيئاً فشيئاً، كما إن القوات البرية تحتاج أصلاً إلى تمويل إضافي بالإضافة إلى القوات البحرية والجوية التي تجاوزت معظم معداتها الخط الزمني المفترض للخدمة الفعلية، ولا أحد يعتقد

بأن الموازنة العسكرية ستبقى كما هي عليه الآن وسوف تلوح الإجابة عن هذا التساؤل في المستقبل القريب.

رؤية عامة حول طبيعة المستجدات الأمنية

(كيف يمكن للولايات المتحدة أن تتعامل مع المستجدات الأمنية؟ وكيف ستتمكن من تحديدها والأهم كيف ستتمكن من التكيف معها؟ أحد المحللين العسكريين)

ناقشت اللجنة الرئيسية للمؤتمر أهم القضايا والتحديات الأمنية التي يمكن أن تواجهها الإدارة القادمة وعلى مدى العشر سنوات القادمة، كما ناقشت اللجنة أهم القضايا التي ستتطلب من واضعي الخطط الاستراتيجية الأمريكيين اهتماماً كبيراً وعلى المدى الطويل.

أهم خمس قضايا أمنية ذات تأثير على أمن الولايات المتحدة

أوضح التقديم الأول للمؤتمر بأن عبارة (ما بعد العراق) لا تعني بأن دعم استقرار العراق سوف يحذف من قائمة التزامات الولايات المتحدة كموضوع أمني ذو أولوية، بل على العكس لقد أدرك جميع المشاركين في المؤتمر بأن الحرب في العراق وأفغانستان سوف تستمر لفترة قد تتعدى المستقبل القريب، وإن الالتزامات والتعهدات الأمنية المرتبطة بهذين الصراعين (العراق وأفغانستان) يجب أن تكون مدرجة في قائمة التعهدات الأمنية للولايات المتحدة إن لم تكن في أول القائمة بالإضافة إلى محاربة الإرهاب والحيلولة دون تنامي القدرات النووية والعسكرية لإيران والحفاظ على مضيق هرمز مفتوحاً أمام الملاحة وخاصة أمام ناقلات النفط، بالإضافة إلى تعزيز السلام في شبه

الجزيرة الكورية وصولاً إلى مضيق تايوان والحفاظ على مصالح حلفاء الولايات المتحدة وتعزيزها.

في ظل هذه الالتزامات ركز أحد أعضاء اللجنة على أهم خمس قضايا مؤثرة والتي تستدعي إيجاد أنسب الحلول لها وهي:

(١) غياب وتآكل التأثير الأمريكي، وهذا يتضمن الهبوط المحسوس في القوة والمصداقية الأمريكية والذي يضعف الجهود الأمريكية لردع الخصوم.

(٢) بروز الصين كجيش عالمي وقوة اقتصادية وقدرة الصين على ترجمة تلك القوة إلى تحدي سياسي واستراتيجي متماسك، والتأثيرات الواسعة الانتشار التي ستفرضها الصين على ميزان القوى الإقليمية في آسيا، وبما يؤثر على مركز أمريكا ومكانتها سلبياً كضامن للاستقرار في آسيا.

(٣) التغير في الخصائص السكانية (وتأثيراتها المحتملة على السياسة والمخاوف الأمنية في أوروبا، روسيا، الشرق الأوسط، وأفريقيا)، هذا بالإضافة إلى القلق المتزايد من تطرف أفكار الشباب في معظم العالم الاسلامي، والشعور المتزايد المعادي للأمريكان في العديد من البلدان الإسلامية والذي يكون بيئة لانضمام هؤلاء الشباب إلى التيارات الإسلامية المتطرفة، وهذا يؤكد على إن الحرب الطويلة ضد الإرهاب والتطرف ستكون في الحقيقة طويلة جداً.

(٤) الدور الذي ستلعبه بعض الدول المنتجة للطاقة (مثل روسيا، إيران، وفينزويلا)، التي زادت قدراتها الاقتصادية وثرواتها بفضل الارتفاع المتزايد لأسعار البترول (والذي وصل إلى أكثر من مائة دولار للبرميل)، مما سيشجع بعض هذه الأنظمة المعادية للولايات المتحدة على الاستمرار في سياساتها المعادية للمصالح الأمريكية، ويعكس هذا التضارب في متطلبات الأمن القومي،

والحاجة لإيجاد الحلول المتكاملة عبر الأجهزة الحكومية وبين الولايات المتحدة وحلفائها.

(٥) انتشار الأسلحة النووية والتقنيات ذات العلاقة، وإن المخاوف هنا هي عدم قدرة الولايات المتحدة على منع الجماعات المتطرفة وليس الدول من الحصول على مثل تلك التكنولوجيا، وهذا ما سيستدعي اهتماماً بعيد المدى من قبل المخططين الاستراتيجيين في وزارة الدفاع، فيما أضاف بعض أعضاء اللجنة النتائج الاستراتيجية المحتملة للتطورات العسكرية التكتيكية مثل الصواريخ الباليستية المضادة للسفن والاستعمال العالمي للمتفجرات والقنابل البدائية الصنع.

"خمسة حروب طويلة": نظرة عامة على أمن الولايات المتحدة بعد العراق

أما التقديم الثاني فقد طرح منظوراً مختلفاً جداً في خمسة تحديات استراتيجية من الممكن أن تؤثر على أمن أمريكا المستقبلي وهي: الإسلام الراديكالي المتطرف، قوة الصين المتزايدة ومنافستها للولايات المتحدة في السيطرة على الملف الأمني في آسيا وربما العالم، قوى وأنظمة إقليمية متزودة بالأسلحة النووية، نهوض روسيا الذي يزيد من صعوبة الوضع بالنسبة للولايات المتحدة، وأخيراً التغيير الذي يحصل في الشراكات والتحالفات بين الولايات المتحدة وبقية الدول.

وأضاف المتحدث بأن التحدي الأول الذي يمثله الإسلام الراديكالي المتطرف والجماعات الإرهابية تعتبر بذوراً لتحديات مستقبلية من المحتمل أنها سوف تستغرق عدة أعوام قبل حسم هذا الصراع، وإن النجاح في حسم هذا الصراع سيتطلب تغيير وجهة النظر التي اعتمدتها الولايات المتحدة وخاصة

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م من حرب تقليدية إلى حرب ذات أبعاد أكثر شمولية وأعمق، ولاشك أن القوات الأمريكية والقوات المساندة الأخرى سيحتاجان لإجراء جهد إضافي ثابت وكبير من ناحية التدريب والتجهيز والتخطيط بالإضافة إلى مساعدة قوات البلد المضيف لهذه القوات لردع الجماعات المتطرفة.

أما عن التحدي الثاني وهو التنامي السريع في قوة الصين من الناحية الاقتصادية والعسكرية مما يجعلها منافساً استراتيجياً قوياً وصعباً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فيمكن القول هنا بأن هذا التحدي سيكون مصاحباً لبروز اليابان والهند أيضاً كقوة إقليمية ولكن بصورة قد تختلف عما هي بالنسبة للصين، لذا فإن الولايات المتحدة ستحتاج لتقوية الشراكات الإقليمية اتجاه هذه التحديات.

وعرّف أحد أعضاء اللجنة التحدي الثالث المتمثل بقوى وأنظمة إقليمية تسعى للتزود بالأسلحة والتكنولوجيا النووية للخروج من دائرة الدول الضعيفة إلى دائرة للدول القادرة على ردع أي هجوم خارجي محتمل، ومما يزيد من صعوبة مواجهة هذا التحدي بالنسبة للولايات المتحدة هو ليس فقط عدم قدرتها على ردع مثل هذه الأنظمة في سعيها للحصول على التكنولوجيا النووية ولكن تكمن الصعوبة الحقيقية في ضمان عدم استعمال هذه التكنولوجيا في النزاعات أو المواجهات الإقليمية في المستقبل، وبالتأكيد إن ردع هذه القوى النووية الإقليمية سيكون مختلفاً إلى حد كبير عن ردع روسيا والصين.

أما التحدي الرابع فهو نهوض روسيا والذي نشأ بسبب النمو الاقتصادي

الروسي المقترن بإعادة مؤسسة الحكم الاستبدادي ورغبة موسكو لتأكيد نفسها كقوة معارضة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، من المحتمل أن هذه التطورات ستستمر لفترة طويلة مما يتطلب تركيزاً أكثر من قبل المخططين في الولايات المتحدة.

وأخيراً التغيير الذي يحصل في الشراكات والتحالفات بين الولايات المتحدة وبقية الدول، وأكد المتحدث هنا بأن العلاقات والشراكات بين الولايات المتحدة وحلفائها آمنة نسبياً ولكنها قد تتدهور في أي منطقة من مناطق العالم وذلك على أساس نظرية الكلفة والمنفعة، لذا فإن هذه الدول تراجع حساباتها بين فترة وأخرى حسب المقاييس التي تضعها هذه النظرية والتي هي أساس أي علاقة بين بلدين.

في ضوء هذه التحديات أكد أحد أعضاء اللجنة على أن الخطط الحالية التي تعمل بها وزارة الدفاع الأمريكية هي أعقد بكثير مما يجب لذا ستستلزم إعادة نظر جوهرية، وأضاف أن طبيعة النزاعات والمواجهات التي تخوضها الولايات المتحدة هي شكل آخر من أشكال المواجهات التي لم تعتد القوات الأمريكية عليها (حتى بعد سبع سنوات من المواجهات في أفغانستان والعراق)، لذلك يرى المتحدث بأن الميزانية الممنوحة لوزارة الدفاع سوف لن تتقلص بأي حال من الأحوال في المستقبل ولن يكون هذا الخيار مطروحاً أمام الإدارة القادمة مهما كانت توجهاتها.

خيوط عدم الاستقرار

رداً على التقديمين الأوليين أضاف أحد أعضاء اللجنة عدة تحديات مستقبلية محتملة وهي النمو السكاني المصاحب لتعثر الاقتصاد العالمي بالإضافة إلى العولمة

والمنافسة للسيطرة على مصادر الطاقة في العالم مثل النفط، والتغيير المناخي الذي تتأثر به عدد من الدول، وأخيراً فشل بعض الأنظمة السياسية في العالم والتي لها شراكات وتحالفات مع الولايات المتحدة.

كل هذه الأسباب تستدعي من الولايات المتحدة إعادة النظر في تحالفاتها وشراكاتها مع البلدان التي تعاني من هذه المشاكل وذلك للتأكد من قدرة الشريك أو الحليف على بسط السيادة الداخلية وذلك أيضاً مرتبط بجاهزية قوات الحلفاء لمواجهة النزاعات والحروب غير التقليدية إلى جانب الولايات المتحدة.

كما أضاف العضو عدة تحديات محتملة جديرة بالاهتمام وهي: المواجهات والحروب غير التقليدية واستعمال أسلحة الدمار الشامل في النزاعات الإقليمية والانهيار المفاجئ لحلفاء الولايات المتحدة وأخيراً التهديد الذي تفرضه الكوارث الإنسانية مثل الزلازل والحرائق والأعاصير كالتي حدثت في الآونة الأخيرة في جنوب وجنوب شرق الولايات المتحدة.

وأضاف عضو اللجنة بأن الولايات المتحدة تحتاج للعمل على إعادة تأثيرها ونفوذها العالمي في قيادة العالم، لأن الحلفاء سيواصلون الاعتماد على قدرة الولايات المتحدة في القيادة وحسم النزاعات التقليدية في المناطق المضطربة من أفريقيا وحتى آسيا مروراً بالقوقاز، كما أن العديد من الخطط الاستراتيجية التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة في الماضي لم تعد نافعة وأنها بحاجة إلى إعادة نظر في الاستراتيجيات المتبعة وطبيعة الفرق العسكرية في القوات الأمريكية بالإضافة إلى استحداث فرق وأنظمة جديدة لمواجهة التحديات والمواجهات غير التقليدية كما في العراق وأفغانستان.

جلسة حول التساؤلات والأجوبة المطروحة

ركز التعليق الأول على قضايا الرأي العام، وبالتحديد على ما يكون معمولاً به لتبني التصورات الإيجابية من قبل الولايات المتحدة عالمياً، وذكر المتحدث نجاح الأسلوب الذي استعمل أثناء الحرب الباردة وتساءل فيما إذا كان بالإمكان استخدام نفس الأسلوب في المواجهات الحالية والمحتملة في المستقبل، وأضاف المشارك بأن الرأي العام ليس من السهل تكوينه أو تغييره ولكن يمكن أن تؤخذ الدروس من المحاولات الماضية، كما ركز على ضرورة تحسين المنظمات المجتمعية في العالم الإسلامي ودور الولايات المتحدة الأمريكية في دعمها واحتمالية تأثرها بالموازنة العامة للولايات المتحدة، وشدد على ضرورة أن توجد الولايات المتحدة مثل تلك المنظمات وإيجاد السبل الكفيلة بتعزيزها وتعزيز تأثيرها على الرأي العام في الدول الإسلامية.

كما أجمع أغلب المشاركين في المؤتمر على وجوب استهداف البنى التحتية للجماعات المتطرفة ومحاصرة الجهات الداعمة لهم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى دور الولايات المتحدة في إصلاح الأنظمة والمجتمعات الفاسدة، كل هذه الأسئلة شكلت انطباعاً حول موضوع المؤتمر الرئيسي وهو حاجة الحكومة الأمريكية ووزارة الدفاع لتعزيز التعاون بين جميع الوكالات المعنية بهذا الشأن، والذي سيؤدي بطبيعة الحال إلى إيجاد أنسب الحلول للمواجهات والتحديات التي ستواجهها الإدارة القادمة، كما أكد على ضرورة تعميق التعاون بين مختلف الدوائر والمكاتب الحكومية كوزارة الدفاع والخزانة والعدل والزراعة وجهات حكومية أخرى بالإضافة إلى المنظمات الوطنية غير



الحكومية لتحديد أهم العوائق والتحديات المستقبلية وإيجاد أنسب الطرق للتعامل معها.

وفي النهاية برزت عدة تساؤلات حول التوجهات والسياسات الأمريكية سواء كانت داخلية أم خارجية كوجود العجز في الميزانية الاتحادية الفيدرالية والذي يثير بعض القلق حول قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على الوفاء بالتزاماتها المالية داخلياً وخارجياً، بالإضافة إلى حاجة الولايات المتحدة إلى إبقاء مستوى الإنفاق العسكري الحالي (الذي هو أعلى مستوى وصلت إليه ميزانية الدفاع الأمريكية).

التهديدات والتحديات الرئيسية للمستقبل

(إن الردع وحده لا يكون جواباً مقنعاً بالكامل للرد على الأنظمة التي تسعى للتسلح النووي/ محلل في وزارة الدفاع)

(إن النصر على الإرهابيين والمتطرفين لا يأتي من خلال إلقاء القبض عليهم أو قتلهم، لكن يأتي من خلال إيقاف عجلة التطرف وكسرها، نحتاج لتغيير العناصر التي تساهم في تشكيل التصورات والخيارات وتبني الرؤى التي تطرح على أولئك الذين هم اليوم أطفال في العالم الإسلامي/ محلل في وزارة الدفاع)

بينما طرح التقديم الأول للمؤتمر وجهة نظر عالمية حول التحديات الأمنية المحتملة، وركز التقديم الثاني على بعض التهديدات والتحديات الجديرة بالاهتمام التي تحددت لدى اللجنة الرئيسية للمؤتمر (بعد عدة نقاشات وطرح

للآراء والأفكار). إن من أهم القضايا الأمنية ذات التأثير على أمن الولايات المتحدة ومصالحها وحلفائها هي أربعة:

(١) الصين.

(٢) قوى وأنظمة إقليمية تسعى للتزود بالأسلحة والتكنولوجيا النووية.

(٣) الإرهاب والتطرف.

(٤) إيران.

الصين كتحدي استراتيجي

ناقش المتكلم الأول الأبعاد الرئيسية للتحدي الاستراتيجي التي يفرضها ظهور الصين كقوة منافسة، وأكد المتحدث بأن إعادة ظهور الصين يعد أحد أهم التطورات السياسية في وقتنا، وأضاف أن الصين اليوم بعد التطور الذي أجرته على قوتها العسكرية والاقتصادية لم تعد تتأثر فقط بالمستجدات على الساحة العالمية بل إن مكانها اليوم يتيح لها أن تكون هي المكونة للساحة العالمية وبالأخص الملف الأمني العالمي، وأرجع سبب ذلك إلى عنصرين مهمين وهما نمو الاقتصاد الصيني، والرغبة العالمية بمساندة الصين للتخلص من ظاهرة القطب الأوحد في العالم وإضافة التوازن في الملف الأمني العالمي.

إن ظهور الصين يشكل عدة تحديات بالنسبة للمتطلبات الأمنية العالمية وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية والعسكرية، وإن تحديث الصين العسكري والاقتصادي المصحوب بالثقة السياسية والدبلوماسية التي مارستها في المنتديات الإقليمية والعالمية بالإضافة إلى العلاقة المتميزة بين شنغهاي والأمم المتحدة، وهذا يلقي بتساؤلات كثيرة منها حجم النفوذ الاقتصادي للصين ومدى تأثيره على الساحة العالمية في حال استخدام الصين لهذه القدرة الكبيرة

كورقة ضغط لفرض إرادها على المجتمع الدولي وما هو جدول الأعمال المطروح في النظام الحاكم الصيني ومدى صحة العلاقات الداخلية الصينية وخاصة بين النخب المدنية في المجتمع الصيني، وأخيراً مدى قدرة الحزب الشيوعي على تكييف نفسه وقدرته على حسم القضايا الداخلية.

تساءل أحد أعضاء اللجنة عن قدرة الولايات المتحدة وحلفائها (مثل الاتحاد الأوربي، كوريا الجنوبية، اليابان، أستراليا) على الرد على هذا البروز القوي للصين، وأكد المتحدث بأن المخاوف التي تثيرها الولايات المتحدة الأمريكية حول القابليات والامتيازات المؤسساتية لجيش التحرير الشعبي (الجيش الصيني) هي مخاوف مبررة، وببعض الثقة والجرأة نقول بأن هذا الظهور القوي للصين كقوة مؤثرة على الساحة الدولية سيؤثر على التوازن العسكري بشكل كبير في شرق آسيا، وعلى سبيل المثال كان الجيش الصيني يعد من أقوى الجيوش في العالم.. ولكن هذا الرأي كان يعتمد في جوهره على القوات البرية الصينية ولكنه تحول الآن إلى أكثر من مجرد قوة برية فالصين تمتلك اليوم ما يعد من أكبر القوى الجوية والبحرية ذات القيادة المركزية والقادرة على حماية المصالح في الداخل أو الخارج، إن الصينيين يطبقون في كل مناوراقم وتدريباقم العسكرية نظريتين وهما الصراعات الموجودة الآن في العالم ونظرية الصراعات المستقبلية المحتملة، وأوضح عضو اللجنة بأن الصين تطبق هاتين النظريتين في المناورات والتدريبات العسكرية منذ أوائل التسعينيات، أما مؤخراً فقد ركزت جهود الجيش الصيني على الاستعداد للحروب والمواجهات المحلية، بالإضافة إلى تطوير قابلية الجيش على حسم النزاعات بكل دقة وسرعة من خلال الاعتماد والتركيز على عدة عناصر ومنها التطور في أسلوب القيادة

المركزية والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والاستخبارات وطرق وأساليب المراقبة والاستطلاع، كما يطور أيضاً من قابلياته لمنع القوات الأمريكية من الوصول إلى المنطقة، وهذا بالتأكيد سيفرض على القوات الأمريكية أن تغير من أساليبها وتستمر في التحديث والتطور لمواكبة هذا التفوق الصيني.

أما عن أسلوب إدارة الصين للقضايا المحلية الصينية، فقد أكد عضو اللجنة النمو السكاني المتزايد الذي يزيد من الشباب المحروم من الحقوق والغاضب فعلاً في الصين ولاحظ بأن هذا النمو يمكن أن يؤثر على استقرار الصين الداخلي، وأضاف أيضاً الطريقة التي تستخدمها الصين في حسم التهديدات الداخلية وبشكل أكثر تحديداً الدور الذي يلعبه الجيش الصيني في الأمن الداخلي (وهذا ما رأيناه في أحداث التبت الأخيرة)، علاوة على ذلك ذكر عضو اللجنة المرونة التي يتمتع بها الجيش الصيني خصوصاً في مجال التعليم والتدريب مما سمح بتحويل الجيش الصيني التقليدي إلى قوة قتالية فعالة.

الخصوم الإقليميون ذوو التسلح النووي

استمر المؤتمر في تقديم طبيعة التهديد الذي يخص الخصوم الإقليميين ذوي التسلح النووي، إن مثل هذه الدول والأنظمة ككوريا الشمالية قد تكون ضعيفة جداً من نواح عديدة، لكن امتلاكهم هذه التكنولوجيا والأسلحة النووية يجعل في قدرتهم إعاقة الخيارات العسكرية الأمريكية في حال مواجهتهم رغم التفوق العسكري الأمريكي، وفي الحقيقة هؤلاء الخصوم قد يجدون ما يحفزهم على استعمال أسلحتهم النووية في الحرب، وإن من المفارقة أن يكون الضعف السياسي والعسكري لهذه الدول هو الذي يجعل الأمر صعباً لردعها عن استعمال الأسلحة النووية في أي نزاع مستقبلي.

نستنتج هنا بأننا يجب أن نتوقع دولاً نووية جديدة تحاول أن تجد "خطوطاً حمراء" لإيقاف خصومها، وفي نفس الوقت نؤكد على تفوق القدرات العسكرية الأمريكية التي سيكون لها قيمة رادعة ضد الخصوم الإقليميين ذوي التسلح النووي، ولكن هل يجب أن تجد الولايات المتحدة نفسها في حالة نزاع؟ في مثل هذا الحالة ستكون المهمة صعبة بلا شك.

بالتأكيد أن هذه الدول سيكون أمامها عدد من الخيارات لاستعمال الأسلحة النووية، يتضمن ذلك الأسلحة البايولوجية والقنابل ذات التأثير الكهرومغناطيسي، هجمات ضد الأهداف العسكرية، هجمات ضد البنية التحتية الاقتصادية، وهجمات ضد المناطق المدنية، وحتى الهجمات ضد الأهداف التي تعتبر في آخر جدول الأهداف يمكن أن تسبب آثاراً نفسية ذات تأثير سلبي كبير في حال التهديد بمهاجمة أهداف اقتصادية مدنية، وعند عدم تمكن الولايات المتحدة وحلفائها من منع مثل هذه الهجمات فإن الولايات المتحدة وحلفائها قد يجبرون على قبول بعض طلبات الخصوم، وأنهى المتحدث كلامه بأن برنامج الدفاع الأمريكي الحالي سوف لن يزود القادة المستقبليين بالثقة الكافية لردع هذه الاعتداءات النووية، ورداً على هذا الطرح ذكر أحد اعضاء اللجنة بأن هذه الدول تريد تفادي توجيه أي نزاع مع الولايات المتحدة وهذا يمكن أن يمنح الإدارة القادمة ببعض الثقة المعنوية، وأكد ذلك العضو بأن هذه الدول ستواجه أيضاً تحديات سياسية ودبلوماسية دولية هامة ربما تعيقها عن توجيه أي تهديدات أو تحديات مستقبلية حتى تحت أسوأ السيناريوهات المستقبلية.

تساؤلات وإجابات

ناقش المشاركون في المؤتمر حالة تسلح الجماعات الإرهابية المتطرفة بالأسلحة النووية وأجمعوا على أن هذا التحدي يشكل مشكلة عميقة، بالرغم من أنه نفس الموقف الذي سيقع حال حصول الأنظمة على هذه الأسلحة، ولكن الاختلاف هنا هو في الاعتماد على العقيدة والاستراتيجية المتطرفة للجماعات الإرهابية، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ماذا يمكن أن تفعل الولايات المتحدة في حالة حصول جماعات إرهابية على القدرة لتوجيه تهديد نووي ضد الولايات المتحدة في نفس الوقت التي تكون هذه الجماعات غير قابلة للردع لعدة أسباب.

يمكن للولايات المتحدة أن تتخذ قرارات باستخدام الأسلحة النووية ضد بعض الدول وفق حسابات المواجهات على الرغم من صعوبة اتخاذ مثل هذه القرارات ولكن الصعوبة الحقيقية أو المستحيلة تكمن في استخدام هذه التكنولوجيا ضد الجماعات المتطرفة التي تتميز بالانتشار والمرونة والتي لا يمكن تحديد أماكن تواجد أفرادها وحصرهم في منطقة معينة من العالم، وكمثال على ذلك تنظيم القاعدة الإرهابي الذي يمتد من جنوب شرق آسيا (ماليزيا وأندونيسيا) مروراً بأفريقيا وأوروبا وحتى يشمل ذلك الخلايا النائمة في الولايات المتحدة.

ولكن بلا شك إن الوضع يختلف تماماً مع إيران، ففي حالة استخدام إيران للأسلحة النووية لن يكون هناك أي رد سوى استخدام القوة الكاملة لردعها، بالإضافة إلى أن تحسين فعالية أسلحة الدفاع الأمريكية مثل مشروع الدرع الصاروخي الذي يعد من أهم الوسائل التي تجعل من خيارات إيران النووية غير

فعالة وغير مجدية، في الوقت الذي أجمع المشاركون على أهمية النظم السياسية الإيرانية المحلية ومنظمات المجتمع المدني التي لا تزال بحاجة إلى دعم مستمر لتفعيل دورها، وللتوضيح أكثر فإن النظام الإيراني يعتمد على قاعدة أوسع من الدعم في مجتمعه مما هي عليه الحكومة في كوريا الشمالية، لذا فإن إيران قد تتصرف بشكل متعقل أكثر من كوريا الشمالية في حال الأزمة أو النزاع.

الإرهاب والتطرف.. التهديد المتغير

بلا شك أن الولايات المتحدة يجب أن تتعامل مع التهديدات المحتملة في المستقبل في نفس الوقت الذي تكون فيه مشغولة بحربَي العراق وأفغانستان، ونؤكد هنا بأن التطرف السلفي بدأ من فترة قصيرة مصحوباً بالنمو السكاني الهائل في الشرق الأوسط مما خلق صعوبة عظيمة في إيجاد التوظيف الأمثل لمثل هذه الطاقات، وهذا ما يؤدي إلى جنوح الشباب نحو الجماعات التي تتبنى تفسيرات متطرفة للإسلام، ظهرت هذه الصورة أولاً بعد حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧م بعد هزيمة الجيوش العربية التقليدية من قبل القوات الإسرائيلية التي استعملت التقنية المتطورة في ذلك الوقت، فيما بقيت القوة الهامة الوحيدة في العالم العربي (الفدائيون الفلسطينيون)، وتحولت هذه القوة في الوقت الحاضر إلى ما يعرف الآن بـ(الجماعات المتطرفة).

ثم ناقش عضو اللجنة ماهية الأساليب المعمول بها لمواجهة التهديدات من قبل هذا النوع من الجماعات، قائلاً بأن الولايات المتحدة عموماً ناجحة في عمليات الاغتيال وإلقاء القبض على هؤلاء كما هي ناجحة أيضاً من ناحية تصنيف التهديدات لكن براعتها ونجاحها يقلان بشكل ملحوظ في المجال الاستراتيجي، فالولايات المتحدة الأمريكية تحتاج لوضع استراتيجية لتحويل

هذا الانجذاب من قبل الشباب إلى الجماعات المتطرفة التي تستمر في خلق وتجديد الإرهابيين.. مثل هذه النظريات تدافع عن الاستثمار الحكومي الأمريكي في العالم الإسلامي والتي تحتاج إلى تنسيق دائم من قبل الوكالات المعنية، وأضاف أحد المشاركين في المؤتمر بأن الأفعال تولد ردود أفعال مساوية لها في القوة واستشهد بالثورات التي يكون دافعها دينياً وكيف أنها تتوسع بسرعة من إقليم لآخر وخصوصاً في ظل تكنولوجيا الاتصالات المنتشرة في العالم، يجب أن لا نتفاجأ عند رؤية ردود الأفعال الواسعة الانتشار بسبب الحرب الأمريكية في العراق وأفغانستان والأعمال الإسرائيلية في غزة والضفة الغربية ولبنان.

جادل عضو اللجنة بأن الولايات المتحدة تواجه صعوبات كبيرة في كيفية تصنيف ردود الأفعال التي يتبناها المجتمع الإسلامي بسبب العمليات التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف أنها تأخذ مدى أوسع بسبب ضعف المجددين في العالم الإسلامي وارتباطات الولايات المتحدة بالأنظمة المستبدة والديكتاتورية الحاكمة في العالم الإسلامي وخصوصاً في البلدان العربية.

تساؤلات وإجابات

ناقش المشاركون في المؤتمر الوقت أو المدى الذي من المحتمل أن يبقى فيه العراق تربة خصبة ومركزاً لتدريب العناصر الجهادية المتطرفة، وحدد أحد الأعضاء بأن من أهم الأسباب لاستمرار هذه الحالة هي استمرار قمع الدولة وسوء التوقيت والشمولية في إصدار القرارات الخاطئة والتي تغذي دعوة الجماعات الجهادية المتطرفة لمواجهة هذه الأوضاع، وناقش المشاركون أيضاً

أحد التقارير الذي صدر في وقت سابق من هذا العام والذي أظهر مدى قبول أو رفض المسلمين لممارسة العنف السياسي الذي قامت به المجموعات الإسلامية المتطرفة، ومدى رغبة المسلمين في إقامة دولة إسلامية أو ما يسمى بـ(الأمة الإسلامية) ومدى تقبلهم للهوية الجديدة التي تمنح لهم في حال هجرتهم أو لجوئهم في بلدان أوروبية مثل فرنسا، لاحظ الحاضرون بأن أعضاء اللجنة بدأوا باستعمال شَرطي الإرهاب والتطرف بشكل مترادف، ثم ناقش أحد الحضور بأن مصطلح الإرهاب يجب أن يعزل عن مصطلح التطرف الذي يمثل التهديد الأكبر، وجادل عضو اللجنة بأن جوهر التطرف هو مخالفة الرأي العام، بينما يرى الإرهابيون أنفسهم كطلائع ثورية بمعنى أن المتطرف هو مشروع لتكوين الإرهابي.

إيران والتحدي المتعدد الأبعاد

إن النقطة الأكثر أهمية هنا هي معرفة الحدود التي وصلت إليها القوة الإيرانية، ومعرفة الاستراتيجية التي يتعامل بها الإيرانيون لحساب الفرص التي تمنح لهم والتهديدات الموجهة لهم، وعلينا أن ندرك إن التصورات الإيرانية لاحتياجاتهم الأمنية تتجاوز كل خلافاتهم الفئوية الداخلية.

إن من الأهداف المدرجة في الأجندة الإيرانية بالإضافة إلى الدفاع الوطن ودعم الحلفاء كأحد خطوط "الدفاع الأمامي"، إضفاء بعض الثقل للكفة الشرقية كجزء من محاولة تعديل الضغط من الغرب.

لا شك بأن الولايات المتحدة قد ساعدت إيران إلى حد ما بإزالة الأنظمة المعادية لها في العراق وأفغانستان، وعلى أية حال فإن إيران تسعى إلى التطوير من قدراتها مما يتيح لها المجال للعب دور إقليمي يمكنها في أغلب الأحيان من

معارضة المصالح السياسة الأمريكية، ولكن إيران تدفع ثمن ذلك باهضاً بسبب الكلف الاقتصادية لسياسات إيران العدائية للغرب والعزلة التي أحدثتها هذه السياسات، ولكن بعد دراسات عديدة قُدمت ونقاشات مستفيضة لها أفضت إلى نتيجة واحدة وهي كبر الهوة بين تطلعات إيران والحقيقة الموجودة على أرض الواقع.

لا شك بأن الاستراتيجية الدفاعية لإيران تعتمد إلى حد كبير على التعبئة الهائلة والمقاومة الاجتماعية والحضارية مستندة على الاعتقاد بأن الثبات الأيديولوجي سيمكن إيران من البقاء كمعارض للسياسات الأمريكية لفترة طويلة، لذلك أرادت إيران زيادة قدراتها العسكرية لكن ليس هناك دليل مؤكد على أنهم قد أحرزوا أي تقدم مهم، علاوة على ذلك لا يجب أن يكون من المفترض دائماً أن حلفاء إيران مثل حزب الله وحماس، سيتصرفون وفق دعم دائم للمصالح الإيرانية، على الرغم من الدعم الكبير الذي تقدمه طهران لمثل هذه المجموعات.

وتجدر الإشارة هنا بأنه إذا ثبتت دقة تخمين الاستخبارات الوطنية مؤخراً حول إيقاف إيران لجهود تطوير سلاحها النووي فإن هذا التقرير قد يكون سبباً لإعادة النظر في موقع إيران من الأولوية في التخطيط الدفاعي الأمريكي كقوة متوسطة بدون برنامج نووي، بالإضافة إلى ذلك فإن إيران تعاني من عدة نقاط ضعف متأصلة والتي ستعيق طموحها بتوسيع تأثيرها، فأولاً القوات العسكرية الإيرانية التقليدية ضعيفة وثانياً هناك انشقاقات دينية حادة ضمن النخبة الحاكمة لإيران، والتوترات الأخيرة بين إيران والولايات المتحدة قد ساهمت في تعميق هذه الانشقاقات، علاوة على ذلك أنه حتى في حالة خفض

التواجد الأمريكي في العراق فإن إيران لن تستطيع أن تملأ الفراغ في العـراق لعدة أسباب ولعل من أهمها أن الأقلية السنية وإن تكن قد قاتلت ضد القوات الأمريكية ولكنها حتماً ستقف معها إذا ما أحست بالخطر الإيـراني المتمثـل بالتمكن من إدارة الحكم هناك وذلك للصراع الأيديولوجي العميق بين السنة والشيعة، بالإضافة إلى أن معظم الشيعة في العراق لا يؤيدون أي سيطرة لإيران على بلدهم، أخيراً فإن إيران عندها عدد مـن المـشاكل الاقتـصادية منـها الانخفاض في معدل الإنتاج الهابط من الحقول النفطية الإيرانية، وضعف الدعم الإقليمي للاستراتيجية التي تتبعها إيران حتى من قبل الدول المعادية للولايـات المتحدة بالإضافة إلى المشاكل الأخرى المتعلقة بالدبلوماسية العدائية والخطابات الشديدة اللهجة التي توجهها إيران للمجتمع الدولي.

تقـديم آخـر

(تحتاج وزارة الدفاع الأمريكية لتغيير استراتيجيتها، نحن لا نستطيع إيجاد كل الحلول، يجب أن ندفع بحلفائنا للدخول على الساحة العالمية ليبحثوا عن رأس المال والقدرة، وإلا فسوف نفتقر إلى المصادر التي التي تمكننا من البقاء كقوة عالمية وحدنا/ ضابط عسكري كبير)

أبرز التقديم خمس قضايا ستستدعي اهتمام وزارة الدفاع الأمريكية وهي:

(١) العولمة والتي تطرح عدة أسئلة على القوات المسلحة للولايـات المتحـدة ومنها: ما النتائج الاستراتيجية لها، وكيف يمكن لوزارة الدفاع الأمريكيـة أن تعمل بصورة أفضل في ظل العولمة آخذين في الاعتبار المسافات والحدود التي تم إلغاؤها بفضل تكنولوجيا الاتصالات والإنترنت، وكيف يجب أن تفكر وزارة

الدفاع الأمريكية بشأن الدفاع وعلاقاتها بالكيانات الأخرى؟، وكيف تؤثر أجهزة الإعلام الجديدة وعصر الاتصالات على الاستراتيجية القتالية الأمريكية؟.

(٢) اللغز الاستراتيجي التي تفرضه إيران وروسيا في الوقت الحاضر، فوزارة الدفاع الأمريكية لا تعرف إلى أي مدى تستطيع بلدان كإيران وروسيا أن تتطور وإلى أي مدى يرغبون في تحدي المصالح الأمريكية في المستقبل، أو مدى رد فعلهم على العمليات التي تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية وما ترتيب الولايات المتحدة في جدول أعمال تلك الأنظمة، وبعبارة أخرى هل يمكن للولايات المتحدة أن تتقبل تطور روسيا وقدرة إيران على تصدير الإرهاب والعقائد المتطرفة؟.

(٣) انتشار أسلحة الدمار الشامل فالقوات الأمريكية لها القدرة والقابليات لكشف وتعقب مدى التسليح بالنسبة للأنظمة لكن ليس للكيانات الصغيرة ويتضمن ذلك حتى الأفراد، ويمكن اعتبار القوات الأمريكية متحيزة "صناعياً" لبناء الأسلحة الكبيرة التي يمكن أن تدمر أشياء كبيرة وذلك في المواجهات والتحديات مثل انتشار أسلحة الدمار الشامل، وهذا بلا شك يفرض على القوات الأمريكية إعادة النظر في الأساليب والطرق التي تتبعها وستحتاج لتكييف وتطوير القابليات الجديدة لتعقب وهزيمة الأهداف غير التقليدية.

(٤) علاقات أمريكا مع حلفائها، لم يعد باستطاعتنا القول بأن الإنفاق الأمريكي على البحث والتطوير يكفي لمسايرة التغييرات في العالم أو بأن استراتيجية البناء والتشغيل التقني ضمن المنظمات العاملة في التطوير بكل جوانبه قادرة على التنافس في ظل التطور الذي يشهده العالم اليوم، بلا شك

أن الولايات المتحدة تفتقر إلى المصادر والرأسمال الثقافي اللذين يجعلانها القوة الأكبر عالمياً.

(٥) الأهمية المتزايدة لتكنولوجيا الاتصالات والإنترنت من حيث البحث والتطوير، وبلا شك أن وكالة الأمن القومي لها القابليات والقدرة لأخذ دور أساسي في توصيف القضايا الأمنية المتعلقة بمجال الإنترنت، كما هي الحاجة أيضاً لتكامل العمليات العسكرية مع تكنولوجيا المعلومات والتي تتيح اتخاذ القرارات بسرعة، ومن المعروف عسكرياً أن سرعة اتخاذ القرار الصحيح تساهم في تقليل الخسائر في المواجهات والمعارك، وهذه النقطة ستطرح عدة أسئلة بخصوص قدرة القادة على كل المستويات واستعدادهم لفهم الحالة الواقعية على الأرض وصياغة وتنفيذ استراتيجيات ملائمة لها.

تساؤلات وإجابات

ركز السؤال الأول على كم من الناس يجب أن تجندهم الولايات المتحدة للعمل في مجال الإنترنت، وهذا يفرض أيضاً التعاون التام بين جميع الوكالات الحكومية وغير الحكومية، ولكن توجد معوقات بيروقراطية أمام هذا الأسلوب وهي تؤدي إلى مزيد من التساؤلات حول كيفية تمكن الحكومة الأمريكية من تبني مثل هذه العملية وصياغة القرار المناسب لها داخل الحكومة الأمريكية، وما هي الضمانات التي ستجعل القوات الأمريكية هي المتفوقة دائماً في هذا المجال، هذا إذا لم نحسب حساباً لوقوع تلك التكنولوجيا في أيدي الأعداء المعروفين بتكيفهم مع مختلف الظروف فهم يعملون كجماعات أو كأفراد وفي كلتا الحالتين لا فرق في النتائج، إن النزاعات الإقليمية غير التقليدية ستحتاج إلى تطور في إسلوب وأدوات الاستخبارات والمراقبة وقابليات الاستطلاع القادرة

على اختراق الأراضي غير المعروفة بالنسبة للقوات العسكرية، وتبرز هنا الحاجة لتطوير "أدوات الكشف الفضائي" مثل الأقمار الصناعية الخاصة بالكشف والمراقبة، وبالتأكيد فإن مثل هذه الأدوات مكلفة جداً، وإن الأدوات الحالية لا يمكن الاقتناع بنتائجها.

حاجات أولوية لضمان المصالح الأمريكية

(نواجه معضلة أمن متأصلة، وهي أن الدفاعات الصينية تقوض تفوقنا العسكري/ محلل في وزارة الدفاع)

بدأ المقدم بذكر الوسائل التي تساهم في قلب التحدي وصناعة التأثيرات العالمية، وفي النهاية فإن الأهداف السياسية من الضروري أن تترجم إلى أهداف عسكرية حسب الوسائل والأدوات التي يملكها ويستخدمها القادة العسكريون لانجاز تلك الأهداف، أشار المتحدث إلى عدة قيود على العمليات العسكرية التي جرت في التسعينيات ومنها الحاجة للعمل والتنسيق مع قوات متحالفة والذي يسهم بتعقيد العمليات وتأخرها بسبب الحاجة لإيجاد التنسيق المناسب والتغلب على القيود القانونية، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أولوية قصوى لتجنب الإصابات بين المدنيين أي تحديد العوامل والعناصر التي تؤثر على اختيار الهدف، أخيراً فإن الجهود لتفادي الخسائر في القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها أعاقت العمليات البرية مما أجبر القادة على الاعتماد على قوة السلاح الجوي.

بعكس ذلك نلاحظ أن مبدأ قبول الخطر والأخذ بالمجازفة أصبح مقبولاً إلى حد ما في الوقت الراهن، وهذا المبدأ ساهم في إيجاد التزام طويل المدى من قبل القوات البرية، ولكن الأعداد المتزايدة من الإصابات في القوات الأمريكية

جعلت الكثير من الدول الحليفة لا تحب المساعدة في مثـــل هـــذه العمليـــات وخصوصاً في أعقاب حرب العراق، ويمكن استخدام نموذج جديد في حـــسم المواجهات المستقبلية وهو الجمع بين (القوات الجوية وقوات العمليات الخاصة) في مهمات مشتركة للحصول على نتائج أفضل وهذا ما قد يكون محبذاً أكثر في المستقبل، مثل هذا النموذج يمكن أن يكون قوي جداً في تنفيذ الأهـــداف السياسية بوسائل عسكرية وبدون التزام طويل المدى مثل الذي هو مفـــروض على الولايات المتحدة الآن في العراق وأفغانستان.

التغلب على "التهديدات غير التقليدية" في القرن الحادي والعشرين

ناقش أحد المشاركين كيف أن الحروب التقليدية التي تعوّد عليها العالم ربما لم يعد لها وجود في وقتنا الحاضر وأن الأسلوب الموجود في النـــزاعات الحالية هو أسلوب الحروب غير التقليدية، والتي يتمتع الخصوم في هـــذه المواجهـــات بقابليات مثل القذائف سهلة النقل والحمل وأسلحة ضد الدروع، بالإضافة إلى استعمال وسائل شاذة قد تفوق القابليات الموجودة في الجيوش النظاميـــة ممـــا يسبب استمرار هذه المواجهات لفترات طويلة وقد يصعب حسمها نهائياً (سبع سنوات في العراق وأفغانستان تعد خير دليل على هذا)، أضاف المتحدث بأنه في حال بقاء حزب الله والمتطرفين السنة في العراق وطالبـــان في أفغانـــستان كجزء هام من التهديد المستقبلي فهذا يحتم على القوات الأمريكيـــة تحـــسين قابلياتها العسكرية لحسم مثل هذه المواجهات غير التقليدية، علاوة على ذلـــك فإن قدرة أنظمة المخابرات الأمريكية غير كافية، كما هو الحال في القدرة على قيادة العمليات المعلوماتية وتجهيز الضباط وعدم التأهيل الكافي لهـــم للعمـــل كمستشارين إلى جانب القوات العسكرية.

القابليات المطلوبة لمواجهة الخصوم التقليديين

أكد عضو اللجنة بأن الولايات المتحدة يجب أن تطمئن أصدقاءها وحلفاءها خاصةً في شرق آسيا، وأوصى بتطوير استراتيجية جديدة لمنع الصين من الاستمرار في النمو لمنافسة الولايات المتحدة، واقترح أيضاً بأن على الولايات المتحدة أن تطور مثل هذه القابليات كمشروع الدرع الصاروخي والقوات المشتركة في القواعد الأمريكية حول العالم، وتحسين منظومة الدفاع الألكترونية (الإنترنت)، وتحسين القدرة على توجيه ضربات بعيدة المدى وتحسين قدرة الاستخبارات على المراقبة والاستطلاع.

الإمكانيات والأخطار

لاحظ أحد أعضاء اللجنة بأن كلا التقديمين قد طرحا الأخطار المحتملة والمتعلقة باستخدام تكنولوجيا الاتصالات والإنترنت، نحن نعيش في عالم متقلب جداً والذي يشكل معضلة لمخططي السياسات الدفاعية، وقال بأننا نحتاج أيضاً لوضع المشاكل الداخلية للولايات المتحدة في نظر الاعتبار عند رسم أي هدف أو اتباع استراتيجية مستقبلية.

إن من أهم عناصر القوة هي رأس المال البشري ولكن هناك عدة قوى تتمثل في التنوع في هويات من يخدم في القوات العسكرية الأمريكية، فالجيش الأمريكي يحتاج لتطوير الضباط ليكونوا أكثر تكيفاً مع الظروف التي تستجد وذلك بتنمية المهارات الإدارية بجانب المهارات القتالية لضباط الجيش الأمريكي، ويحتاج أيضاً لإشراك عدد أكبر من الموظفين الإداريين في الجيش الأمريكي لتعزيز إمكانية التخطيط المستقبلي، هذه بالتأكيد تمثل مشكلة لأن كل شخص تقريباً يعمل في الحقل الأمني القومي يقوم بتحليل المشاكل بصورة

منفصلة، والقليل منهم يركز على القضايا الأوسع والتي تكون بحاجة إلى وضع استراتيجية شاملة وطويلة الأمد.

ضرورة إعادة بناء الجيش في ظل الموارد المحدودة

مما لا شك فيه أن مستوى الإنفاق العسكري الأمريكي الحالي هو أعلى مستوى وصل إليه في تاريخ الولايات المتحدة، وتكمن المشكلة في أن هذا المستوى سيرتفع مع ظهور التحديات المستقبلية وحتى ربما قبل ظهورها.. أي في مراحل الاستعداد لها، وتظهر التقديرات الأخيرة بأن الإنفاق العسكري السنوي الأمريكي من المتوقع أن يصل إلى (٥٢١$ بليون في ٢٠١٤م) تقريباً، وإن الإنفاق على بناء السفن قد فاق مستويات الإنفاق أثناء الحرب الباردة، وتشير التقديرات بأن الإنفاق على صناعة الطائرات التابعة للقوة الجوية قد فاق أيضاً مستوياته أثناء الحرب الباردة.

لاحظ المتحدث أيضاً بأن وزارة الدفاع الأمريكية تضع خططاً لتعزيز الكثافة العددية للقوات (بشكل محدد القوات البرية) والذي بدوره سيزيد من الكلف الطبية والضمان الاجتماعي.

القوات البرية الأمريكية وخيارات للتطور المستقبلي

استبعد المتحدث فكرة أن الولايات المتحدة ستكون قادرة على تخفيض الإنفاق العسكري في السنوات القليلة القادمة، ويشير إلى أن أعداداً كبيرة من القوات البرية الأمريكية من المحتمل أن تبقى لفترة طويلة في العراق وأفغانستان، وسيضيف هذا الانتشار الممتد إجهاداً كبيراً على القوات البرية التي من المحتمل أن تخفف فقط بشكل هامشي، وأضاف المتحدث بأن الجيش يمثل القوة الرئيسية في حسم الحروب الطويلة، وسيحتاج الجيش للرد بشكل كاف على

هذه النـــزاعات إلى تطوير مستويات الضباط الميدانيين والضباط الإداريـــين، وإن على الإدارة القادمة معرفة القوة الحقيقية للجيش الأمريكي وأن توازن بين خياراتها العسكرية والخيارات الدبلوماسية السياسية قبل إرسال الجيش إلى أي مكان نزاع في العالم.

تساؤلات وإجابـــات

أبدى جميع المشاركين قلقاً مبرراً على حالة القوات المـــسلحة الأمريكيـــة كالنقص في الموارد والتجهيز والحالة السيئة للتعاون بين الوكـــالات الأمنيـــة الحكومية.. أحد المشاركين تساءل فيما إذا كنا نحن نخاطر بالقتال في الحروب من أجل غيرنا؟ وما إذا كانت هناك حاجة للعمل لخلق قابليـــات وقـــدرات لمكافحة التطرف عبر وكالات مدنية من خارج الحكومة الأمريكية؟، أكد هذا المشارك الحاجة لتعزيز أدوات السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية، وبالتأكيد سنحتاج لفهم أفضل للأدوات السياسية المتوفرة لدى الحكومة.

ملاحظات أخيـــرة

(كيف نخوض حربين ونستعد للمستقبل؟/ ضابط عسكري كبير)

إن الحكومة الأمريكية لا تستطيع غض النظـــر عن العراق وأفغانـــستـــان، بالتأكيد نحتاج للاستعداد منذ الآن للتحديات التي ستلي هذين الالتزامين، كلنا نتفق على أن وزارة الدفاع الأمريكية تحتاج إلى:

(١) تطوير استراتيجية عسكرية عامة للشرق الأوسط.

(٢) إعادة تكوين القوات والذي أصبح أمراً ملحاً بعد الحروب والمواجهـــات الأخيرة.

(٣) معالجة القضايا الأمنية في العالم باستخدام الوسائل الدبلوماسية واللعب بأوراق الضغط الاقتصادية.

في أي استراتيجية توضع للشرق الأوسط يجب أن ينظر إلى دور إيران المستقبلي في المنطقة وضرورة تأسيس استقرار أكبر بين إسرائيل، سوريا، لبنان، والأراضي الفلسطينية، بينما وزارة الدفاع الأمريكية ستلعب الدور الأهم في تشكيل الاستقرار في كافة أنحاء المنطقة، وعلى الحكومة بجميع مكاتبها ووكالاتها أن تعمل لمساعدة وزارة الدفاع لتخفيف الضغط الواقع عليها، أما عن القوات المسلحة المرهقة أصلاً فتحتاج لبعض الراحة وهذا يتضمن الأفراد وعوائلهم و بخاصة القوات البرية التي تحتاج إلى تجديد وتنشيط.



وثائق

فتاوى حول الاتفاقية الأمنية
بين العراق والولايات المتحدة

فتوى هيئة علماء المسلمين في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى

في بيان الحكم الشرعي في الاتفاقية المزمع عقدها بين الحكومة الحالية وبين إدارة الاحتلال الأمريكي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد تواترت الأنباء هذه الأيام عن عزم الحكومة الحالية على توقيع الاتفاقية طويلة الأمد مع الاحتلال وبإلحاح من الجانب الأمريكي، وأخذت بعض الأوساط الرسمية في الحكومة الحالية ومن حولها تخفف من وقع ما اشتملت عليه هذه الاتفاقية من مطالب خطيرة؛ لتبرير التوقيع عليها.

ومن خلال النظر في واقع هذه الاتفاقية بحسب المعلومات التي وصلتنا عنها وهي معلومات مؤكدة، يتضح جلياً أنها ليست بالهدنة المتكافئة التي يجيز فيها الإسلام التعاقد مع غير المسلمين استناداً إلى مهادنة الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً عام الحديبية؛ لأن جواز الهدنة مقيد بأمور، منها: اكتمال شروط الدولة للمسلمين ووجود مصلحة لنشر الإسلام، واستقامة المهادن، والحذر من نقضه العهد، ومدى مراعاته الاتفاق، مع وجوب تقدير مدة معينة معلومة لها.

والملاحظ أن معظم هذه الأمور غير متوافرة في الاتفاقية التي يراد إبرامها، فضلاً عن أن الحكومة الحالية في العراق غير مؤهلة لإمضائها لأنها من صنيع إدارة الاحتلال فهو الذي يشرع لها ويرتب لبقائها، فضلاً عن كونها الجانب

الأضعف الذي لا يستطيع دفع رغبة الطرف الأقوى (المحتل)، وبذلك تكون اتفاقية (الأضعف مع الأقوى) أو اتفاقية (إكراه) كما توصف في القانون الدولي.. وهي غير معتد بها في هذا القانون، ومع غياب المصلحة وفقدان معظم هذه الأمور، تخرج هذه الاتفاقية عن كونها هدنة، وتفصيل ذلك في الآتي:

أولاً: الوصف الشرعي للاتفاقية

إن الوصف الدقيق لهذه الاتفاقية أنها حلف أو معاهدة، وهنا لابد من بيان الآتي: الحلف في اللغة العهد والصداقة، وقد اصطلح على تخصيص إطلاقها على المعاهدات والأحلاف العسكرية.. وهي اتفاقات تعقد بين دولتين أو أكثر تجعل جيوشهما تقاتل مع بعضها عدواً مشتركاً بينهما أو تجعل المعلومات العسكرية والأدوات الحربية متبادلة بينهما، وإذا وقعت إحداهما في حرب تتشاوران لتدخل الأخرى معها أو لا تدخل معها بحسب المصلحة التي يرياها، وقد تكون هذه الأحلاف معاهدات ثنائية أو جماعية، وفي الحالين يكون الجيش الحليف إلى جانب حليفه ليدافع عنه.

إن هذه الأحلاف إذا تمت بين طرفين أحدهما مسلم والآخر غير مسلم، فهي باطلة من أساسها؛ ولا تنعقد شرعاً وليس لأحد أن يلزم بها الأمة ولا تلتزم بها حتى ولو عقدها أمير المؤمنين (خليفة المسلمين) لأنها تخالف الشرع، فهي تجعل المسلم يقاتل تحت إمرة غير المسلم، وتحت رايته، بل تجعله يقاتل من أجل بقاء هيمنة الكفر، وذلك كله حرام، فلا يحل لمسلم أن يقاتل إلا تحت إمرة مسلم وتحت راية الإسلام.

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر،

قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)) آل عمران/١١٨، وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (تؤمن بالله ورسوله؟) قال: لا. قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك) قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة قال (فارجع فلن أستعين بمشرك) قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة (تؤمن بالله ورسوله؟) قال: نعم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق). صحيح مسلم،كتاب الجهاد: ١٨١٧.

وهذه الأحلاف باطلة أيضاً من وجه آخر، حيث إن هذه الأحلاف تجعل المسلم يقاتل مع غير المسلم أو تجعل غير المسلمين يقاتلون مع المسلمين مع احتفاظهم برايتهم وسلطانهم، أي يقاتلون كدولة لا كأفراد، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاستعانة بغير المسلمين وتحت رايتهم، والحجة في تحريم مثل هذه الأحلاف لهذا السبب، حديث الضحاك أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم (خرج يوم أحد فإذا كتيبة خشناء فقال من هؤلاء؟ قال: يهود كذا وكذا فقال لا نستعين بالكفار)، وفي رواية أخرى عند الطحاوي والحاكم عن أبي حميد الساعدي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء، فقال من هؤلاء ؟ قالوا: هذا عبدالله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود أهل قينقاع وهم رهط

عبد الله بن سلام قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين، الطحاوي: مشكل الآثار ٣/٢٤١، الحاكم: المستدرك ٢/١٢٢، وإسناده حسن.

ثانياً: الآثار الخطيرة التي تترتب على الاتفاقية

إن الاتفاقية المشار إليها إنما تقوم على أساس تقديم تنازلات من العراقيين حكومة وشعباً لأعدائهم المحتلين المغتصبين الأمريكان وحلفائهم، وهذه التنازلات ستكون في المحاور المذكورة وهي السياسي والدبلوماسي والثقافي والاقتصادي والأمني، ومن آثار التنازل في هذه الاتفاقية:

(١) الإقرار بشرعية الاحتلال، وشرعية كل ما نتج عنه من أنظمة وقوانين.

(٢) الإقرار بشرعية تقسيم العراق أو تجزئته على أساس طائفي وعرقي من خلال التعهد بالحفاظ على الدستور الحالي.

(٣) الخضوع لسلطان المعتدين الغزاة المغتصبين في كثير من أمورنا.

(٤) الإقرار بعدم شرعية الجهاد والمقاومة في العراق، وتجريم المجاهدين والمقاومين للاحتلال ووصمهم بـ(الإرهاب) الذي بموجبه سوف تستحلّ دماؤهم وأموالهم وأعراضهم.

(٥) التنازل الكبير جداً عن ثروات البلاد لصالح الاحتلال وصالح شركائه وشركاته.

(٦) فتح الباب للتدخل في شؤوننا الثقافية والحضارية، وهذا ما يهم الاحتلال كثيراً.

(٧) التنازل عن كل الحقوق التي ترتبت على الاحتلال نتيجة عدوانه واحتلاله.

(٨) ضياع حقوق من انتهكت أعراضهم وغصبت أو سرقت أموالهم من العراقيين المظلومين.

(٩) الإمعان في ضياع عزة الشعب العراقي وكرامته اللتين أعطاهما الله تعالى لهم.

وبعبارة جامعة: الاتفاقية المشار إليها تعني الاستسلام الذليل للعدو المحتل.

ثالثاً: الحكم الشرعي

لما كانت الاتفاقية تتضمن تحالفاً عسكرياً مع دولة محتلة وغير مسلمة، فهي باطلة ابتداءً، ومحرمة شرعاً، ولما كانت قائمة على أساس اجتماع المتحالفين لقتال المسلمين من أهل البلد وغيرهم فإن الحرمة تكون آكد؛ لأنه لا يجوز في الإسلام أن يتحالف أحد من المسلمين مع غير المسلمين الحربيين لقتال أهل الإسلام، وإن كانوا عصاة أو بغاة، فهم أقرب للحق والإيمان من غير المسلمين، ولا يجوز مناصرة غير المسلمين بحال ضد المسلمين وإن كان المسلمون على غير الحق الكامل أحياناً.

والأدلة في ذلك كثيرة: منها قول الله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ سورة النساء/١٤١.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) صحيح البخاري: ٦٩٥١.

أما من حيث الوضع في بلدنا العراق فإن الحرمة ترد من وجه آخر، ففضلاً عن كون الطرف المتحالف معه غير مسلم، فإنه غاز ومغتصب ـ في الوقت نفسه ـ والشرع يوجب قتاله حتى ينتهي عدوانه وتزول آثار اغتصابه، ويجب شرعاً بذل كل ما يمكن بذله من مال أو غيره في سبيل تحقيق ذلك، وقد

وردت بهذا الصدد نصوص كثيرة منها قول الله تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ) سورة البقرة: ١٩٤، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ) سورة الشورى:٣٩، وقوله تعالى: (وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً) سورة التوبة: ٣٦، وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ) البقرة: ١٩٣.

ويحرم على المسلمين والحالة هذه التمكين لغير المسلم والغاصب هذا بأي وجه، ومن ذلك إبرام أي اتفاقية معه مؤقتة أو دائمة تجعل له موطئ قدم في أرض المسلمين، وتستعين به على قتال من يمارسون حقهم الشرعي في مقاومته، أو قتال غيرهم من المسلمين، وتمنحه تنازلات سواء أكان ذلك التنازل مالاً يدفعه المسلمون لغير المسلمين أم تعهداً بوقف الجهاد، أم تعهداً بوقف الدعوة إلى الله تعالى، أم السماح له بممارسة سلطانه ونفوذه على المسلمين.

هذا بالنظر إلى الجانب العسكري في الاتفاقية، أما إذا نظرنا إلى الجوانب الأخرى من الاتفاقية والآثار المترتبة عليها، والتي تقدم ذكر بعضها فستتجلى لنا دواع أخرى لتحريمها، وتأكيد بطلانها.

وبناءً على ما تقدم

فإن هذه الاتفاقية إذا ما تمت بين الحكومة الحالية المنصّبة على العراق وبين الإدارة الأمريكية المحتلة للبلاد، فإنها تعد محرمة شرعاً وباطلة عقداً، ولا تلزم أبناء العراق بشيء؛ ولأن الأمر هنا متعلق بحق الأمة، فإن من يجيزها أو يمضي عليها من ساسة الحكومة الحالية سواء منهم من كان في السلطة التنفيذية أو التشريعية (مجلس النواب) فإنه يعد مفرطاً في المصالح العامة للأمة، وغير محترم

لإرادتها وبالتالي فإنه يقع في إثم الخيانة لله ورسوله والمسلمين من أبناء الشعب العراقي وغيرهم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قسم الفتوى

في هيئة علماء المسلمين في العراق

١٤/ شوال ١٤٢٩ هـ

٢٠٠٨/١٠/١٣ م

فتوى الشيخ الدكتور عبد الكريم زيدان

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى شرعية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد سألني سائل عن ما يسمى بـ (الاتفاقية الأمنية) المراد عقدها بين أمريكا والعراق وهل يجوز عقدها شرعاً؟

والجواب:

أولاً: إن المقرر في الفقه الإسلامي والمتفق عليه بين الفقهاء أنه أذا احتل بلد مسلم وجب شرعاً على أهل هذا البلد وذي السلطة إخراج هذا المعتدي المحتل وهو ما يسميه الفقهاء بـ (جهاد الدفع)، وبناءً على ذلك وحيث إن أمريكا احتلت العراق وهو بلد مسلم فقد صار واجباً شرعياً عينياً على كل مسلم بالغ عاقل ذكر كان أم أنثى وعلى صاحب السلطة فيه (الحكومة) القيام بهذا الواجب الشرعي العيني، وهذا الواجب الشرعي لا يسقط بالتقادم ولا بمضي المدة ولا تجوز فيه المساومة عليه ولا الاستعاضة عنه وبالتالي لا يجوز للحكومة عقد هذه الاتفاقية كما لا يجوز لمجلس النواب تأييد هذه الاتفاقية أو الموافقة عليها لأن عقدها لا يجوز وما لا يجوز فعله يعتبر منكراً، والمنكر حقه الإزالة والإبطال وليس التأييد له والموافقة عليه والإبقاء.

ثانياً: يجوز فقط الاتفاق مع المحتل تحديد أقصر مدة ممكنة لخروج المحتل من العراق خروجاً كاملاً أبيض لا يبقى بعده أي جندي من جنوده ولا استقرار له على أي مكان في العراق ولو كان بقدر شبر، كما لا يجوز تمديد أمده

للخروج لأي سبب كما لا يجوز إقران أي شيء مع تحديد المدة اللازمة لخروجه.

ثالثاً: بعد خروج المحتل يجب على الحكومة مطالبته بدفع جميع التعويضات اللازمة عما أتلفه أو خربه من الأموال العامة للعراق وعن الأموال الخاصة للأفراد، وعن ما أزهقه من أرواحهم وعن ما ألحقه من أضرار على نساء العراق اللواتي تركهن المحتل أيامى لقتله أزواجهن وبتعويض أولاد العراق اليتامى الذين تسبب بيتمهم لقتله آبائهم، ولا يجوز للحكومة التنازل عن هذه التعويضات لأنها عن أموال وحقوق لا تملكها الحكومة ومن تصرف في شيء لا يملكه فتصرفه باطل، كما أن الحكومة إنما تولت السلطة لحفظ حقوق الرعية ودفع الضرر عنهم وليس للتفريط بهذه الحقوق ومن القواعد الفقهية (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) أي أن تصرف صاحب السلطة مقيد في قبوله وصحته شرعاً بأن يكون محققاً لمصلحة الرعية كما أمر به الشرع فإن لم يكن ذلك فلا اعتبار لتصرفه.

رابعاً:وإذا تم كل ما ذكرناه جاز لحكومة العراق عقد أية اتفاقية مع أي دولة ترى في عقد المعاهدة معها ما يحقق لها مصلحة شرعية مؤكدة حسب الموازين والضوابط الشرعية في عقد المعاهدات من حيث الشكل والمضمون والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله تعالى

عبد الكريم زيدان ٢٢- شوال ١٤٢٩ هـ

٢٣-١٠-٢٠٠٨م

فتوى الشيخ الدكتور عبد الملك عبد الرحمن السعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

س/ ما يدور الآن في العراق من خلال الإعلام، أنَّ الحكومة الحالية تريد عقد اتفاقيَّة طويلة الأمد مع أمريكا البلد المحتل للعراق، فما هو الحكم الشرعي لمثل هذه الاتّفاقيَّة ولا سيَّما ما تسمى بالأمنيَّة؟ نرجو بيان ما ترونه في حكمها.

السائل/ مجموعة من العراقيِّين.

(يَحْرُمُ عقد الاتّفاقيَّة مع المُحتل في شتَّى الجوانب إلاَّ بعد خروجه الكامل من العراق وإعطاء السيادة الكاملة والحقيقيَّة للدولة.. وبعد خروجه تجوز اقتصاديًّا لا أمنيًّا)

ج/ الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه.

أما بعد:

فإليكم ما أراه جواباً لسؤالكم فيما توصَّل إليه علمي، والله أعلم بالصواب:

أوَّلاً: مِمَّا لا يُنكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بكتابة معاهدة مع اليهود في المدينة المنوَّرة، ومُعاهدة أخرى في صُلح الحُديبيَّة.

ولم يكتب مثل ذلك عندما كان فاقِداً للسيادة على مكَّة وكذا على المدينة المنوَّرة، بل كتبها بعد أن سيطر على تلك القُوَّتين المُعاديتين، وكانت المعاهدتان من منطلقِ سيادةٍ وقوةٍ .

ثانياً: لم تكن المُعاهدتان مُشتملتين على الاستعانة ـ أمنيًّا ـ بالكفرة، بل كانت ما بين مُعاهدةِ مُسالَمةٍ وهُدنةٍ، ولم تتضمن مُعاهدة أمنٍ واستعانة بهم على أمثالهم الكافرين فضلاً عن الاستعانة بهم على المُسلمين.

ثالثاً: رفض النبي (صلى الله عليه وسلم) الاستعانة بالمُشرك على مثله، وقال: (أنا لا أستعينُ بمُشرك) أي في أمور مُسلّحة وقتالية، بل غاية الأمر أنّه استعان بهم في وسائل الحرب وعُدَّته حيث استعار درع صفوان بن أُميَّة.

رابعاً: الساسة الذين يحكمون العراق الآن هم وإن كانوا يفقدون السيادة إلا أنَّ معظمهم ينتمون إلى أحزاب إسلامية – الحزب الإسلامي، حزب الدعوة الإسلامي، حزب الفضيلة الإسلامي، المجلس الأعلى الإسلامي وغيرها – لذا يجب عليهم احترام كلمة إسلامي أو التخلي عن أحزابهم أو حذف كلمة إسلامي وإبدالها بسياسي فقط بعد أن اتَّضحت لهم لعبة احتلال العراق أو محاربته تحت ذريعة أسلحة التدمير الشامل أو الإطاحة بالنظام السابق الذي لم يقم بعُشر مِعشار ما قام المحتل به تجاه الشعب العراقي وما قاموا به هم وميليشياتهم من تنكيل لهذا الشعب المسكين المظلوم وما حصل بسبب ذلك من مظالم وقهر وجوع وبطالة وتهجير وفقد خدمات لهذا الشعب المُستلاحم المُتحاب، وبدلاً من تصحيح مسارهم بموالاته إذا بهم الآن يتّجهون إلى تكريس الاحتلال وإدامته تحت مهزلة تُضاف إلى مهزلة الاستفتاء على الدستور المُصمَّم من قِبَلِه وانتخابات عَرَفَ زيفها الكبير والصغير والداني والقاصي والتي هم يعرفون ذلك في قرارة أنفسهم: ألا وهي مهزلة اتِّفاقيَّة أمن. فما هو الأمن الذي حقَّقه المُحتل الذي لم يحضَ بالأمن على جنوده وآلياته فضلاً عن أن يجعل الأمن يستتب مُستقبلاً في العراق ومع جيرانه؟!!

فقد فَقَدَ الآلاف الكثيرة من جنوده – وليس كالعدد الذي يعترف بـه – وفقدَ الكثير من آليّاته وترك لبلده تركة ثقيلة – ماليَّة وجسميَّة- من خلال آلاف القتلى والمُعوَّقين.

خامساً: إنّ حُكم هذه الاتِّفاقيَّة يُفترَض بالسياسيِّين والحكومة القائمة الآن أن يحكموا بتحريمها، فإنّهم على يقين تامٍّ في قرارة أنفسهم أنّها مُحرَّمة شرعاً ومُضِرَّة بالعراق وجيرانه، ولكنَّهم مغلوب على أمرهم، لا حول ولا قوة لهم، بل أمور تُفرض عليهم من قبل المحتل.

عليهم أن يحكموا بضررها وتحريمها قبل أن يحكم بها أنا وأمثالي من أهل العلم الشرعي.

فليس من المقبول شرعاً أو عقلاً أو عُرفاً أن نتعاهد مع مُحتلٍّ أهلكَ الحرث والنسل لأجل أن يستمِرَّ في احتلاله وما يقوم به من قتل ومُداهمات واعتداء على شعب العراق وسلب ثرواته.

وعلى أيِّ شيء تُعقد هذه المُعاهدة؟!! هل لحرب العراقيين؟!! أو للدول المُجاورة؟!! أو لدول صديقة أخرى؟!!

سادساً: يَحْرُمُ على الحكومة القائمة الاتِّفاق مع الاحتلال اقتصاديًّا – بصناعة أو زراعة أو تجارة أو إنتاج- وبعد انسحاب جميع قوَّاته فوراً من العراق، وبعد أن لا يترك فيه أيَّ أثر للاحتلال فعند ذلك نتعامل معه كصديق شأنه شأن الدول التي رفضت احتلال العراق ومُقاتلته وبقيت صديقة لا عدوَّة.

أي لا يجوز التعاهد معه فيما ذكرتُ من أمور ما دام جاثماً على أرض العراق، بل بعد إخلائه لكل شبر من أرضه وإعطاء السيادة الكاملة له ليتمَّ التعاهد مع حكومة لها السيادة الحقيقية الكاملة وليست قابعة تحت هيمنته

وتُنفّذ – مُكرهةً– رغباته، وأن لا يعتدي على المُسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

أما الاتفاق معه عسكريًا أو أمنيًا فإنه مُحرَّمٌ بكل الأحوال ولو بعد انتهاء الاحتلال؛ لأنه نوع ولاية له، والله تعالى يقول: (ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم) ولم يسبق بالتاريخ الاسلامي الاستعانة أمنيًا بغير المسلمين.

وليحذر الذين هم في سدّة الحكم من ان يغترُّوا بأقوال الإدارة الأمريكيَّة بعد أن جرَّبوا كذبها وخداعها، وذلك باستغلال المُعاهدة الأمنيَّة لاستمرار الاحتلال.

وهم على ثقة أنّ من أشدّ الأماكن حمايةً وأمناً هي المنطقة الخضراء، فإنَّها نالت نصيبها من ضربات المقاومة الباسلة وضربات أخرى، ولم يُمكنهم حماية المنطقة من تلك الضربات.

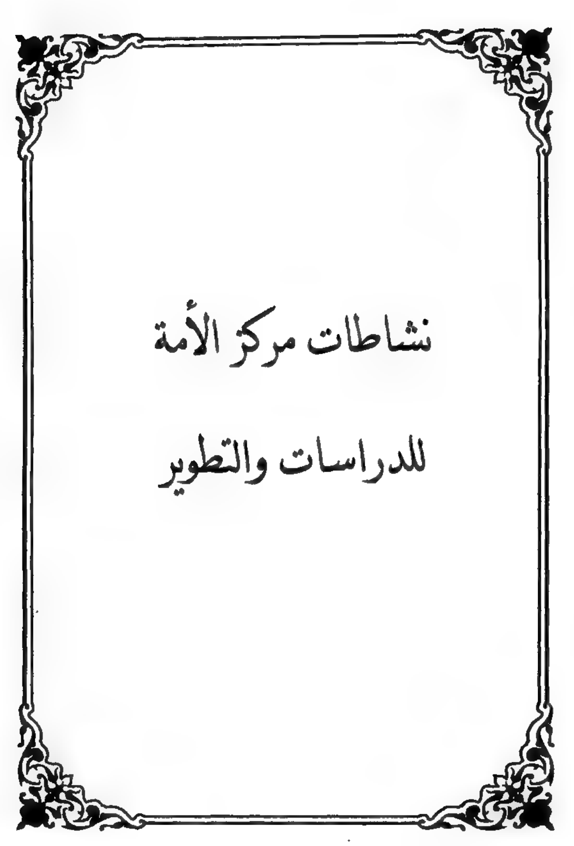
وعلى مَن تُسوِّل له نفسه بتطبيق ما تُسمَّى بالاتّفاقيَّة الأمنيَّة بعيدة الأمد (الاحتلال بعيد الأمد) أن يجعلوا الله نصب أعينهم وأن يأخذوا الدروس مِمَّن حكم العراق قبلهم فإنَّهم سيرحلون عن المناصب والدنيا وتبقى لعنة الأجيال تُطاردهم في الدنيا وسيقفون أمام خالقهم يوم القيامة ليحاسبهم على تفريطهم بشعبهم ومواردهم وعراقهم مضجع الأئمة الأطهار والصحابة الأخيار والعلماء والصلحاء الأبرار.

والله ولي التوفيق.

د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي

٧/ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ

٢٠٠٨/١١/٦ م



نشاطات مركز الأمة

للدراسات والتطوير

قسم الدراسات يعقد جلسته الحوارية الأولى

عقد قسم الدراسات في مركز الأمة للدراسات والتطوير يوم السبت ٢٠٠٨/١١/٢٩م الجلسة الحوارية الأولى له وفق المنهج المعد لجلساته الحوارية نصف الشهرية تحت عنوان (كتاب النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية، للدكتور محمد عمارة)، وقام بقراءة الكتاب والتعليق عليه الأستاذ الباحث ناصر خليف.

وقدم الباحث ملخصًا عن دراسته للكتاب، ثم فتح باب الحوار أمام الحضور؛ لمناقشة القضايا والأفكار المطروحة في الكتاب والبحث، وكان ملخص الباحث كالآتي:

أولاً: التعريف بمؤلف الكتاب

مفكر إسلامي ومؤلف ومحقق، ولد بريف مصر- قرية (صروة) ١٩٣١م وتخرج من جامعة القاهرة/كلية دار العلوم، وحمل الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ثم نال درجة الماجستير سنة ١٩٧٠م عن أطروحته الموسومة (المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية)، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٥م بأطروحته (الإسلام وفلسفة الحكم). وله أكثر من (١٢٠)كتاباً بين التأليف والتحقيق، منها:

- معالم المنهج الإسلامي، القاهرة ١٩٩٧م.
- الإسلام والسياسة، القاهرة ١٩٩٧م.
- سقوط الغلو العلماني، القاهرة ١٩٩٥م.
- التفسير الماركسي للإسلام، القاهرة ١٩٩٦م.

- تهافت العلمانية، القاهرة ١٩٩٣م.
- الإسلام وضرورة التغيير، الكويت ١٩٩٧م.

ثانياً: مقدمة عن موضوع الكتاب ووصفه من حيث الشكل والمضمون

عنوان الكتاب (النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية)، حيث درس فيه المؤلف ظاهرة تستحق الاهتمام والدراسة بحق، ألا وهي ظاهرة إشكالية تعامل المسلمين مع النص الإسلامي، باعتباره مدار الاجتهاد، وبالتالي يشكّل الاجتهاد المحور الأهم في التحديد لأمر الدين، وأكد المؤلف على حاجة الأمة الإسلامية للاجتهاد وضرورة استمراره وتجدده، لأنه يشكل العامل الأهم الذي يقطع الطريق على الجهود المتخبطة في فضاء النص.

ويقدم د.عمارة نصاً جديداً في نقد (النزاعات) المعاصرة المتغربة، فيطرح رؤية لنتاج عدد من المثقفين الذين تعرضوا للإسلام ونصوصه وتشريعاته بآراء وتصورات ومناهج مستحدثة ومبتدعة، فيقّوم أعمالهم ويتناولها بالدراسة والتحليل، ليبين ما لها وما عليها، مع بيان مناقبها ومثالبها.

ويوجه عمارة من خلال كتابه قضية (النص) وعلاقته بالاجتهاد، حيث واجه الفكر الإسلامي ويواجه _ قديماً وحديثاً _ نزعات من الغلو تراوحت بين الإفراط والتفريط.

ثالثاً: الآراء المستخلصة من الكتاب مع ذكر أهم النقاط والمحاور التي يتناولها الكتاب

عند دراستي لكتاب (النص الإسلامي) وجدته مستوفيًا لدراسة موضوعه، ويتمتع بنقولات علمية واسعة، ودراسات أصولية وفقهية وافية ومستفيضة،

على الرغم من صغر حجمه.

واطرح دراستي للكتاب والنتائج المستخلصة من موضعه، على ثلاثة محاور تتعلق بإشكالية تعامل المسلمين مع النص الإسلامي، وفق التالي:

المحور الأول: المظاهر

- جهل المسلمين في تعاملهم مع النص الإسلامي وعدم حضوره في ثقافة أكثرهم.
- الجمود الذي تتمرس به الأطراف الفكرية في ساحة العمل الإسلامي (الذي غلق الفكر الإسلامي)
- الانفلات في التأويل حيث تبنى الكثير من المسلمين دعوى أن المراد من النص هو المعاني الباطنة.
- القطيعة المعرفية بين أطراف الساحة.
- الغلو ونزعاته التي تراوحت بين الإفراط والتفريط.
- ظهور فلسفة (التنوير الغربي ـ الوضعي العلماني) وظهور الدعوات بالميول باتجاهها.
- مرت على أجيالنا القريبة من المثقفين المتغربين، مرحلة الدعوى بتاريخية معاني وأحكام القرآن الكريم، باعتبارها معاني وأحكام تجاوزها الواقع الذي تطور وعفا عليها التاريخ.

حيث ظهرت دعوة (محمد سعيد عشماوي) الذي ادعى أن لا عبرة بعموم اللفظ ولكن الأحكام بخصوص السبب.. حسب ما يدعي، ومن ثم عمم هذه الدعوى الدكتور (نصر حامد أبو زيد) على العقائد كما في كتابه (نقد الخطاب الديني) وهذه دعوى بائنة العوار.

المحور الثاني: الأسباب

- الجمود الذي غلف الفكر الإسلامي، كان من أهم الأسباب التي مهــدت للشطحات والتأويلات.
- وإذا غاب التجديد فلا بد أن تكــون النتيجــة سـيلاً مــن التــأويلات والشطحات التي تنفجر نتيجة للانغلاق.
- فقدان لغة الحوار بين أطراف الساحة الفكرية.
- اعتاد أكثر الناس أن يتحدث للآخرين ولا ينصت لهم و (حوار الطرشان) هذا لا يعدو أن يكون ترسيخاً للشقاق والافتراق.
- النــزعة النصوصية الحَرْفِيّة، عند الذين وقفوا عنــد ظــواهر النــصوص ورفضهم للتأويل، بينما علم أصول الفقه يقرر أن الحكم تحيط بــه علــوم متكاملة، لكي يُقرَّر أن يكون حكماً، والحكم يحتاج إلى (السبب والشرط والمانع والمقتضى واللازم) مع إنكارهم للمجاز وكان لهم الموقف غير الودِّي مع الرأي.
- النــزعة الباطنية وهو لون من الغلو في التأويل.
- انشغال المسلمين بالحروب.

المحور الثالث: العلاج

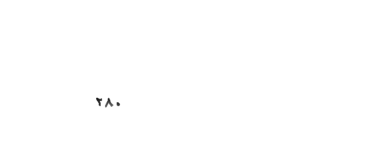
- لابد من الدخول في حوار مع هذا العقل المعاصر.
- العودة إلى قراءة الإسلام قراءة شاملة، بتوصيفاته المختلفــة، ونــصوصه وتاريخه في ضوء رؤية عصرية، وهذه ضرورة ملحة في كل زمن.
- تأكيده على الحاجة للتجديد، مع استمراريته في ساحة العمل الإسلامي.

- حاجة الأمة للاجتهاد المستمر والمتجدد، يقطع الطريق على الجهود المتخبطة في فضاء النص.
- دوام الاجتهاد يعني حل الإشكالات، وبرمجة الأهداف، وبناء الذات ورفدها وتقويتها وإعادة التوازن لها.
- إننا أحوج ما نكون إلى قراءات متبادلة، لتأسيس لغة مشتركة يتم الحوار على أساسها.

المحور الرابع

ذكر المؤلف شواهد إبداعية في تعامل المسلمين مع النص وعدم الجمود والتطرف لحكم معين، وكان النظر عندهم للحكم لمقصده وعلته، لأن القاعدة الأصولية تقول إن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، والقاعدة الأصولية التي تقول إن الأحكام تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأحوال.

حيث درس الكتاب مسائل (نصيب المؤلفة قلوبهم/ حكم حد السرقة في عام الرمادة- الصوافي، والأرض المفتوحة/ الزواج من الكتابية/ الطلاق بلفظ الثلاث/ الضرب في حد الشرب الخمر/ الجزية/ تسعير السلع/ العطاء)، وقدّم دراسةً وافية لكل مسألة من المسائل.



٢٨٠



المركز ينظم محاضرة وورشة عمل متعلقة باللغة العربية

إيماناً من مركز الأمة للدراسات والتطوير بأهمية اللغة العربيـــة، وضـــرورة المحافظة عليها وبيان المخاطر التي تعرضت لها زمن الاحتلال؛ استضاف المركز بتاريخ ٢٩-٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٨م، الدكتور أحمد قاسم كسّار الأســتاذ في كلية دار الرضوان الإسلامية في كوالا لامبور بماليزيا؛ لإلقاء محاضرة وإقامة ورشة عمل في المجال المذكور، وذلك على قاعة المركز وبواقع ساعتين يوميـــاً، وحضرها منتسبو المركز وعدد من العاملين في المجال الإعلامي.

تناول الدكتور أحمد كسار في اليـــوم الأول موضـــوع (آثـــار الحـــروب والاحتلال على اللغة العربية.. العراق نموذجاً)، واستعرض في محاضرته الآثـــار السلبية للحروب على اللغة بشكل عام، واللغة العربية على نحو خاص، مبتدئاً بمحاولات الغزاة قديماً سرقة الجهود الأدبية للعراقيين، والاستيلاء على تراثهم، مقدماً بين يدي ذلك بمقدمة تاريخية شاملة ومفصلة عن مدى اهتمام العراقيين باللغة والحرف والكلمة منذ فجـــر الـــسلالات الـــسومرية الأولى والحـــرف المسماري الأول، ثم ما قام به الأكديون من تطـــوير الخطـــوط وتحـــسينها، وإدخالهم لرسم الصوت المقطعي لأول مرة في تاريخ البـــشرية، واســـتعرض الجهود التي قام بها الملك البابلي حمورابي وكيف أنه أدخل اللغة في نظام التعليم كدرس مستقل له مقرراته ومناهجه في المدارس، ناهيك عن تدوينه لأول مسلة قانونية في التاريخ، وتحدث المحاضر أيضاً عن ظهور النتاجات الأدبية في العهود الغابرة كقصص تكوين الخليقة والملاحم والأساطير، وأشار إلى مدى رعايـــة الإمبراطورية الآشورية للغة واهتمامها بها على الرغم من كونها دولـــة محاربـــة

مدللاً على ذلك بمكتبة آشور بانيبال، ثم تكلم الدكتور أحمد كسار عن الغزو الفارسي والعيلامي للعراق وما رافق ذلك من نهب للمكتبات وسرقة مسلة حمورابي، وأشار بهذا الصدد إلى وعي العراقيين بمواجهة الأخطار الخارجية منذ الحملات الفارسية وإلى يوم الناس هذا، فذكر على سبيل المثال لا الحصر محافظة العراقيين حينذاك على هويتهم وثقافتهم من خلال شيوع الثقافة الوطنية المفاصلة لأي عنصر أجنبي وافد، فلم يسجل التاريخ إمكانية خلق ثقافة فارسية في العراق على خلاف المتعارف عليه عندما تخضع الشعوب لقوة الأجنبي؛ وما ذاك إلا بسبب المقاطعة الشعورية والثقافية التي كان يواجه بها العراقيون القدماء من وفد إليهم تحت الحراب والسيوف.

ثم تدرج المحاضر إلى ذكر لمحات عن الغزو الذي تعرضت له اللغة العربية بعيد الفتح الإسلامي للعراق من خلال طرو الكلمات الأعجمية على اللسان العربي، ودخولها في قاموس التداول، وهجرة العلماء بسبب الاضطرابات السياسية مدللاً على ذلك بأحداث ثورة الزنج في البصرة، وكذلك بروز اللهجات العامية في أواخر الدولة العباسية، وما كان له من انعكاسات ألقت بظلالها على حيوية اللغة وجماليتها، ثم ختم الدكتور أحمد كسار محاضرته باستهداف الاحتلال الأمريكي لمكونات وجودنا ومقومات نهضتنا، من خلال استهدافه للغة العربية والواقع الثقافي والمدني والعمراني بشكل عام، ودلل على ذلك بتصفية الدوائر المخابراتية الأمريكية والصهيونية من خلال مجموعاتها الخاصة الناشطة في العراق في أعقاب الغزو الغاشم في ٢٠٠٣/٤/٩م للأساتذة والعلماء والمفكرين بقتلهم وتهجيرهم، وأشار بهذا الصدد إلى محاولات عديدة لشراء ذمم بعض الأساتذة المختصين في مجال اللغة العربية والشرعية لتأويل

وتحريف الحقائق الشرعية، إما بحيل لغوية، أو فتاوى مسيسة، أو تمييع لعقيدة الولاء والبراء والجهاد، وأشار إلى نشوء جيل من الشباب في ظل الاحتلال لا صلة له بلغته وحضارته متأثراً بقشور الحداثة ونزعات الاستهلاك الخادعة، وميولهم القوية نحو اللغة الإنجليزية بوصفها اللغة العالمية المهيمنة، والتي باتت تقترن بأحلام الشباب في الحصول على وظيفة مناسبة تكفل لهم سبل العيش في وطن ملأته الجراحات. والآلام بسبب سياسات المحتل البغيضة، وتحدث أيضاً عن أوضاع التعليم المتردية في الكليات والمعاهد والمدارس بسبب سياسة انتهجها الأمريكان من خلال خلق أوضاع أمنية شاذة لتعطيل المسيرة العلمية في البلاد وإعاقتها عن النمو والتقدم، فلم يكتف بتدمير المنشآت والبنى التحتية فراح يعيث فساداً في العقول والأفكار والأقلام، ونبه إلى دخول المفردات العامية في اللغة العربية في كافة وسائل الإعلام وما لذلك من أثر بالغ في تمييع الخطاب الإعلامي في مرحلة تستوجب المقاومة والمفاصلة بخطاب جزل الألفاظ محرك للقلوب والمشاعر وبنادق الرجال، ودعا الدكتور المحاضر أبناء العراق إلى ضرورة التنبه والتيقظ لهذه المخاطر التي تستهدف الهوية العربية باستهداف لغتها، ونصح بالتحرك النخبوي والشعبي لإفشال هذه المخططات بمفاصلة تامة لكامل المشروع الأمريكي بكل شعاراته ومقوماته وأهدافه وما يقترن به من دعوات مشبوهة يطبل لها البعض، والاستعاضة عنه بمشروع وطني تتآزر فيه وحوله كل القوى الوطنية المناهضة للاحتلال، تكون اللغة العربية فيه كقطب الرحى.

وفي اليوم الثاني قدم الدكتور أحمد قاسم كسار ورشة عمل بعنوان: (الأخطار اللغوية الشائعة في البحوث والدراسات والإعلام)، وتضمنت الورشة

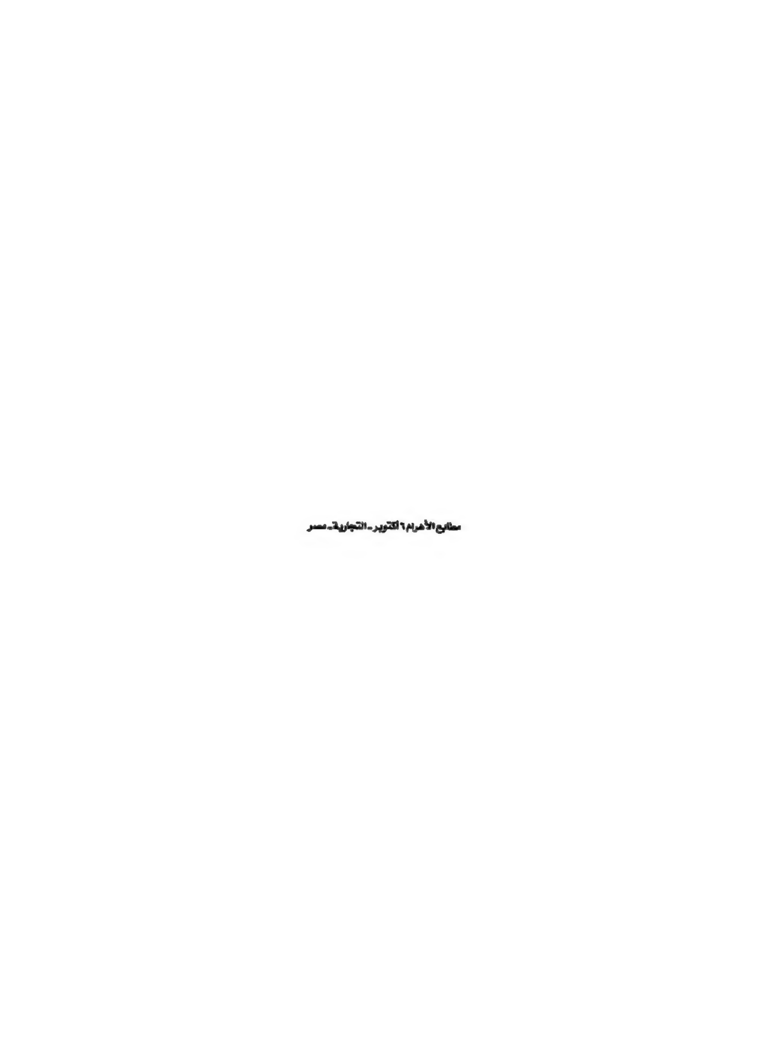
مقدمة نظرية استعرض فيها المحاضر أهم الأخطاء اللغوية والنحوية الشائعة في البحوث والدراسات والخطاب الإعلامي بمختلف وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة، واستطرد بذكر أنواع الأسئلة الصحفية والإعلامية، مقسماً لها إلى ست مجموعات، ومنها : الأسئلة ذات النهايات المفتوحة والمغلقة، والأسئلة الرئيسة والثانوية، وأسئلة المعلومات، والأسئلة العامة، والأسئلة المحايدة والموجهة، والأسئلة الأولية، مذيلاً كل نوع منها بمثال عملي واضح، وتضمنت ورشة العمل تمارين عملية قام بها المشاركون في الورشة، ثم فتح باب النقاش والأخذ والرد للحضور حول بعض المحاور المهمة ذات الصلة.

مركز الأمة يستضيف الدكتور حاكم المطيري في محاضرة علمية

استضاف المركز بتاريخ ٢٦/ تشرين الثاني ٢٠٠٨م الدكتور حاكم المطيري المنظر العام لحزب الأمة الكويتي، الذي تفضل مشكوراً بتقديم محاضرة علمية على قاعة المركز بعنوان: النظام السياسي في الإسلام، وحضر المحاضرة منتسبو المكتب بالإضافة إلى عدد كبير من المهتمين بالدراسات الفكرية والسياسية.

وقد استعرض الدكتور حاكم في محاضرته الأدوار والمراحل التاريخية السياسية للأمة دارساً فيها العصر النبوي والراشدي، مروراً بعصر الخلفاء، والحكام في ظل الخلافة الإسلامية الأموية والعباسية وصولاً إلى الخلافة العثمانية، لغاية سقوطها في أوائل القرن الماضي، وما تلا ذلك من انتكاسات حضارية في مختلف مجالات الحياة، ونشوء الحركات القومية والقطرية وشيوع أنواع من الخطاب السياسي التأويلي والتبريري.

وشهدت أجواء المحاضرة مداخلات منهجية متخصصة حول محاور أساسية مهمة من قبل السادة الحضور، كما أجاب الدكتور المطيري عن العديد من الأسئلة التي وجهت له.



مطابع الأهرام ٦ أكتوبر - التجارية - مصر



(CIVILIZATION)
Quarterly Magazine

ISSUED BY

AL-UMMA Center for
Studies & Developmen

Contacts
Mobile: (+964) 7810801021
Mobile: (+201) 7487 6011
TeleFax: (+202) 3761 9596
E.mail: editor@hadharamagazine.net